

أحكام النظر إلى النساء

تأليف

شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن قيم الجوزية



جمعه وحققه وفهرسه

محمد عبد الرحيم

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان

Dar El Fikr - Printers- Publishers- Distributors- Beirut- Lebanon



أحكام النظر إلى النساء

تأليف

الإمام أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام
ابن تيمية
٦٦١ - ٧٢٨ هـ / ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م

وتلميذه

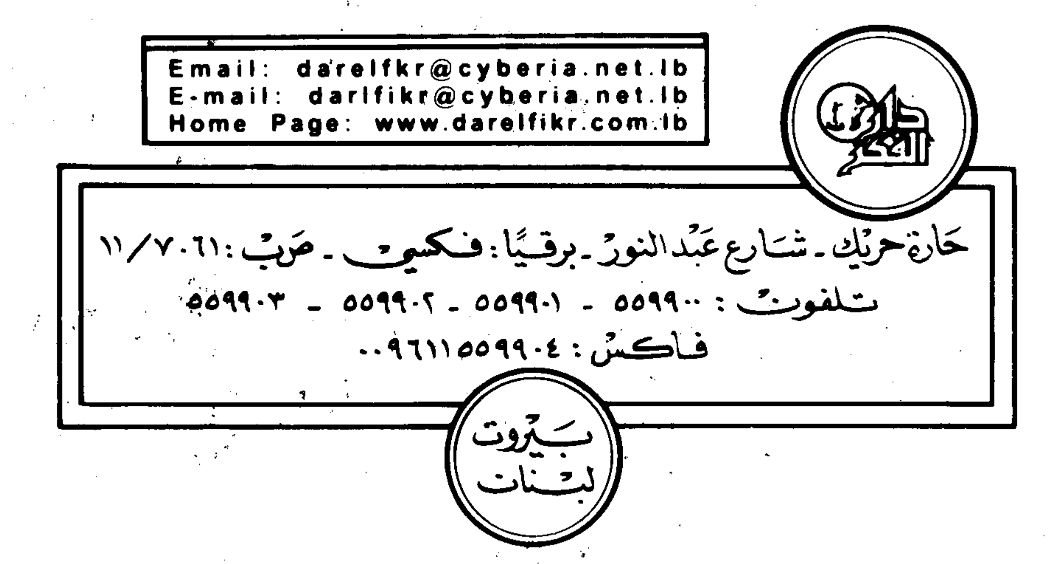
محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي
ابن قيم الجوزية
٦٩١ - ٧٥١ هـ / ١٢٩٢ - ١٣٥٠ م

جمعه وحققه وفهرسه
محمد عبد الرحيم

دار الفكر
للطباعة والنشر والتوزيع

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م



رقم الايداع الدولي (ISBN): 9953-35-037-X

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين حمداً طيّباً مباركاً فيه، كما يحبُّ ربُّنا ويرضىٰ، وكما ينبغي لكرم وجهه عزَّ وجلَّ، وملء سمٰواته، وملء أرضه، وملء ما بينهما، وملء ما شاء من شيءٍ بعد، حمداً لا ينقطع ولا يبيد ولا يفنىٰ، عدد ما حمده الحامدون، وعدد ما غفل عن ذِكره الغافلون.

وصلّىٰ الله علىٰ سيِّدنا محمَّد خاتم الأَنبياء والرُّسل، وخيرة الله من بريَّته، وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده، فاتح أَبواب الهدى، ومُخرج النّاس من الظُّلمات إلىٰ النُّور بإذن ربِّهم إلىٰ الصِّراط المستقيم هادياً، القائل في كتابه العزيز: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وإلىٰ جنّات النَّعيم داعياً، وبكلِّ معروفٍ آمراً، وعن كلِّ منكرٍ ناهياً، فأحيىٰ به القلوب بعد مماتها، وأَنارها بعد ظُلماتها، وأَلَّف بينها بعد شتاتها، فدعا إلىٰ الله عزَّ وجلَّ علىٰ بصيرةٍ من ربِّه بالحكمة والموعظة الحسنة، وجاهد في الله حقَّ جهاده، حتَّىٰ عُبد الله وحده لا شريك له، وسارت دعوته سير الشَّمس في الأقطار، وبلَّغ دينه الَّذي ارتضاه لعباده ما بلغ اللَّيل والنَّهار.

وصلَّىٰ الله عزَّ وجلَّ وملائكته وجميع خلقه عليه كما عرَّف المولىٰ العليّ القدير، ودعا إليه، وسلّم تسليماً كثيراً.

وبعد:

يقول الله جلَّ جلاله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ [النور: ٣٠].

وصل الله تعالىٰ بذكر السِّتر ما يتعلَّق به من أمر النَّظر، يُقال: غضَّ بصره يغضّه غضاً. قال الشاعر:

فغُضّ الطَّرْف إنّكَ من نُمَيرٍ   فلا كَعْباً بَلَغْتَ ولا كِلابا

وقال عنترة بن شداد:

وأَغضُّ طرفي ما بدت ليَ جارتي حتَّىٰ يُواري جارتي مأواها

فالبصر: هو الباب الأول والأكبر إلىٰ القلب، وأَغمَرُ طرق الحواس إليه، وبحسب ذلك كثر السُّقوط من جهته، ووجب التحذير منه، وغضُّه واجبٌ عن جميع المحرّمات، وكلُّ ما يخشى الفتنة من أجله.

روىٰ الأوزاعي رضي الله عنه قال: حدّثني هارون بن رئاب أَنَّ غزوان وأبا موسىٰ الأشعري كانا في بعض مغازيهم، فكشفت جارية، فنظر إليها غزوان، فرفع يده فلطم عينه حتى نَفَرَتْ[1] فقال:

- إنَّكِ للحّاظة إلىٰ ما يضرّك ولا ينفعك.

فلقي أبا موسى فسأله فقال: ظلمت عينك فاستغفر إليه وتب، فإنَّ لها أول نظرة، وعليها ما كان بعد ذلك.

قال الأوزاعي: وكان غزوان ملك نفسه، فلم يضحك حتى مات رضي الله عنه[2].

وقال الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١].

خصَّ الله سبحانه وتعالىٰ الإناث هنا بالخطاب على طريق التأكيد، وبدأ بالغضّ قبل الفرج، لأَنَّ البصر رائد للقلب، كما أَن الحُمَّىٰ رائد الموت. قال الشاعر:

أَلم ترَ أَنَّ العينَ للقلبِ رائِد فما تألف العينان فالقلب آلف

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: إنَّ النَّبيَّ ﷺ قال لها ولميمونة وقد دخل عليهما ابن أُمّ مكتوم: «**احتَجِبَا**». فقالتا: إنّه أَعمى. فقال ﷺ: «**أَفعَمْيَاوَانِ أَنْتُمَا أَلَسْتُما تُبْصِرانه**»[3].

---

(١) نفرت: هاجت وورمت.

(٢) الجامع لأحكام القرآن الكريم للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي - طبعة دار الفكر - بيروت: (١٢/٢٠٦).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: (٤١١٢)، والترمذي في سننه: (٢٧٧٨)، وأورده الإمام القرطبي في تفسيره - طبعة الدار -: (١٢/٢١١).

والله جلَّ جلاله أَمر النِّساء بألاَّ يبدين زينتهنّ للنَّاظرين، وفي تفسير هذا القول قال ابن مسعود: ظاهر الزينة هو الثياب، وزاد ابن جبير: الوجه. وقال الأوزاعي وسعيد بن جبير وعطاء: الوجه والكفّان والثّياب. وقال ابن عبّاس وقتادة والمسوّر بن مخرمة: ظاهر الزينة هو الكحل والسِّوار والخضاب إلى نصف الذراع.

والزينة على قسمين:

١ ـ خلقية: أي الوجه وهو أصل الزينة وجمال الخلقة.

٢ ـ المكتسبة: وهو ما تحاوله المرأة في تحسين خلقتها كالثياب والحلى والكحل والخضاب. قال الشّاعر:

يأخذن زينتهنّ أَحسن ما ترىٰ وإذا عَطِلن فهنَّ خير عواطل

* * *

والكتاب الذي بين يديك «**أحكام النّظر إلى النِّساء**». هو في الأصل من جزئين:

١ ـ أحكام النّظر إلى النّساء للإمام الشّيخ تقي الدِّين بن تيميَّة جمعته من كتابه الموسوعة (الفتاوي).

٢ ـ أحكام النظر إلى النساء للإمام أبي بكر ابن قيم الجوزية جمعته من كتابه: (حكم النَّظر إلى النساء)[١].

وقد رتّبت مواد الكتابين في عملٍ واحدٍ.

عملي في الكتاب:

١ ـ ضبطتُ الأعلام، وبعض الكلمات بالشكل.

٢ ـ خرَّجتُ الآيات القرآنية الكريمة.

٣ ـ خرَّجتُ الأحاديث النبوية الشريفة ووثقتها حسبَ الأصول.

٤ ـ أوردتُ في أول كل كتاب السيرة الذاتية لكلٍّ من شيخ الإسلام الإمام ابن تيمية،

---

(١) وهذا العمل مقتبسٌ من جميع كتبه.

وتلميذه الإمام ابن القيم.

٥ - عرَّفتُ الأعلام الواردة في الكتاب.

٦ - شرحتُ بعض الكلمات الغريبة.

٧ - عملتُ الفهارس الفنّيّة للكتابَ والتي ضمت الفهارس التالية:

أ - فهرس الآيات القرآنية الكريمة.

ب - فهرس الأحاديث والآثار النبوية الشريفة.

ج - فهرس الأعلام المعرَّف بهم.

د - فهرس القوافي.

ختاماً:

أسأل الله عزَّ وجلّ أن يُعلِّمنا، وينفعنا بما علَّمنا، ويسدِّد خطانا، ويلهمنا بتقديم الأعمال التي يرضى عنها مولانا جلّ جلاله.

والله ولي التَّوفيق. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

محمد عبد الرحيم

بيروت { **٢٠/ذو القعدة/١٤٢٤هـ**
٣/شباط /٢٠٠٢م }



الإمام ابن تيميّة

هو الإمام المجدِّد، شيخ الإسلام تقيّ الدِّين أبو العبَّاس أحمد ابن الشَّيخ شهاب الدِّين أبي المحاسن عبد الحليم ابن شيخ الإسلام مجد الدِّين أبي البركات عبد السَّلام ابن أبي محمَّد عبد الله ابن أبي القاسم الخضر ابن علي بن عبد الله بن تيميَّة الحرَّاني.

ولأسرة ابن تيميَّة في ربوع الشام قديماً شهرة ذائعة، ومكانة عالية في العلم، والفضل، والزَّعامة، والإمامة، في مختلف العلوم الإسلاميَّة، فقد كان شيخ الإسلام مجد الدين عبد السَّلام(١) فرداً في زمانه، رأساً في الفقه وأصوله، إماماً من أئمَّة الحنابلة بارعاً في الحديث وعلومه، له اليد الطُّولىٰ في معرفة القراءات والتَّفسير صنَّف التَّصانيف العظيمة ومنها: التَّفسير، ومُنتقىٰ الأخبار في أحاديث الأحكام، والمحرّر في الفقه الحنبلي، واشتهر اسمه وشاع ذكره، وعمَّ فضله.

وفي مدح الإمام ابن تيميَّة وأُسرته رضي الله عنهم أبدع الإمام نجم الدِّين سليمان بن عبد القوي حيث يقول:

يا أَهل تيميَّة العالينَ مرتبةً ومنصباً فرَّعَ الأفلاك تبيانا
جواهرُ الكونِ أنتم غيرَ أنَّكُمُ في مَعْشرٍ بوافي العقل نقصانا
لا يعرفونَ لكُم فضلاً، ولو عقلوا لصيَّروا لكُم الأجفان أوطانا
يا من حوىٰ من علوم الخلقِ ما قَصُرت عنهُ الأوائلُ مذ كانوا إلىٰ الآنا

---

(١) مجد الدين عبد السلام: هو عبد السلام بن عبد الله بن الخضر بن محمد بن تيمية الحراني، أبو البركات، فقيه حنبلي، محدِّث، مفسّر، ولد بحرّان سنة ٥٩٠هـ الموافق ١١٩٤م، وحدَّث بالحجاز والعراق والشام، ثم ببلده حران، وتوفي بها عام ٦٥٢هـ، الموافق ١٢٥٤م. كان فرد زمانه في معرفة المذهب الحنبلي. من كتبه: تفسير القرآن العظيم، والمنتقى في أحاديث الأحكام، والمحرر في الفقه، وهو جدُّ الإمام ابن تيمية.

انظر: فوات الوفيات: (١/ ٢٧٤)، والأعلام: (٤/ ٦).

إن تُبْتَلَىٰ بلئام النَّاس يدفعهُم دهرٌ عليك لأهلِ الفضل قد خانا
إنِّي لأُقسم والإسلامُ معتقدي وإنَّني من ذوي الإيمان إيمانا
لم أَلق قبلك إنساناً أُسَرُّ بِهِ فلا برحتَ لعينِ المجد إنسانا

ولد شيخ الإسلام ابن تيميَّة فيَ حرَّان[1] سنة ٦٦١هـ الموافق ١٢٦٣م. وحفظ بها القرآن الكريم، وسمع الحديث من عمِّه فخر الدين[2] وغيره من حُفَّاظ الحديث، ورحل في طلب العلم إِلىٰ بغداد عاصمة الخلافة العبّاسيَّة في سنة ٦٠٣هـ، فأقام بها بضع سنين، ثمَّ يممَّ بلده حرَّان، وبعد مدَّةٍ عاد إِلىٰ بغداد فازداد بها شهرة ومكانة وإمامة، وتوفي بها سنة ٦٧٢هـ رحمه الله تعالىٰ.

* * *

وكان الشَّيخ شهاب الدِّين عبد الحليم[3] علىٰ غرار أبيه شيخ الإِسلام عبد السَّلام علماً وفضلاً، وصلاحاً وتُقىً، وشهرةً ومكانةً، قرأَ الفقه الحنبليّ علىٰ أبيه وتفوَّق فيه، وأَحكم فروعه وأُصوله، ودَرَّسَ وأفتى وصنَّف، وكان إماماً محقّقاً كثير الفنون، دَيِّناً حسن الأَخلاق، متواضعاً جواداً من حسنات العصر ونجوم الهدىٰ.

وكان شيخ دار الحديث السّكريَّة بدمشق بعد أَن هاجر إِليها بأُسرته وأَولاده إِبّان فتنة التّتار[4].

---

(١) حران: قرية في غوطة دمشق. قال ميمون:
قد كنت أحسبني جلداً فضعضعني قبرٌ بحران فيه عصمة الدين

(٢) فخر الدين: هو محمد بن الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن تيميّة الحراني الحنبلي، أبو عبد اللّه، مفسّر، وخطيب، وواعظ، كان شيخ حرّان وخطيبها. ولد في حرّان سنة ٥٤٢هـ الموافق ١١٤٨م وتوفي فيها سنة ١٢٢٥م، من كتبه: التفسير الكبير، ويقع في عدة مجلدات، وتخليص المطلب في تلخيص المذهب، وترغيب القاصد، وبلغة السّائب، وشرح الهداية، وديوان الخطب الجمعية.
انظر: الوافي بالوفيات: (٣/ ٣٧)، والأعلام: (٦/ ١١٣).

(٣) شهاب الدين عبد الحليم: هو والد شيخ الإسلام المترجم له، ولد بحران عام ٦٢٧هـ، وتوفي بدمشق عام ٦٨٢هـ.

(٤) التتار: قبائل كانت تسكن أواسط آسيا، بين بحيرة بايكال وجبال التائي، منهم المغول، والمغول دولتان: الأولى أسسها جنكيزخان في آسيا الوسطى، والثانية: أسسها أحفاد تيمورلنك في الهند عام ١٥٢٦م.

وكان له كرسيٌّ بالجامع يتكلَّم فيه أيَّام الجمع من حفظه.

* * *

أمَّا إمامنا شيخ الإسلام ابن تيميَّة فقد ولد في حرَّان في عاشر ربيع الأوَّل من عام ٦٦١هـ الموافق ١٢٦٣م، ثمَّ ارتحل والده به وبأخويه إلىٰ دمشق فيمن هاجر إليها من المسلمين فراراً من التَّتار الذين أغاروا علىٰ بلاد الإسلام في ذٰلك العهد، وأظهروا في الأرض الفساد.

وشبَّ ونما في كَنَفِ والده الإمام بدمشق، واستظهر بها القرآن الكريم، وتعلَّم الخط والحساب في حداثة سِنِّه، ثمَّ أقبل بعد ذٰلك ـ كما قال ابن الوردي(١) في تاريخه ـ علىٰ الفقه وعلم العربيَّة، ثمَّ أقبل علىٰ التَّفسير إقبالاً كُلِّياً حتى سَبَقَ فيه، وأحكم أُصول الفقه، كلُّ ذٰلك وهو ابن بضع عشرة سنة، فانبهر العلماء من فرط ذكائه، وسيلان ذهنه، وقوَّة حافظته ومداركه.

وفي وصفه يقول ابن الزملكاني(٢):

---

(١) ابن الوردي: هو عمر بن مظفر بن عمر بن محمد بن أبي الفوارس، أبو حفص، زين الدين ابن الوردي المعري الكندي، شاعر، وأديب، ومؤرخ، ولد في معرة النعمان بسورية عام ٦٩١هـ الموافق ١٢٩٢م، وولي القضاء بمنبج، وتوفي بحلب عام ٧٤٩هـ الموافق ١٣٤٩م. من كتبه: ديوان شعر فيه بعض نظمه ونثره، وتتمة المختصر، ويُعرف بتاريخ ابن الوردي جعله ذيلاً لتاريخ أبي الفداء وخلاصة له، وتحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة، والشهاب الثاقب، واللباب في الإعراب، وشرح ألفية ابن مالك، وشرح ألفية ابن معطي، وألفية في تعبير الأحلام، وتذكرة الغريب، ومقامات، وبهجة الحاوي والتي يقول في مطلعها:

اعـــتـــزل ذكـــر الأغـــانـــي والـــغـــزل

(٢) ابن الزملكاني: هو محمد بن علي بن عبد الواحد الأنصاري، كمال الدين، المعروف بابن الزملكاني، فقيه، انتهت إليه رياسة الشافعية في عصره، ولد بدمشق سنة ٦٦٧هـ الموافق ١٢٦٩م، وتعلم بدمشق، وتصدر للتدريس والإفتاء، وولي نظر ديوان الأفرم، ونظر الخزانة ووكالة بيت المال، وكتب في ديوان الإنشاء، ثم ولي القضاء في حلب فأقام سنتين، وطلب لقضَاء مصر، فقصدها، فتوفي في بلبيس ودفن بالقاهرة سنة ٧٢٧هـ الموافق ١٣٢٧م، له كتاب التاريخ، وعجالة الراكب في ذكر أشرف المناقب، وتحقيق الأولى من أهل الرفيق الأعلى.

انظر: جلاء العينين: (١٧)، وفوات الوفيات: (٢/ ٢٥٠)، وطبقات السبكي: (٥/ ٢٥١ ـ ٢٥٩)، والبداية والنهاية: (١٤/ ١٣١)، ومفتاح السعادة: (٢/ ٢١٨)، والنجوم الزاهرة: (٩/ ٢٧٠)، والأعلام: (٦/ ٢٨٤).

مـاذا يـقـولُ الـواصـفـون لـه وصـفـاتـه جـلَّـت عـن الـحـصـرِ
هـو مُـحـجَّـةٌ لله قـاهـرةٌ هـو بـيـنـنـا أُعـجـوبـة الـدَّهـرِ
هـو آيـةٌ فـي الـخـلـقِ ظـاهـرةٌ أَنـوارُهـا أربـتْ عـلـىٰ الـفـجـرِ

وكان شيخ الإِسلام في صغره يحضر المحافل العلميَّة، فيناظر ويجادل ويُفحم الكبار، ويأتي بالمعجب، وأفتىٰ وله أَقل من تسع عشرة سنة، وشرع في التَّأليف، وأَخذ وهو في الحادية والعشرين من عمره في تفسير القرآن أَيَّام الجمع في المسجد الجامع من حفظه، كما كان والده من قبل.

وفي ذلك يقول الشَّيخ قاسمٌ بن عبد الرَّحمٰن بن نصر المقري:

يـا أَوحـداً فـي حـلـمـهِ وعـلـومـهِ خـلـت الـبـقـاع، وقـلَّـت الـنّـصَّـارُ
لـهـفـي عـلـىٰ بـحـرِ الـعـلـومِ وغـوصـهِ يـحـوي الـجـواهـر بـاهـرٌ زخَّـارُ
خـبـرٌ، لـبـيـبٌ، أَوحـدٌ فـي عـصـرنـا سَـلْ مـا تـشـاءُ لـهُ بـه أَخـبـارُ
غـلـبَ الـمـلـوكَ مـهـابـةً وشُـجـاعـةً لَـيـثٌ يـهـابُ لـقـاءَهُ الـكـفَّـارُ

ويقول الشيخ قاسم بن عبد الرَّحمٰن المقري:

عـبـدُ الـحـلـيـم أَبـوه سَـيِّـدُ عـصـرهِ وأَخـوهُ عـبـد الـلّـه حـبـرٌ ثـانِ
الـمـجـدُ حـاز الـمـجـدَ فـي عـصـرٍ مـضـىٰ فـي الـجُـرح والـتَّـعـديـل والـبـرهـانِ
ولـمـثـلِ هـٰذا سـارعـوا أَهـل الـتُّـقـىٰ فـازوا بـأَرفـعِ رتـبـةٍ وأَمـانِ
فـي جـنَّـةٍ أَنـوارُهـا قـد أَشـرقـتْ وقُـطـوفُـهـا لـلـطَّـائـفـيـن دوانِ

واتَّجه شيخ الإسلام رضي الله عنه إِلىٰ الحديث روايةً وحِفظاً، فرواه عن أَعلامه وكبار شيوخه كزين الدين أَحمد بن عبد الدَّائم[١] المقدسيّ، وابن أَبي اليُسر[٢]، والكمال بن

---

(١) أحمد بن عبد الدائم المقدسي: أبو العباس، زين الدين، نسّاخ من شيوخ الحنابلة، عالم بالحديث، ولد بفندق الشيوخ (من أرض نابلس)، وانتقل إلىٰ دمشق وتوفي فيها سنة ٦٦٨هـ الموافق ١٢٧٠م.

(٢) ابن أبي اليسر: هو إسماعيل بن إبراهيم أبو محمد تقي الدين التنوخي المعري، سمع الحديث، وأجاز له جماعة، وروى الحديث واشتهر وتفرّد بأشياءٍ كثيرة، وكان متميزاً في كتابة الإنشاء، وهو جيد النظم، صحيح السماع، له قصيدة مطولة في أسماء سور القرآن الكريم، ولد سنة ٥٩٠هـ الموافق ١١٩٤م، وتوفي سنة ٦٧٥هـ الموافق ١٢٧٥م.

عيد[١]، وشمس الدِّين الحنبلي[٢] وشمس الدِّين ابن عطاء الحنفي[٣]، وجمال الدِّين الصَّيرفي[٤]، ومجد الدِّين بن عساكر[٥]، وابن أَبي الخير[٦]، وابن علاّن[٧]، وأَبي بكر الهروي[٨]، والكمال عبد الرَّحيم[٩]، وفخر الدِّين بن البخاري[١٠]، وابن شيبان[١١]،

---

(١) الكمال بن عيد: هو محمد بن علي بن عبد القوي الصالحي الحنبلي، توفي بمارستان البلد في رجب، درس وأفتى وحذق وبرع في العربية واللغة، عاش سبعين سنة.

(٢) شمس الدين الحنبلي: من الأئمة الأجلاء، كان ضليعاً بعلوم الفقه والتفسير، أخذ عنه الإمام ابن تيمية وغيره.
انظر: البداية والنهاية: (١٤/ ١٣٦).

(٣) شمس الدين ابن عطاء الحنفي: من شيوخ الإمام ابن تيمية، ثبته الإمام ابن كثير في البداية والنهاية: (١٤/ ١٣٦).

(٤) جمال الدين ابن الصيرفي: عالم فقيه محدث ومعتمر، ثبته الإمام ابن كثير ووثقه في البداية والنهاية. كان من شيوخ ابن تيمية، درس عليه الفقه والتفسير.
انظر: البداية والنهاية: (١٤/ ١٢٦).

(٥) مجد الدين ابن عساكر: هو القاسم بن أبي غالب المظفر ابن محمود، من بني هبة الله ابن عساكر الدمشقي، طبيب عالم بالحديث، كان يعالج المرض مجاناً، وكتبت له مشيخة في سبعة مجلدات تشتمل على ٥٧٠ شيخاً، لزم بيته منقطعاً إلى تدريس الحديث.
انظر: الدرر الكامنة: (٣/ ٢٣٩)، والبداية والنهاية: (١٤/ ١٠٨)، والأعلام لخير الدين الزركلي: (٥/ ١٨٥).

(٦) ابن أبي الخير: هو أحمد بن سلامة بن إبراهيم الدمشقي الحنبلي المقرئ الخياط الدلال، ولد سنة ٥٨٩هـ الموافق ١١٩٣م، وتوفي سنة ٦٧٨هـ الموافق ١٢٧٩م.
انظر: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي.

(٧) ابن علاَّن: فقيه وعالم ومحدث، وهو آخر من روى من الحفاظ عن الحافظ ابن عساكر بدمشق، توفي عن عمر ناهز التسع وثمانين سنة.
انظر: البداية والنهاية: (١٣/ ١٨٦).

(٨) أبو بكر الهروي: هو علي بن أبي بكر بن علي الهروي، رحَّالة ومؤرخ، وأصله من هراة، ومولده بالموصل، طاف البلاد، وتوفي بحلب سنة ٦١١هـ الموافق ١٢١٥م، من كتبه: الإشارات إلى معرفة الزيارات، والخطب الهروية، ومواعظ، والتذكرة الهروية في الحيل الحربية.

(٩) الكمال عبد الرحيم: عالم ومحدث، أخذ عنه ابن تيمية ودرس الفقه عليه.
انظر: البداية والنهاية: (١٤/ ١٣٦).

(١٠) فخر الدين ابن البخاري: عالم فقيه محدث قرأ عليه الإمام ابن تيمية ولازمه وانتفع بعلمه، توفي ودفن في مقابر باب الصغير بدمشق.
انظر البداية والنهاية: (٤/ ١٩٩).

(١١) ابن شيبان: عالم درس عليه الإمام ابن تيمية.
انظر: البداية والنهاية: (١٤/ ١٣٧).

وزينب بنت مكّي[١]، وغيرهم من شيوخ الحديث. وقد بلغ عدد من سمع منهم أكثر من مائتين.

وسمع الكتب السّتة[٢]، والمسانيد[٣]، ومعجم الطّبراني الكبير، وقرأ بنفسه الكثير، ولازم السّماع عدّة سنين.

وكانت له خبرةٌ تامّةٌ بالرِّجال، وبالجرح والتّعديل[٤]، وطبقات الرُّواة والمحدّثين، ومعرفةٌ واسعةٌ بفنون الحديث مع حفظه لمتونه[٥].

وقد بلغ من قوّة حفظه أنّه لا كان ينسىٰ شيئاً حفظه مع سرعة الحفظ، وكانت له قدرةٌ عجيبةٌ علىٰ استحضار ما تستدعي الحاجة استحضاره من الأحاديث، وكان إليه المنتهىٰ في عزوِهِ[٦] إلىٰ الكتب السّتّة والمسانيد، بحيث يصدق أن يقال فيه: إنَّ كلَّ حديث لا يعرفه ابن تيمية فليس بحديث.

* * *

(١) زينب بنت مكي: بن علي الحراني، فقيهة، ازدحم عليها الطلبة يأخذون عنها علوم الدين فاشتهرت، وهي من الصالحات، ولدت عام ٥٩٤هـ الموافق ١١٩٨م، وتوفيت في دمشق عام ٦٨٨هـ الموافق ١٢٨٩م.

(٢) الكتب الستة: الكتب الستة المتعارف عليها هي: صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن الترمذي، الموطأ، سنن أبي داود، سنن ابن ماجه. وهذا الاصطلاح الذي جرى عليه ابن طاهر المقدسي، وعبد الغني المقدسي، والهيثمي، وابن جبر، وغيرهم. وهناك اصطلاح آخر يجعل سادس الستة الموطأ لمالك وهو ما جرى عليه رزين العبدري وأكثر المغاربة وابن الأثير وصاحب جامع الأصول وغيرهم، وهناك اصطلاح ثالث يجعل السادس الدارمي.

(٣) المسانيد: وهي ثمانية: مسند أبي داود الطيالسي، مسند الحميدي، مسند ابن أبي عمر، مسند المسدَّد، مسند أحمد بن قنيع، مسند أبي بكر بن أبي شيبة، مسند عبد بن حميد، مسند الحارث بن أبي أسامة، وهي الكتب الحديثية التي طريقة تصنيفها إفراد الحديث التي رواها كل صحابي على حدة، صحيحة كانت أم حسنة أم ضعيفة (وترتب أسماء الصحابة باعتبارات مختلفة)، فيكون اسم الصحابي بمثابة باب يذكر تحته كل الأحاديث النبوية التي رواها.

(٤) الجرح والتعديل: علم يبحث فيه عن جرح الرواة وتعديلهم بألفاظ مخصوصة، وهي مراتب تلك الألفاظ، وهذا العلم من فروع علم رجال الأحاديث، ولم يذكره أحد من أصحاب الموضوعات، مع أنه فرع عظيم، والكلام في الرجال جرحاً وتعديلاً ثابت عن رسول الله ﷺ.

(٥) المتون: مفردها متن، ومتن الكتاب: ما كتب في وسطه وهو الأصل وحوله الحاشية.

(٦) عزوه: نسبه إليه، وعزو الخبر إلى صاحبه: أسنده إليه.

أَمَّا التَّفسير فهو ابن بَجْدَته[١]، والمجلِّي في حلبته، وقد قُدِّر ما جمعه فيه بأكثر من ثلاثين مجلداً، ولكن ضاع أكثرها إِبَّان الفتن والمحن، وكانت له قدرة عظيمة علىٰ استحضار الآيات للاستدلال بها علىٰ ما يريد.

وكان دؤوباً علىٰ الدَّرس والمطالعة والبحث والتَّأليف في مختلف العلوم، وقلَّما يزاول علماً إِلاَّ ويُفتح عليه فيه.

وكان يكتب في اليوم واللَّيلة من التَّفسير أو الفقه أَو أُصوله أَو أُصول الدِّين أَو الرَّدّ علىٰ الفلاسفة أو أَهل الملل والنِّحل[٢] والفرق أَو غيرهم، نحواً من أَربعة كراريس.

وقد قال فيه معاصره الحافظ الذَّهبي[٣] في معجم شيوخه:

«شيخنا وشيخ الإسلام وفريد العصر علماً ومعرفةً وشجاعةً وذكاءً وتَنَوُّراً ربّانيّاً، وكرماً ونُصحاً للأُمَّة، وأَمراً بالمعروف، ونهياً عن المنكر».

سمع الحديث وأكثر بنفسه من طلبه، وكتب وخرَّج ونظر في الرِّجال والطَّبقات، وحَصَّل ما لم يُحَصِّله غيره، وبرع في الحديث وحفظه، وفاق النَّاس في معرفة الفقه واختلاف المذاهب، وفتاوىٰ الصَّحابة والتَّابعين بحيث إِذا أَفتىٰ لم يلتزم بمذهب بل يقول بما قام دليله عنده، وأَتقن العربية أُصولاً وفروعاً وتدليلاً واختلافاً.

ونظر في العلوم الفلسفيّة وآراء المتكلِّمين، وردَّ ما أَخطأوا فيه، وحَذَّر منه، ونَصرَ

---

(١) البجدة: حقيقة الأمر وباطنه ومنه: هو ابن بجدتها؛ أي: العالم بها.

(٢) الملل والنحل: الملة: الشريعة أو الدين، وهو اسم لما شرع الله لعباده بوساطة أنبيائه ليوصلوا به إلى السعادة في الدنيا والآخرة، الجمع: ملل، أما النحل: الدين والعقيدة والمذهب.

(٣) الحافظ الذهبي: هو محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، شمس الدين، أبو عبد الله، حافظ مؤرخ، علامة محقق، تركماني الأصل، من أهل ميافارقين. ولد في دمشق عام ٦٧٣هـ الموافق ١٢٧٤م، وتوفي فيها سنة ٧٤٨هـ الموافق ١٣٤٨م، رحل إلى القاهرة وطاف كثيراً من البلدان، وكفّ بصره سنة ٧٤١هـ، تصانيفه كثيرة وكبيرة تقارب المئة، منها: دول الإسلام، والمشتبه في الأسماء والأنساب، والكنى والألقاب، وسير أعلام النبلاء، وتذكرة الحفاظ، والعبر في خبر من عبر، وطبقات القراء، والكبائر، وميزان الاعتدال في نقد الرجال، والمختصر المحتاج إليه من تاريخ الدبيثي، وتجريد أسماء الصحابة، والمغني في رجال الحديث، والرواة الثقات، والطب النبوي، وزغل العلم، والمستدرك على مستدرك الحاكم، وأهل المئة فصاعداً. وغيرها.

انظر: فوات الوفيات: (٢/١٨٣)، وتذكرة الحفاظ: (٣٤ و٣٤٧)، والدرر الكامنة: (٣/٣٣٦).

السُّنَّة بأَوضح الحجج، وأَبهر البراهين، وأُوذِيَ في ذات الله من المخالفين، وأُخِيفَ في نشر السُّنَّة المحضّة، حتى أَعلىٰ الله مناره، وجمع قلوب أَهل التَّقوىٰ علىٰ محبَّته، وَكَبَتَ[1] أَعداءه وخذلهم، وهَدَىٰ به رجالاً من أَهل الملل والنِّحل، وأَحيا به الله الشَّام، بل الإِسلام، بعد أَن كاد ينثلَّم[2] لما أَقبل التَّتار المغيرِين علىٰ البلاد.

ومحاسنه كثيرةٌ، وهو أَكبر من أَن يُنَبَّه علىٰ سيرته مثلي. فلو حلفت بين الرُّكن[3] والمقام[4] لحلفتُ أَنِّي ما رأَيت بعيني مثله، وأَنَّه ما رأَىٰ مثل نفسه»[5]اهـ.

وقال الحافظ الذَّهبيّ أَيضاً:

«أَحفظ من رأَيتُ أَربعة [6]:

- ابن دقيق العيد[7].

- والدُّمياطي[8].

---

(١) كبت: غاظ أعداءه وأذلهم وأخذلهم.

(٢) ينثلم: ينكسر، وثلم السيف: انكسر حدّه.

(٣) الركن: من أركان الكعبة المشرفة: الركن اليماني، والركن الأسود.

(٤) المقام: مقام سيدنا إبراهيم عليه السَّلام بجوار الكعبة. يقول الله تعالىٰ في سورة البقرة الآية: (١٢٥): ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾.

(٥) هكذا العلماء يعرفون الرّجال، رحم الله العالم الكبير المتواضع الحافظ الذهبي لأنه لم يبخس حق العلماء.

(٦) أي في الحديث.

(٧) ابن دقيق العيد: هو محمد بن علي بن وهب بن مطيع أبو الفتح، تقي الدين القشيري المعروف كأبيه وجده بابن دقيق العيد. قاض من أكابر العلماء بالأصول، مجتهد، أصل أبيه من منفلوط بمصر، انتقل إلى قوص، وولد له صاحب الترجمة في ينبع عام ٦٢٥هـ الموافق ١٢٢٨م، فنشأ بقوص، وتعلم بدمشق والإسكندرية ثم بالقاهرة، وولي قضاء الديار المصرية سنة ٦٩٥هـ، فاستمر إلىٰ أن توفي عام ٧٠٢هـ الموافق ١٣٠٢، له تصانيف منها: أحكام الأحكام، والإلمام بأحاديث الأحكام، وتحفة اللبيب في شرح التقريب. وكان ابن دقيق العيد مع غزارة علمه ظريفاً له أشعار وأخبار مليحة.
انظر: الدرر الكامنة: (٤/ ٩١)، وفوات الوفيات: (٢/ ٢٤٤)، ومفتاح السعادة: (٢/ ٢١٩).

(٨) الدمياطي: هو عبد المؤمن بن خلف الدمياطي، أبو محمد شرف الدين، حافظ للحديث من أكابر الشافعية، ولد بدمياط عام ٦١٣هـ الموافق ١٢١٧م، وتنقل في البلاد، وتوفي فجأة في القاهرة عام ٧٠٥هـ الموافق ١٣٠٦م.
قال الذهبي: كان مليح الهيأة، حسن الخلق، بسّاماً، فصيحاً لغوياً مقرئاً، جيد العبارة، كبير النفس، صحيح الكتب، مفيداً جداً في المذاكرة. =

- وابن تيميَّة.

- والمِزّي[1]».

فابن دقيق العيد أَفقه في الحديث، والدُّمياطي أَعرفهم بالأنساب، وابن تيمية أَحفظهم للمتون، والمِزّي أَعرفهم بالرِّجال اهـ.

وقال عنه معاصره الحافظ اليعمري[2]:

«إنّه كان يستوعب السُّنن والآثار حفظاً، إذا تكلَّم في التَّفسير فهو حامل رايته، أو أَفتىٰ في الفقه فهو مدرك غايته، أَو ذاكرٌ في الحديث فهو صاحب علمه وروايته، أَو حاضرٌ بالملل والنِّحل، لم نرَ أَوسع من نحلته في ذٰلك ولا أَرفع من رايته، برز في كلِّ علمٍ علىٰ أَبناء جنسه، ولم تَرَ عينٌ من رآه مثله، ولا رأَت عينه مثل نفسه» اهـ.

* * *

وقال الشيخ عماد الدِّين الواسطي بعد ثناءٍ طويلٍ عليه، وكان ممَّن يجلُّه ويحترمه ويُعظِّمه:

= وقال المزي: ما رأيت أحفظ منه. من كتبه: كشف المغطى في تبيين الصلاة الوسطى، وفضل الخيل، والمختصر في سيرة سيد البشر، وغيرها.

انظر: فوات الوفيات: (٢/ ١٧)، والبداية والنهاية: (١٤/ ٤٠)، وطبقات الشافعية: (٤/ ١٠)، وشذرات الذهب: (٦/ ١٢)، والدرر الكامنة: (٢/ ٤١٧).

(١) المزي: هو يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف أبو الحجاج، جمال الدين ابن الزكي أبي محمد القضاعي الكلبي المزي، محدِّث الديار الشامية في عصره، ولد بظاهر حلب عام ٦٠٤هـ الموافق ١٢٥٦م، ونشأ بالمزة (من ضواحي دمشق)، وتوفي بدمشق عام ٧٤٢هـ الموافق ١٣٤١م، مَهَرَ في اللغة، ثم في الحديث ومعرفة رجاله، وصنَّف كتباً منها: تهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ قامت بطباعته الدار ـ وتحفة الأشراف بمعرفة الأطراف، والمنتقى من الأحاديث، والكنى. قال ابن ناصر الدين: قال الحافظ أبو عبد الله الذهبي: أحفظ من رأيت أربعة: ابن دقيق العيد، والدمياطي، وابن تيمية، والمزي، والدمياطي أعرفهم بالأنساب، والمزي أعرفهم بالرجال، وابن دقيق العيد أفقههم في الحديث، وابن تيمية أحفظهم للمتون.

انظر: فهرس الفهارس: (١/ ١٠٧)، والدرر الكامنة: (٤/ ٤٥٧)، والنجوم الزاهرة: (١٠/ ٧٦)، ومفتاح السعادة: (٢/ ٢٢٤)، والأعلام: (٨/ ٢٣٦).

(٢) الحافظ اليعمري: هو الإمام الحافظ الحجة فتح الدين ابن سيد الناس اليعمري، المؤرخ الثقة، ولد بمصر سنة ٦٧١هـ الموافق ١٢٧٣م، وتوفي بها عام ٧٣٤هـ الموافق ١٣١٤م.

«فوالله لم يُرَ تحت أَديم السَّماء مثل شيخكم ابن تيميَّة علماً وعملاً، وحالاً وخُلُقاً، واتِّباعاً وكرماً، وحلماً وقياماً في حقِّ الله عند انتهاك حُرُماته، أَصدق النَّاس عقداً، وأَصلحهم علماً وحزماً، وأَنفذهم وأَعلاهم في انتصار الحقِّ وقيامه همَّةً، وأَسخاهم كفًّا، وأَكملهم اتباعاً للنَّبيِّ» اهـ.

* * *

وقال ابن دقيق العيد؛ وقد سُئل عن رأيه فيه بعد اجتماعه به: «. . . رأيتُ رجلاً سائر العلومِ بين عينيه، يأخذ ما شاء منها، ويترك ما شاء» اهـ.

وقال فيه ابن الزَّملكاني[١] (مع مخالفته له في بعض آرائه وردّه عليه): «. . . كان ابن تيميّة إِذا سُئل عن فنٍّ من الفنون ظنَّ الرّائي والسَّامع أَنَّه لا يعرف غير ذٰلك الفنّ، وحكم أَنَّ أَحداً لا يعرف مثله، وكان الفقهاء من سائر الطّوائف إِذا جلسوا معه استفادوا في سائر مذاهبهم منه ما لم يكونوا يعرفونه قبل ذٰلك، ولا يعرف أَنَّه ناظر أَحداً فانقطع معه، ولا تكلَّم في علمٍ شرعيٍّ أَو غيره إِلاَّ فاق فيه أَهله» اهـ.

وكتب الإمام تقيّ الدِّين السّبكي[٢] كتاباً إِلىٰ الحافظ الذَّهبي يعتذر فيه عمَّا قاله في حقِّ ابن تيميَّة جواباً علىٰ كتاب الحافظ الذَّهبي إِليه الذي يعتب عليه فيه ما صدر منه قال:

«وأَمَّا قول سيِّدي الشَّيخ[٣]، فالمملوك يتحقَّق كبر قدره وزخارة[٤] بحره وتوسُّعه في

---

(١) ابن الزملكاني: هو محمد بن عليّ بن عبد الواحد الأنصاري، كمال الدين، المعروف بابن الزملكاني، فقيه انتهت إِليه رياسة الشافعيّة في عصره، ولد ابن الزملكاني بدمشق عام ٦٦٧هـ الموافق ١٢٦٩م. وتعلّم بها، وتصدَّر للتدريس والإفتاء، وولي نظر (الأفرم)، ونظر الخزانة، ووكالة بيت المال، وكتب في ديوان الإنشاء. ثم ولي القضاء في حلب فأقام سنتين، وطُلب لقضاء مصر، فقصدها، فتوفي في بلبيس عام ٧٢٧هـ الموافق ١٣٢٧م، ودفن بالقاهرة. من مؤلفاته: عجالة الراكب في ذكر أشرف المناقب.
انظر: فوات الوفيات: (٢/ ٢٥٠)، وطبقات السبكي: (٥/ ٢٥١ ـ ٢٥٩)، والبداية والنهاية: (١٤/ ١٣١)، ومفتاح السعادة: (٢/٢١٨)، والنجوم الزاهرة: (٩/ ٢٧٠).

(٢) تقي الدين السبكي: هو علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي، أبو الحسن، تقي الدين، شيخ الإسلام في عصره، وأحد الحفاظ المفسّرين المناظرين، وهو والد التاج السبكي صاحب الطبقات، ولد تقي الدين السبكي عام ٦٨٣هـ الموافق ١٢٨٤م، وانتقل إِلىٰ القاهرة ثم إِلىٰ الشام، وولي القضاء في الشام سنة ٧٣٩هـ، واعتَلَّ فعاد إِلىٰ القاهرة، وتوفي فيها عام ٧٥٦هـ الموافق ١٣٥٥م.
انظر: طبقات الشافعية: (٦/ ١٤٦ ـ ٢٢٦)، والدرر الكامنة: (٣/ ٦٣).

(٣) سيدي الشيخ: إِشارة إِلىٰ شيخ الإسلام ابن تيميّة رضي الله عنه.

(٤) الزَّخارة: من زخر؛ أي: امتلأ وارتفع. والزاخر: الشَّرف العالي.

العلوم الشَّرعيَّة والعقليَّة، وفرط ذكائه واجتهاده، وبلوغه في كلِّ ذٰلك المبلغ الذي لا يتجاوزه الوصف.

والمملوك يقول ذٰلك دائماً، وقدره في نفسي أكبر من ذٰلك وأجلّ مع ما جمعه الله له من الزَّهادة والورع والدِّيانة، ونصرة الحقِّ والقيام فيه لا لغرض سواه، وجريه علىٰ سنن السَّلف وأخذه من ذٰلك المأخذ الأوفىٰ، وغرابة مثله في هٰذا الزَّمان، بل في أزمان» اهـ.

هٰذه شهادة الإمام تقيّ الدِّين السّبكي في الشَّيخ ابن تيميّة، وناهيك به مع ما كتب عنه ما كتب، وأَلَّف ما أَلَّف في الرَّدِّ عليه وتفنيد آرائه.

وإنَّها لدليلٌ علىٰ عظم الإمام السّبكي وإنصافه للشَّيخ ونموذجٌ يجب أَن يحتذي به العلماء في خصوماتهم العلميّة واختلافاتهم النَّظريَّة. وقدمنا ـ قبل هٰذا ـ عن الإمام الزَّملكاني مثل هٰذا الموقف مع ابن تيميَّة مع اختلافه معه في الرَّأي والمذهب.

وإنَّا نسأَل الله تعالىٰ أَن يُوفّق علماء عصرنا للتَّأَسِّي بهٰذين الإمامين وأَمثالهما من الأَئمّة السَّابقين فيما يختلفون فيه بينهم في الرأي والنَّظر.

* * *

وقال الحافظ أبو الحجاج المِزيّ:

«ما رأَيت مثله ولا رأىٰ هو مثل نفسه، وما رأَيتُ أَحداً أَعلم بكتاب الله عزَّ وجلَّ وسُنَّة رسوله ﷺ، ولا أَتبع لهما منه» اهـ.

* * *

وممَّا قاله نجم الدين إسحاق بن أَبي بكر بن ألمس التركي:

تمسَّك أَبا العبَّاس بالدِّين واعتصمْ	بحبلِ الهدىٰ، تقهر عداكَ وتَغْلبِ
ولا تَخْش من كيدِ الأَعادي فما هُمُ	سوىٰ جائرٍ في أَمرِهِ ومُذَبْذَبِ
جنودُهم مِنْ طامعٍ ومذلَّلٍ	مُسَيلمة فهم بلوذُ بأَشعبِ
وجندك من أَهلِ السَّماء ملائكٌ	يمدُّك منهم موكبٌ بَعْد موكبِ
وكلُّ امرىءٍ قَدْ باعَ لله نفسَهُ	فليس إذاً يصغي لقولِ مؤنِّبِ

* * *

وقال تقيّ الدِّين أَبي عبد اللّه محمَّد بن سليمان بن عبد اللّه بن سالم الجعبري:

يا ابن تيميَّة ويا أَوحدَ العصْـ ـر ويا سيِّداً غريب الدارِ
كنت كالكهفِ ملجأً لمخيفٍ من ضلالٍ، وناصراً باقتدارِ
إنْ دعوتُ البكاءَ بعدَك والصبـ ـرَ أجاب البكا، وولّىٰ اصطباري
فرجائي أن ينقطعْ من وصالٍ سوف يبقىٰ حزني مدىٰ الأَعمارِ
كنتَ حبّاً للمتَّقين إماماً فالْقَ ما قد وُعِدْتَ مِن ستارِ
كلُّ وقتٍ تحيَّةٌ وسلامٌ ما أضاءت كواكبُ الأَسحارِ

* * *

أما الشَّيخ محيي الدِّين أَحمد بن الحسن بن محمد الخيّاط فإنَّه يقول:

كان شيخ الإسلام في العلم والزُّ هد وحلّ مشكلات الكلامِ
كان جَبْرَ الكبرِ إنْ هاضه الدّ هرُ، وعون العاني، وحطم الحطامِ
كان حُبُّ الدُّنيا إليه بغيضاً فوق بغضِ الصَّحيح ثوب السّقامِ
كان لا يرغبُ الملوك ولا يَرْ غَبُ فيما لهم منَ الأنعامِ
كان وتراً في الفضل فَذّاً وكلُّ النّاس جاءوا بشفعهم والتّؤامِ
كان سمحاً بمثلهِ الدّهر ضَنّاً في ليالي الزّمانِ والأيّامِ
يا ابن تيميَّة، عليكَ خصوصاً وعموماً: تحيَّتي وسلامي
يا سليلَ العُلا، عليك القوافي قد بكت في الطّروس بالأقلامِ

* * *

وأَبدع الشَّيخ محيي الدِّين أَحمد بن الحسن الخياط إذ يقول من قصيدة طويلة له:

فيا أَحمدُ المحمودُ قد كنت للهدىٰ مناراً، وللشَّرع الحنيفيّ مشرّعا
وللدِّين والدُّنيا ضياء وبهجة إذ لاحَ وجهُ الخطبِ أسود أَسفعا
لقدْ كُنْتَ عن شرٍّ بطيئاً ووانياً وفي طلب الخيراتِ عجلانَ مسرعا
وللحكم طوداً راسخاً باذخ الذّرىٰ وللجودِ والإحسانِ والعلمِ منبعا

* * *

أَمَّا الشَّيخ برهان الدِّين أبي إسحاق إبراهيم ابن الشيخ شهاب الدِّين أحمد بن عبد الكريم التَّبريزي فإنَّه يقول:

إمامٌ عظيمٌ، عالمٌ، ومعلِّمٌ صبورٌ، شكورٌ للمهَيْمن طائعُ
فيا فوزَ مَنْ يحوي تصانيفه وَلاَ يزالُ لها في كلِّ وقتٍ يطالعُ

* * *

وكان شيخ الإسلام ابن تيميَّة رضي الله عنه سخيّاً كريماً ورعاً شجاعاً فريداً في عصره.

ففي كرمه وجوده يقول ابن فضل اللّه العمري[١]:

«كانت تأتيه القناطير المقنطرة من الذَّهب والفضَّة، فيهب ذٰلك بأجمعه، ويضعه عند أَهل الحاجة في موضعه، ولا يأْخذ منه شيئاً إلاَّ ليهبه، ولا يحفظه إلاَّ لِيُذْهبه» اهـ.

وفي ورعه يقول صفيّ الدِّين البخاري[٢]:

«أَمَّا ورعه فكان من الغاية التي ينتهي إليها في الورع، فما خالط النَّاس في بيعٍ ولا شراءٍ ولا معاملةٍ ولا تجارةٍ، ولا كان ناظراً أو مباشراً لوقفٍ، ولم يقبل صلة لنفسه من سلطانٍ ولا أَميرٍ ولا تاجرٍ، ولا ادَّخر ديناراً ولا درهماً ولم غيرهما، ولا زاحم في طلب الرِّياسات، ولا رُئي ساعياً في تحصيل المباحات، مع أَنَّ الملوك والأُمراء والكبرياء كانوا طوع أَمره خاضعين لقوله» اهـ.

وفي شجاعته ونجدته يقول العلاَّمة سراج الدِّين أبو حفص[٣]:

---

(١) ابن فضل اللّه العمري: هو أحمد بن يحيى بن فضل اللّه القرشي العدوي العمري، شهاب الدين. مؤرخ حجّة في معرفة الممالك والمسالك وخطوط الأقاليم والبلدان، ، إمام في التَّرسُّل والإنشاء، عارف بأخبار رجال عصره وتراجمهم، غزير المعرفة بالتاريخ ولا سيما تاريخ ملوك المغول من عهد جنكيزخان إلى عصره. ولد ابن فضل اللّه العمري في دمشق عام ٧٠٠هـ الموافق ١٣٠١م، وتوفي فيها عام ٧٤٩هـ الموافق ١٣٤٩م، له شعر في منتهى الرِّقَّة. من أعماله: ممالك عباد الصليب، والتعريف بالمصطلح الشريف، وفواصل السَّمر في فضائل آل عمر، ونفحة الروض، ويقظة السّاهر.
انظر: الدرر الكامنة (١/ ٣٣١)، والنجوم الزاهرة: (١/ ٣٣٤)، وفوات الوفيات: (١/ ٧).

(٢) صفي الدين البخاري: هو محمد بن أحمد بن محمد بن خير اللّه، أبو الفضل، صفي الدين الحنفي الأثري الحسيني البخاري، فاضل، من أعلم أهل الشام بالحديث في عصره، أَصله من بخارى، وولد فيها، سكن فلسطين، وتوفي بنابلس بالطاعون. من آثاره القول الجلي، في ترجمة ابن تيميَّة.
انظر: فهرس الفهارس: (١/ ١٥٢)، ومعجم المطبوعات: (٥٣٧).

(٣) سراج الدين أبو حفص: عالم وفقيه، له آراء جادة في الفقه وجريئة، عاصر الإمام ابن تيمية، وشهد معه الكثير من الوقائع والحروب.

«كان الشَّيخ إذا حضر في عسكر المسلمين في جهادٍ، ورأىٰ هَلَعاً من بعضهم أو جُبناً شجَّعه وثَبَّته، وبَشَّرَه وَوَعَده بالنَّصر والغنيمة، وبيَّن له فضل الجهاد والمجاهدين.

وكان إذا ركب الخيل يجول في العدوّ كأعظم الشُّجعان، ويتقدَّم كتائب الفرسان، ويخوض المعركة خوض رجلٍ لا يخاف الموت، وقد رأوا منه في فتح (عكّا) أُموراً من الشَّجاعة يعجز الواصف عن وصفها» اهـ.

وكانت له مواقف بطولةٍ وبسالةٍ ضدَّ جيش التّتار في سنة ٧٠٢هـ، يستنهض العزائم لجهادهم، ويلهب الشُّعور الإسلاميّ ضدَّهم مع عتوّهم وقسوتهم وإسرافهم في القتل والسّلب والظُّلم.

وقد ذهب بنفسه وَوَراءه جمعٌ من الأعيان إلىٰ ملكهم (قازان)، وواجهه في جراءةٍ وخاطبه بشدَّةٍ، فأخذته هيبة الشيخ، واستجاب لبعض ما طلب.

ثمَّ قصد إلىٰ مصر، يستحثّ سلطانها علىٰ حرب العدوّ المغير، وشهد بنفسه القتال في شهر رمضان سنة ٧٠٢هـ في موقعة شقحب[١]، المشهورة التي أسفرت عن انتصار جيش الإسلام وهزيمة جيش التّتار.

* * *

كما كانت له مواقف إسلاميَّة ضد المبتدعين والظَّلمة والمفسدين، ومن كان يوالي التّتار المغيرين من الشّيعة وقوَّض[٢] الخمَّارات، ومحال الخمور المحرمات في سنة ٦٩٩هـ وغير ذٰلك ممَّا دوَّنه المؤرّخون عنه قديماً وحديثاً[٣].

وفي وصفه عامَّةً يقول ابن فضل اللّه العمري:

«كان أُمَّةً وحده، وفرداً حتى نزل لحده، جاء في عصرٍ مأهولٍ بالعلماء، مشحونٍ

---

(١) شقحب: قرية في جنوب غربي دمشق، تبعد عنها ٢٥ ميلاً، كانت بها وقعة بين التتار وأهل الشام سنة ٧٠٢هـ.

(٢) قوَّض: هدم، وقوض البناء: هدمه أو نقضه من غير هدم. وقوّض صفوفها: فرّقها.

(٣) ومما أرّخه حديثاً الأساتذة الأفاضل: الشيخ بهجت البيطار من أعيان العلماء بدمشق، والشيخ عبد العزيز مصطفى المراغي، والشيخ محمد يوسف موسى رحمهم الله، والشيخ محمد أبو زهرة في مؤلفات قيّمة.

بنجومِ السَّماء، تموج في جانبيه خُضارم[١]، وتطير بين خافقيه نسورٌ قشاعم[٢]، وتُشرق في أنديته بدورٌ وضيئةٌ، إلاَّ أَنَّ صاحبه طمس تلك النُّجوم، وبحره طِمّ[٣] علىٰ تلك الغيوم، ففاءت[٤] سمرته علىٰ تلك التِّلاع[٥]، وأَطلَّت قسورته[٦] علىٰ تلك السِّباع، ثمَّ عُبِّئت له الكتائب، فحطَّم صفوفها، وخَطَمَ[٧] أُنوفها، وابتلع غديره المطمئنّ جداولها، واقتلع طوده[٨] المُرْجَحِنُّ[٩] جنادلها[١٠]، وأَخمدت أنفاسهم ريحه، وأَكمدت[١١] شررهم مصابيحه، فجمع أَشتات المذاهب، وشتات الذَّاهب» اهـ.

هٰذا هو ابن تيميَّة شيخ الإسلام، وإِمام أَهل الهدىٰ والعرفان، نادرة الزَّمان وأُعجوبة الدَّهر في القرنين السَّابع والثَّامن الهجري.

وهذه هي مواهبه الفطرية، ومقدرته الفكرية، وقوة عارضته، وسعة مداركه، وشدة ذكائه، وفهمه وحصافة[١٢] رأيه.

وهٰذا هو علوّ نفسه، وعظم همَّته، وبُعْد غايته، وسموّ قصده ومبلغ إِحاطته بزمنه وأَحوال أَهله، وبمختلف العلوم درساً وتحصيلاً وتدريساً وتأليفاً حتى بلغ رتبة الاجتهاد في الفقه، وتسنَّم ذروة الإمامة في كلِّ فنٍّ مارسه وبزَّ[١٣] فيه فطاحل[١٤] العلماء، وفاق فيه الأعيان والنُّظراء.

---

(١) الخضارم: الكثير الماء من بحر أو بئر أو غير ذلك، والكثير الواسع من كل شيء، والجواد المعطاء.

(٢) القشاعم: مفردها: قشعم؛ أي: المسنّ من الرِّجال والنّسور، والقشعم: الأسد، وأم قشعم: الحرب.

(٣) الطِّمّ: البحر.

(٤) فاءت: انبسطت.

(٥) التلاع: مفردها: تلعة، وهي ما ارتفع عن الأرض وأشرف.

(٦) القسورة: والقسور: الأسد. الجمع: قساور وقساورة. يقول تعالى في سورة المدثر، الآية: (٥١): ﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾.

(٧) خطم أنوفها: ثقب مقدمة أنوفها، وخطم فلاناً بالكلام: قهره ومنعه حتى لا يتكلَّم.

(٨) الطود: الجبل العظيم، الجمع: أطواد، يقول تعالىٰ في سورة الشعراء، الآية: (٦٣): ﴿فَانفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ﴾.

(٩) المرجحن: أرجحن: اهتز ومال وثقل، ومنه: أرجحن السحابُ، والردف.

(١٠) الجنادل: القوي الشديد من كلِّ شيء.

(١١) أكمدت: ختمت. والكمدة: تغيُّر اللون وذهاب صفائه.

(١٢) الحصافة: استحكام العقل ورجاحته وجودة رأيه.

(١٣) بزّ: غلب.

(١٤) الفطاحل: مفردها: فطحل: الضخم الممتلىء الجسم، السيل العظيم، الغزير العلم.

وهٰذه شهادة جمهرة من أئمَّة العلم والحديث والتَّاريخ عاصروه، أو كانوا علىٰ مقربةٍ من عصره.

وناهيك بالحافظ الذَّهبي، والإمام ابن الوردي، والحافظ اليعمري، والإمام ابن دقيق العيد، والحافظ المزيّ، والتّقيّ السّبكي، والإمام ابن الزّملكاني، والعماد الواسطي، وابن رجب الحنبلي[١]، وابن فضل الله العمري، وسراج الدِّين أبي حفص، وابن الألوسي[٢]. وصاحب شذرات الذهب[٣]، وصاحب فوات الوفيات[٤]، وغيرهم من أقطاب العلم والتَّاريخ في ذٰلك العصر.

وما نظنُّ أحداً تحدَّث عنه معاصروه ومن قربوا من عصره من الثّقات الأعلام كما تحدَّث هؤلاء الأئمَّة عن ابن تيميَّة وبلوغه مرتبة الإمامة في كلِّ فنٍّ: في التَّفسير والحديث والفقه، وفي العربيَّة، وفي الأُصول والكلام، وفي المنطق، والفلسفة، وفي التَّصوُّف، وفي الملل والنّحل والفرق، مع التَّصوُّف والعفاف والزُّهادة والعزوف عن الدُّنيا، وعلوّ الهمَّة، والتَّعبُّد، والإنابة إلىٰ الله، والاعتصام بالله في كلِّ أمرٍ، والشَّجاعة، والإقدام علىٰ اقتحام الخطوب لنصرة الإسلام ضدّ الطُّغاة المغيرين علىٰ البلاد، لا حبّاً في رياسةٍ، ولا طمعاً في مغنم، كلُّ ذٰلك مع اتّباع هدي الكتاب والسُّنَّة في كلِّ شأنٍ، والوقوف عند حدودهما في كلِّ

---

(١) ابن رجب الحنبلي: هو عبد الرحمٰن بن أحمد بن رجب السلامي البغدادي الدمشقي، أبو الفرج، زين الدين حافظ للحديث، من العلماء، ولد في بغداد عام ٧٣٦هـ الموافق ١٣٣٥م، ونشأ في دمشق، وتوفي فيها عام ٧٩٥هـ الموافق ١٣٩٣م، من آثاره: شرح جامع الترمذي، وجامع العلوم والحكم، وفضائل الشام، والاستخراج لأحكام الخراج، والقواعد الفقهية، ولطائف المعارف، وذيل طبقات الحنابلة لابن أبي يعلى، والاقتباس في مشكاة وصية النبيّ ﷺ لابن عباس، وأهوال القبور، وكشف الكربة في وصف حال أهل الغربة.

انظر: شذرات الذهب: (٦/ ٣٣٩)، والدرر الكامنة: (٢/ ٣٢١)، والأعلام: (٣/ ٣٩٥).

(٢) انظر كتاب: جلاء العينين.

(٣) صاحب شذرات الذهب: هو ابن العماد العسكري، عبد الحيّ بن أحمد بن محمد الحنبلي، أبو الفلاح، مؤرخ، وفقيه، عالم بالأدب، ولد في صالحية دمشق سنة ١٠٣٢هـ الموافق ١٦٢٣م، ومات بمكة سنة ١٠٨٩هـ الموافق ١٦٧٩م.

(٤) صاحب فوات الوفيات: هو محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمٰن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين، داراني المولد دمشقي الدار، سمع من ابن الشحنة، والمزي وغيرهما من علماء بعده، ولكنه حصل أكثر ثقافته عن طريق الوراقة والمتاجرة بالكتب.

انظر: الدرر الكامنة: (٤/ ٧١)، والبداية والنهاية: (١٤/ ٣٠٢ ـ ٣٠٣).

حالٍ، والذَّود عن حياضهما[١] بقوَّةٍ خارقةٍ، وعزيمةٍ صادقةٍ مخلصةٍ وشجاعةٍ وإقدامٍ وثقةٍ بالله تعالىٰ وإيمان.

* * *

وقد أَجمع مؤرّخو ابن تيميَّة علىٰ أنَّه كان في عصره أُمَّةً وحده، توافرت له شروط الاجتهاد، فكان في الدِّين مجتهداً، وبلغ رتبة الإمامة في كلِّ فنٍّ مارسه، فكان في العلوم إماماً مُتَّبَعاً، وكان أَتبع النَّاس للكتاب والسُّنَّة وأقوال الصَّحابة والتَّابعين المقتفين آثار النُّبوَّة، فكان سلفي[٢] العقيدة والمنهج، مقتدياً.

وكان شجاعاً جريئاً لا يرهب قوَّة، ولا يخشىٰ بطشاً من ذوي سلطان، فكان قائداً موفّقاً.

وكان صريحاً إلىٰ أَبعد الصَّراحة في رأيه ومناظراته وفتاواه ومؤلّفاته، مع حدَّة في الطَّبع، وعنف في الرَّدِّ علىٰ معارضيه إلىٰ حدِّ أَرَّثَ[٣] بينه وبينهم العداوة وأَوْرَثَ الكراهية - كما قاله الذَّهبي - وإِن كان بعضهم قد أَنصفه. كما سنشير إليه.

وكان عالي الهمَّة، عزيز النَّفس أَبيّاً عيوفاً[٤]، لا يذلّ ولا يستخذي[٥]، ولا يجاري ولا يماري[٦]، ولا يرىٰ لأَحدٍ عليه يداً يغضي[٧] لها حين يغضب، وقد وهبه الله العِلم، وأَعزَّه به، فلم يعتزَّ بسواه، ولم يقف بباب حاكمٍ، ولا أَميرٍ، طامعاً في رفدٍ[٨]، آملاً في جاهٍ.

---

(١) الحياض: الحوض، مجتمع الماء وأطرافه.

(٢) سلفي: من يرجع في الأحكام الشرعيَّة إلىٰ الكتاب والسُّنَّة، ويهدر ما سواهما، والسَّلف: هم الصحابة والتابعون وتابعو التابعين، ومقدمو الأئمة المجتهدين المقبولين الذين قال فيهم رسول الله ﷺ: «**خير القرون قرني ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**». ـ أخرجه الترمذي في سننه: (٢٣٠٢) و(٢٣٠٣)، وابن حجر في البداية والنهاية: (٦/٧ و١٣/ ٢١)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: (٢/ ٢٢٣) ـ.

(٣) أرث: أرث النار: أوقدها. وأرث بين القوم: أغرى بعضهم ببعض.

(٤) العيوف: الأبي الذي لا يُذل. والعنيف.

(٥) يستخذي: يُذَل ويُخضع.

(٦) يماري: يداهن.

(٧) يغضي: غض طرفه: خفضه وكفَّه، وغضَّ من فلان: نقص من قدره، وخفض من شأنه.

(٨) الرفد: العطاء والصّلة، الجمع: أرفاد.

وتلك سُنَّة السَّلف الصَّالح من أَئمَّة الإِسلام.

وكان يُمتحن بالمحن والشَّدائد فلا يفلُّ[١] له عزم، ولا تهن منه قوَّة، واثقاً بالله، متدرّعاً الصَّبر والرِّضا، محتسباً أَجر جهاده عند الله الذي يجزي الصَّابرين ولا أَجر المحسنين.

ولقد كان له أُسوة حسنة في رسول الله ﷺ وفي أَصحابه المجاهدين وأَئمَّة المسلمين، وفي إِمامه إِمام أَهل السُّنَّة والجماعة أحمد بن حنبل[٢] الذي قام لله مقام صدقٍ، صابراً على البلاء والمحنة، رضي الله عنهم أجمعين.

آراء ابن تيميَّة وآثاره:

كانت لابن تيميَّة آراء خالف فيها ما عليه جمهور العلماء في بعض العقائد والأَحكام، وفي آيات الصِّفات والأَحاديث الواردة فيها، وفي التَّوسُّل والوسيلة[٣]، وشدَّ الرِّحال لزيارة

---

(١) **يفل**: يهزم، يقال: لا يفل الحديد إلا الحديد؛ أي: لا يؤثر بالشيء إلاّ الشي مثله وما كان من جنسه.

(٢) **أحمد بن حنبل**: هو أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني، إمام المذهب الحنبلي، وأحد الأئمة الأربعة، أصله من مرو، كان أبوه والي سرخس، ولد في بغداد عام ١٦٤هـ الموافق ٧٨٠م، فنشأ منكباً على طلب العلم، سافر في سبيله أسفاراً كبيرة إلى الكوفة والبصرة ومكة والمدينة واليمن والشام والثغور والمغرب والجزائر والعراقين وفارس وخراسان والجبال والأطراف، صنّف المسند ويحتوي على ثلاثين ألف حديث، كان أسمر اللون، حسن الوجه، طويل القامة، يلبس الأبيض ويخضب رأسه ولحيته بالحناء، وفي أيامه دعا المأمون إلى القول بخلق القرآن، ومات قبل أن يناظر ابن حنبل، وتولى المعتصم فسجن ابن حنبل ثمانية وعشرين شهراً لامتناعه عن القول بخلق القرآن، وأطلق سنة ٢٢٠هـ، ولم يصبه شرٌّ في زمن الواثق بالله، وبعد أن توفي الواثق وولي أخوه المتوكل بن المعتصم أكرم الإمام ابن حنبل وقدَّمه، ومكث مدة لا يولي أحداً إلا بمشورته. وتوفي الإمام وهو على تقدمه عند المتوكل عام ٢٤١هـ الموافق ٨٥٥م.

انظر: طبقات ابن سعد: (٧/ ٢٥٤)، والتاريخ الكبير: (٢/ ٥)، والتاريخ الصغير (٢/ ٣٧٥)، والجرح والتعديل: (١/ ٢٩٢)، وحلية الأولياء: (٩/ ١٦١)، وتاريخ بغداد: (٤/ ٤١٢)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ طبعة الدار ـ: (١/ ٢٢٦) الترجمة رقم: (٩٣)، وطبقات الحنابلة: (١/ ٢٠٤)، وتذكرة الحفاظ للذهبي: (٢/ ٤٣١)، وتهذيب التهذيب: (١/ ٧٢)، وصفة الصفوة: (٢/ ١٩٠).

(٣) **التوسل والوسيلة**: يرى الإمام ابن تيميّة في التَّوسل والوسيلة رأيين:

الأول: إن أَراد بذلك أن الإيمان بالنَّبيّ ﷺ وطاعته وسيلة للعبد في قبول دعائه فهو أصدق.

والثاني: إن أراد الله لا يجيب دعاء أحد حتى يرفعه إلى مخلوق كالأنبياء والصَّالحين، فهو كاذبٌ.

وفي التوسل: يرى أن التوسُّل بالإيمان به وطاعته وشفاعته فهو مشروع باتفاق المسلمين.

القبور[١]، وفي الحلف وغير ذٰلك.

وكانت له مع الفلاسفة والمتصوّفة والرَّوافض وغلاة الشّيعة كالقرامطة، والباطنية الملاحدة[٢]، وسائر أَهل البدع والأَهواء، ومع أَهل الكتاب مواقف خالدة، ومناظرات هائلة في الشام ومصر شغلت النَّاس وأَثارت الأفكار، وحرَّكت الأنظار، واتَّسمت من جانبه ببعض الحدَّة والعنف.

وانقسم فيه العلماء والباحثون إلىٰ فرقٍ:

- فريقٌ يؤيّده ويُناصره.
- وفريقٌ آخر يُنابذه[٣].
- وفريق يوافقه في بعض وفي بعض يخالفه.

من مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيميَّة رضي الله عنه:

أَمَّا تصانيف الإِمام ابن تيميَّة ففي الدرر الكامنة أَنَّها ربما تزيد علىٰ أَربعة آلاف كرَّاسة، وفي فوات الوفيات أنها تبلغ ثلاث مئة مجلد، ومن أَعماله الخالدة:

١ ـ الاستغاثة ـ رسالة.

٢ ـ اقتضاء الصراط المستقيم ـ من منشورات دار الفكر ـ.

٣ ـ الإيمان ـ من منشورات الدار ـ.

٤ ـ تلخيص كتاب الاستغاثة ـ يُعرف بالرَّدِّ علىٰ البكري.

٥ ـ التَّوسُّل والوسيلة.

٦ ـ الجمع بين النَّقل والعقل.

---

(١) في شدِّ الرِّحال وزيارة القبور يرى الإمام ابن تيمية التالي:
١ ـ الزيارة الشرعية: وهي الصلاة على الجنازة والدعاء للميت كما كان رسول الله ﷺ يزور أهل البقيع.
٢ ـ الزيارة البدعية: وهي زيارة أهل الشرك، كزيارة النصارى للقبور، ويقصدون بذلك دعاء الميت والاستعانة به، والنبي ﷺ وأصحابه لم يفعلوا ذلك.

(٢) المتصوفة والروافض وغلاة الشيعة والقرامطة والباطنية والملاحدة، وغيرهم: انظر تعريفهم في الجزء الأخير من هذه المجموعة كتاب الفهارس، باب: الملل والنحل.

(٣) ينابذه: نبذ: ألقاه وطرحه ورماه فهو نابذ، ونبذ العهد: نقضه.

٧ - الجواب الصَّحيح لمن بدَّل دين المسيح.
٨ - الجوامع في السياسة الإلٰهية والآيات النَّبويَّة.
٩ - الحسبة في الإسلام - رسالة.
١٠ - ديوان شعر - جمعه الأستاذ محمَّد عبد الرَّحيم.
١١ - رأس الحسين (حقق فيها أَنَّ رأَس الحسين حمل إلى المدينة ودفن في البقيع).
١٢ - الرَّدُّ علىٰ ابن عربي والصُّوفيَّة.
١٣ - الرَّدُّ علىٰ الأخنائي.
١٤ - رفع الملام عن الأئمّة الأعلام.
١٥ - زيارة بيت المقدس - رسالة.
١٦ - زيارة القبور والاستنجاد بالمقبور - رسالة.
١٧ - السِّياسة الشَّرعيّة في إِصلاح الرَّاعي والرَّعيَّة - من منشورات الدار -.
١٨ - الصارم المسلول علىٰ شاتم الرَّسول ﷺ.
١٩ - العقود المحرمة.
٢٠ - العقيدة الأصفهانيّة - رسالة.
٢١ - الفتاوى.
٢٢ - الفرق المبين بين الطَّلاق واليمين.
٢٣ - الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشَّيطان.
٢٤ - الفرقان بين الحقِّ والباطل.
٢٥ - قتال الكفَّار.
٢٦ - القواعد النُّورانيَّة الفقهيَّة.
٢٧ - مجموع رسائل.
٢٨ - مجموعة الرَّسائل والمسائل - خمسة أجزاء.
٢٩ - معالم الأُصول.
٣٠ - منهاج السُّنَّة.

٣١ ـ نظرية العقد (كما سماه ناشره واسمه في الأصل: قاعدة في العقود).

٣٢ ـ نقض المنطق.

٣٣ ـ الواسطة بين الحق والخلق.

وللإمام ابن تيميَّة فضلٌ عظيمٌ ويدٌ طولىٰ علىٰ العلم والعلماء، والقضاة والمفتين، وسائر الباحثين في سائر العصور، فلقد نَصَرَ السُّنَّة المحضة[1]، والطَّريقة السَّلفيَّة، واحتجَّ لها ببراهين ومقدمات وأُمور لم يسبق إليها، وأَطلق عبارات أَحجم عنها الأوَّلون والآخرون، وهابوا، وجَسَرَ[2] هو عليها، حتى قام عليه خلقٌ من علماء مصر والشَّام قياماً لا مزيد عليه وبدَّعوه، وناظروه وكابروه، وهو ثابتٌ لا يداهن ولا يماري، بل يقول الحقّ المرّ الذي أَدَّاه إليه اجتهاده، وحدَّة ذهنه، وسعة دائرته في السُّنن والأَقوال، مع ما اشتهر به رضي الله تعالىٰ عنه من الورع، وكمال الفكر، وسرعة الإدراك.

* * *

وحُبس رضي الله عنه في الشَّام، وفي مصر، وفي الإسكندريَّة مراراً، ومات أَخيراً وهو سجين بقلعة دمشق في العشرين من شهر ذي القعدة سنة ٧٢٨هـ الموافق ١٣٢٨م عن سبعة وستين عاماً وثمانية أشهر وعشرة أيام رحمه الله. وذكر ابن كثير أَنَّه لم يتخلَّف عن تشييع جنازته إلا من لم يستطع إلىٰ ذٰلك سبيلاً، وحضرها نساء كثيرات حزرن بخمسة عشر ألفاً غير اللاتي كنَّ علىٰ الأسطحة وغيرها، وأَمَّا الرِّجال فحزروا بستين ألفاً إلىٰ مائة ألف.

ودفن رضي الله عنه بمقبرة الصُّوفيَّة إلىٰ جانب أَخيه شرف الدِّين عبد اللّه رحمهما الله تعالىٰ. وقد رثاه العديد من الشُّيوخ والعلماء، وفي ذٰلك يقول الشيخ الدَّقوقي:

تقيُّ الدين لمَّا مِتّ أَضحت ... لَكَ الدُّنيا تُصَيِّح بانتحابِ

وكنتَ البحرَ، فوقَ الأرض تمشي ... معاذ البحرِ من تحتِ التُّرابِ

---

(١) المحضة: الخالصة من كل شيء.

(٢) جسر: شَجُع، ومضى فيه ونفذ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قال الشَّيخ الإمام العلامة القدوة العارف الفقيه، الحافظ الزَّاهد العابد، السَّالك النَّاسك، مفتي الفرق، ركن الشَّريعة، عالم العصر، فريد الدَّهر، ترجمان القرآن، وارث الأنبياء، آخر المجتهدين، تقيّ الدِّين أبو العبّاس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السَّلام بن تيميَّة الحرّاني، تغمَّده الله برحمته:

في الاستئذان والدُّخول

قال الله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فِيهَآ أَحَدٗا فَلَا تَدۡخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤۡذَنَ لَكُمۡۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرۡجِعُواْ فَٱرۡجِعُواْۖ هُوَ أَزۡكَىٰ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ ﴿٢٨﴾ لَّيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ مَسۡكُونَةٖ فِيهَا مَتَٰعٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ ﴿٢٩﴾ قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ وَيَحۡفَظُواْ فُرُوجَهُمۡۚ ذَٰلِكَ أَزۡكَىٰ لَهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ﴿٣٠﴾ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾[١].

(١) سورة النور، الآيات: ٢٧ ـ ٣١. ﴿تَسۡتَأۡنِسُواْ﴾: تستأذنوا ممن يملك الإذن. ﴿أَزۡكَىٰ لَكُمۡ﴾: أطهر لكم من دنس الريبة والدَّناءة. ﴿جُنَاحٌ﴾: إثم. ﴿مَتَٰعٞ لَّكُمۡ﴾: منفعةٌ ومصلحة لكم. ﴿يَغُضُّواْ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِمۡ﴾: يكفوا نظرهم عن المحرمات. ﴿زِينَتَهُنَّ﴾: مواضع زينتهنَّ من الجسد. ﴿مَا ظَهَرَ مِنۡهَا﴾: الوجه والكفَّين والقدمين. ﴿وَلۡيَضۡرِبۡنَ﴾: وَلْيُلقين ويُسدلن. ﴿بِخُمُرِهِنَّ﴾: أغطية رؤوسهن (المقانع). ﴿عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾: على مواضعها (صدورهن وما حواليها). ﴿لِبُعُولَتِهِنَّ﴾: لأزواجهن. ﴿نِسَآئِهِنَّ﴾: المختصّات بهن بالصُّحبة أو الخدمة. ﴿أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ﴾: أصحاب الحاجة إلى النساء. ﴿لَمۡ يَظۡهَرُواْ﴾: لم يبلغوا حدَّ الشَّهوة.

وقد ثبت عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: «**إنَّما جُعِلَ الاستِئذانُ مِن أجلِ النَّظَرِ**»[١].

والنَّظر المنهيُّ عنه هو نظر العورات، ونظر الشَّهوات[٢]، وإن لم تكن من العورات[٣].

والله سبحانه ذكر الاستئذان على نوعين: ذكر في هذه الآية أحدهما، وفي الآيتين في آخر السُّورة النَّوع الثَّاني، وهو استئذان الصِّغار والمماليك، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ ۚ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ۚ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ ۚ﴾[٤].

فأمر باستئذان الصِّغار والمماليك حين الاستيقاظ من النَّوم، وحين إرادة النَّوم، وحين القائلة[٥]؛ فإنَّ في هذه الأوقات تبدو العورات، كما قال تعالى: ﴿ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ ۚ﴾.

---

(١) أخرجه بهذا اللفظ: البيهقي في السنن الكبرى: (٨/ ٣٣٨)، والطحاوي في مشكل الآثار: (١/ ٤٠٤). وأخرج البخاري في صحيحه في كتاب اللباس (٧٧) باب الامتشاط: (٧٥)، الحديث رقم: (٥٩٢٤) وفي كتاب الاستئذان: (٧٩) باب: الاستئذان من أجل البصر: (١١) الحديث رقم: (٦٢٤١)، وفي كتاب الديات: (٨٨) باب: من اطلع في بيت قوم ففقؤوا عينه فلا دية له: (٢٣)، الحديث رقم: (٦٩٠١)، والترمذي في سننه: (٢٧٠٩)، والنسائي في سننه: في كتاب القسامة باب: (٤٧)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٣٠) وهو في مسند أحمد ـ طبعة الدار ـ: (٢٢٨٦٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب: (٣/ ٤٣٧)، والحميدي في المسند: (٩٢٤)، والسيوطي في الدر المنثور: (٥/ ١٣٩)، وابن أبي شيبة في المصنف: (٨/ ٥٦٩)، والهندي في كنز العمال: (٢٥٢٠٦): قال رسول الله ﷺ: «**إنما جُعِلَ الاستِئذانُ مِن أجْلِ البَصَرِ**». وفي رواية: «**مِن أجل الأبْصارِ**».

(٢) **الشهوات**: المفرد: الشهوة: طلب النفس ما يلائمها. والشهوة عند الفقهاء: طلب النَّفس الجماع، والشهواني: الشَّديد الرَّغبة بالشهوات. (معجم لغة الفقهاء: ٢٦٦).

(٣) **العورات**: المفرد: العورة: كلُّ أمرٍ يستحيا منه. والعورة عند الفقهاء: ما أوجب الشارع ستره من الذَّكر والأُنثى، والعورة المُغَلَّظة: الذَّكر، والخصيتان، والفرج، والدُّبر. (معجم لغة الفقهاء: ٣٢٤).

(٤) سورة النور، الآية: (٥٨). وتتمتها: ﴿طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْـَٔايَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾.

(٥) القائلة: قال قيلاً، وقائلةً، وقيلولةً: نام واستراح في نصف النَّهار، فهو قائلٌ، الجمع: قُيَّلٌ، وقُيَّالٌ. والقيلولة: نومة نصف النهار، أو الاستراحة فيه، وإن لم يكن نومٌ. والقائلة: الظَّهيرة، والنَّوم في الظهيرة، والمَقيل: موضع القيلولة. أخرج الهيثمي في مجمع الزوائد: (٨/ ١١٢) وهو في مجمع الزوائد ـ طبعة الدار ـ: (١٣٢٥٦)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: (٥/ ١٤٣)، والهندي في كنز العمال: (٢١٤٧٧)، وابن حجر في فتح الباري: (١١/ ٧٠)، والقرطبي في تفسيره: (١٣/ ٢٣)، والعجلوني في كشف الخفاء: (٢/ ١٥٤): عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قِيْلُوا فإنَّ الشَّياطينَ لا تَقِيلُ**». وفي رواية: «**لاَ يَقِيلُ**».

وفي ذٰلك ما يدلُّ علىٰ أَنَّ المملوك المميَّز.

والمميَّزُ من الصِّبيان: ليس له أَن ينظر إِلىٰ عورة الرَّجلِ، كما لا يحلُّ للرَّجل أَن ينظر إِلىٰ عورة الصَّبيِّ، والمملوك وغيرهما.

وأَمَّا دخول هؤلاء في غير هذه الأَوقات بغير استئذانٍ فهو مأْخوذٌ من قوله تعالىٰ: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النور: ٥٨].

وفي ذٰلك دلالةٌ علىٰ أَنَّ الطَّوافين يرخَّص فيهم ما لا يرخَّص في غير الطَّوافين عليكم والطَّوافات.

والطَّواف: من يدخل بغير إِذن كما تدخل الهرَّة، وكما يدخل الصَّبيُّ والمملوك، وإِذا كان هٰذا في الصَّبي المميَّز فغير المميَّز أَولىٰ.

ويرخَّص في طهارته، كما قال ذٰلك طائفةٌ من الفقهاء من أَصحاب أَحمد[1] وغيرهم في الصِّبيان والهرَّة وغيرهم: أَنَّهم إِن أَصابتهم نجاسةٌ أَنَّها تطهر بمرور الرِّيق عليها، ولا تحتاج إِلىٰ غسل؛ لأَنَّهم من الطَّوافين، كما أَخبر به الرَّسول ﷺ في الهرَّة مع علمه أَنَّها تأْكل الفأْرة، ولم تكن بالمدينة مياه تردها السَّنانير[2] ليقال: طهُر فمها بورودها الماء، فعلم

(١) أحمد: هو أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله، الشيباني الوائلي، إمام المذهب الحنبلي، وأحد الأئمة الأربعة، أصله من مرو، وكان أبوه والي خراسان. ولد الإمام أحمد في بغداد سنة ١٦٤هـ الموافق ٧٨٠م، فنشأ منكبّاً على طلب العلم، وسافر في سبيله أسفاراً كبيرةً إلى الكوفة، والبصرة، ومكة، والمدينة، واليمن، والشام، والثغور، والمغرب، والجزائر، والعراقين، وفارس، وخراسان، والجبال، والأطراف، وصنّف كتاب المسند يحتوي على ثلاثين ألف حديث وله كتب في التاريخ، والناسخ والمنسوخ، والردُّ على الزنادقة فيما ادَّعت به من متشابه القرآن، والتفسير، وفضائل الصحابة، والمناسك، والزهد، والأشربة، والمسائل، والعلل والرجال. كان الإمام أحمد رضي الله عنه أسمر اللون، حسن الوجه، طويل القامة، يلبس الأبيض ويخضب رأسه ولحيته بالحنّاء. وفي أيامه دعا المأمون إلى القول بخلق القرآن، ومات قبل أن يناظر ابن حنبل، وتولى المعتصم، فسجن ابن حنبل ثمانية وعشرين شهراً لامتناعه عن القول بخلق القرآن، وأُطلق سنة ٢٢٠هـ، ولم يصبه شرٌّ في زمن الواثق بالله ـ بعد المعتصم ـ ولما توفي الواثق وولي أخوه المتوكل ابن المعتصم أكرم الإمام ابن حنبل وقدّمه، ومكث مدّةً لا يولي أحداً إلا بمشورته، وتوفي الإمام أحمد سنة ٢٤١هـ الموافق ٨٥٥م، وهو على تقدمة عند المتوكل.
انظر: حلية الأولياء: (٩/ ١٦١)، وصفة الصفوة: (٢/ ١٩٠)، وتاريخ بغداد: (٤/ ٤١٢)، والبداية والنهاية: (١٠/ ٣٢٥ ـ ٣٤٣)، ودائرة المعارف الإسلامية: (١/ ٤٩١ ـ ٤٩٦).

(٢) السنانير: المفرد: السِّنُّور: الهر. وكنيته: أبو خداش، وأبو غزوان، وأبو الهيثم، وأبو شماخ، والأنثى: أم شماخ. وله أسماء كثيرة. قال الدميري في حياة الحيوان الكبرى: (١/ ٥١٦): إن إعرابيّاً صاد سنوراً فلم يعرفه، فتلقّاه رجلٌ فقال: ما هذا السّنور؟ ولقي آخر فقال: ما هذا الهر؟ ثم لقي آخر فقال: ما هذا =

أَن طهارة هٰذه الأَفواه لا تحتاج إِلى غسلٍ[١].

فالاستئذان في أَوَّل السُّورة قبل دخول البيت مطلقاً، والتَّفريق في آخرها لأَجل الحاجة، لأَنَّ المملوك والصَّغير طوافٌ يحتاج إِلى دخول البيت في كلِّ ساعةٍ فشقَّ استئذانه، بخلاف المحتلم.

= الخيطل؟ ثم لقي آخر فقال: ما هذا الدم؟ فقال الأعرابي: أحمله وأبيعه لعل الله تعالى يجعل لي فيه مالاً كثيراً، فلما أتى به إلى السوق، قيل له: بكم هذا؟ فقال: بمائة. فقيل له: إنه يساوي نصف درهم، فرمى به وقال: لعنه الله، ما أكثر أسمائه وأقلّ ثمنه.

(١) الهر: حيوان طاهرٌ لما روى الإمام أحمد والدارقطني والحاكم والبيهقي من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ دعي إلى دار قوم فأجاب، وإلى دار آخرين فلم يجب، فقيل له في ذٰلك، فقال: **«إِنَّ في دَارِ فُلَانَ كَلْباً»**. فقيل له: وإنَّ فيَّ دار فلان هرة. فقال ﷺ: **«الهِرَّةُ لَيسَتْ بِنَجِسَةٍ إِنَّمَا هِيَ من الطَّوَّافينَ عَلَيكُمْ والطَّوَّافات»**. وانظر المصنف لابن أبي شيبة: (١/ ٣٢).

في غضّ البصر وحفظ الفرج

وقال تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[١].

فأَمر الله سبحانه الرِّجال والنِّساء بالغضِّ من البصر وحفظ الفرج[٢]، كما أَمرهم جميعاً بالتَّوبة، وأَمر النِّساء خصوصاً بالاستتار، وأَن لا يبدين زينتهنّ إلاَّ لبعولتهنَّ، ومن استثناه الله تعالى في الآية، فما ظهر من الزِّينة هو الثِّياب الظَّاهرة. فهٰذا لا جُناح عليها في إبدائها إذا لم يكن في ذلك محذورٌ آخر؛ فإنَّ هٰذه لا بدَّ من إبدائها، وهٰذا قول ابن مسعود[٣] وغيره، وهو المشهور عن أَحمد. وقال ابن عباس[٤]: الوجه واليدين من الزِّينة الظَّاهرة، وهي

---

(١) سورة النور، الآيتان: ٣٠ - ٣١. وقد أشير إلىٰ الآية في أول الكتاب.

(٢) الفرج: من الإنسان: ما بين رجليه. وكني به عن السَّوأة. والفرج عند الفقهاء: القُبُل من المرأة أو الرجل = مسلك الذَّكر من الأنثى، والقضيب من الرَّجل. وفرج المرأة الخارج: الظاهر المستطيل منه. وفرج المرأة الداخل: غشاء البكارة وما يليه إلى الداخل من المهبل. (معجم لغة الفقهاء: ٣٤٢).

(٣) ابن مسعود: هو عبد اللّه بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن، صحابي، من أكابرهم فضلاً وعقلاً، وقرباً من رسول الله ﷺ وهو من أهل مكة، ومن السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة، وكان خادم رسول الله ﷺ الأمين، وصاحب سرّه، ورفيقه في حلّه وترحاله وغزواته، يدخل عليه كلّ وقتٍ، ويمشي معه. نظر إليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوماً فقال: وعاءٌ مليء علماً. وولي ابن مسعود بعد وفاة النبيّ ﷺ بيت مال الكوفة، ثم قدم المدينة في خلافة عثمان، فتوفي فيها عن نحو ستين عاماً سنة ٣٢هـ الموافق ٦٥٣م. كان رضي الله عنه قصيراً جداً، يكاد الجلوس يوارونه، وكان يحب الإكثار من التَّطيّب، فإذا خرج من بيته عرف جيران الطّريق أنه مرَّ من طيب رائحته. روى عبد اللّه بن مسعود رضي الله عنه ٨٤٨ حديثاً عن رسول الله ﷺ. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة الترجمة رقم: (٤٩٥٥)، وغاية النهاية: (١/ ٤٥٨)، والبدء والتاريخ: (٥/ ٩٧)، وصفة الصفوة: (١/ ١٥٤)، وحلية الأولياء: (١/ ١٢٤).

(٤) ابن عباس: هو عبد اللّه بن عباس بن عبد المطلب القرشيُّ الهاشميّ، أبو العباس، حبر الأمة، الصّحابي الجليل. ولد عبد اللّه بن عباس في مكة سنة ٣ق.هـ الموافق ٦١٩م، ونشأ في بدء عصر النّبوّة، فلازم رسول الله ﷺ، وروى عنه الأحاديث الصحيحة، وشهد مع عليّ بن أبي طالب كرَّم الله وجهه الجمل وصفّين، وكفَّ بصره في آخر عمره، فسكن الطّائف، وتوفي بها سنة ٦٨هـ الموافق ٦٨٧م. قال ابن =

الرِّواية الثَّانية عن أَحمد، وهو قول طائفةٌ من العلماء كالشَّافعيِّ[١] وغيره.

وأَمر سبحانه النِّساء بإرخاء الجلابيب[٢] لئلاً يعرفن ولا يؤذين، وهٰذا دليلٌ علىٰ القول الأَوَّل، وقد ذكر عبيدة السَّلمانيّ[٣] وغيره: أَنَّ نساء المؤمنين كنَّ يدنين عليهنَّ الجلابيب

= مسعود: نِعم ترجمان القرآن ابن عبّاس. وقال عمرو بن دينار: ما رأيتُ مجلساً كان أجمع لكلِّ خيرٍ من مجلس ابن عبّاس، الحلال والحرام، والعربية، والأنساب، والشّعر. وقال عطاء: كان ناس يأتون ابن عبّاس في الشّعر والأنساب، وناس يأتونه لأيام العرب ووقائعهم، وناس يأتونه للفقه والعلم، فما منهم صنفٌ إلاّ يقبل عليهم بما يشاؤون، وكان كثيراً ما يجعل أيّامه يوماً للفقه، ويوماً للتأويل، ويوماً للمغازي، ويوماً للشّعر، ويوماً لوقائع العرب. وكان الخليفة عمر بن الخطّاب رضي الله عنه إذا أعضلت عليه قضيّةً دعا عبدَ اللّه بن عبّاس وقال له: أنت لها ولأمثالها، ثمَّ يأخذ بقوله، ولا يدعو لذلك أحداً سواه. وكان عبد اللّه بن عبّاس آيةً في الحفظ، أنشده عمر بن أبي ربيعة قصيدته التي مطلعها:

أمـن آل نـعـم أنـت غـاد فـمـبـكـر   غـداة غـدٍ أم رائـح فـمـهـجـر

فحفظها في مرّةٍ واحدةٍ، وهي ثمانون بيتاً. وكان ابن عباس إذا سمع النوادب سدَّ أُذنيه بأصابعه، مخافة أن يحفظ أقوالهن. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة الترجمة رقم: (٤٧٧٢)، وصفة الصفوة: (١/ ٣١٤)، وحلية الأولياء: (١/ ٣١٤)، وذيل المذيل: (٢١)، وتاريخ الخميس: (١/ ١٦٧)، ونكت الهميان: (١٨٠)، ونسب قريش: (٢٦)، والمحبر: (٢٨٩).

(١) الشافعي: هو محمد بن إدريس بن العبّاس بن عثمان بن شافع الهاشمي القرشي المطلبي، أبو عبد اللّه، أحَد الأئمة الأربعة عند أهل السُّنَّة، وإليه نسبة الشافعيّة كافَّةً. ولد الإمام الشافعي في غزة بفلسطين سنة ١٥٠هـ الموافق ٧٦٧م، وحمل منها إلى مكة وهو ابن سنتين، وزار بغداد مرتين، وقصد مصر سنة ١٩٩هـ فتوفي فيها، سنة ٢٠٤هـ الموافق ٨٢٠م، وقبره معروف في القاهرة. قال المبرد: كان الشافعي أشعر النّاس وآدبهم وأعرفهم بالفقه والقراءات. وقال الإمام أحمد بن حنبل: ما أحدٌ ممن بيده محبرة أو ورق إلا وللشافعي في رقبته منّة. وكان الشافعي من أحذق قريش بالرّمي، يصيب من العشرة عشرة، برع في ذلك أوّلاً، كما برع في الشّعر واللغة، وأيّام العرب، ثمَّ أقبل على الفقه والحديث، وكان ذكياً مفرطاً. وللإمام الشافعي تصانيف كثيرة أشهرها: الأم ـ في الفقه ـ. والمسند ـ في الحديث ـ وأحكام القرآن، والسنن، والرحالة ـ في أصول الفقه ـ واختلاف الحديث، والسبق والرمي، وفضائل قريش، وأدب القاضي، والمواريث. انظر: تذكرة الحفاظ: (١/ ٣٢٩)، وتهذيب التهذيب: (٩/ ٢٥)، وفوات الوفيات: (١/ ٤٤٧)، وإرشاد الأديب: (٦/ ٣٦٧ ـ ٣٩٨)، وغاية النهاية: (٢/ ٩٥)، وصفة الصفوة: (٢/ ١٤٠)، وتاريخ بغداد: (٢/ ٥٦ ـ ٧٣)، وحلية الأولياء: (٩/ ٦٣)، والانتقاء: (٦٦ ـ ١٠٣)، ونزهة الجليس: (٢/ ١٣٥)، وتاريخ الخميس: (٢/ ٣٣٥)، وطبقات الحنابلة: (١/ ٢٨٠ ـ ٢٨٤)، وكشف الظنون: (١٣٩٧)، وطبقات الشافعية: (١/ ١٨٥)، والبداية والنهاية: (١٠/ ٢٥١) وديوان الشافعي.

(٢) الجلابيب: المفرد: الجلباب، أي القميص، والثوب المشتمل على الجسد كله، وثوب واسع تشتمل به المرأة.

(٣) عبيدة السلماني: هو عبيدة بن عمر بن قيس بن عمرو السّلمانيّ المرادي، أبو عمرو الكوفي، وسلمان بطن من مُراد، وهو ابن ناجية بن مراد. أسلم قبل وفاة النّبيّ ﷺ بسنتين ولم يلقه. روى عن عبد اللّه بن الزبير، وعبد اللّه بن مسعود، وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم. قال الشعبي: كان شريح أعلمهم بالقضاء، وكان عبيدة يُوازي شريحاً في القضاء. وقال ابن سيرين: أدركت الكوفة وبها أربعةٌ ممن يُعَدُّ في =

من فوق رؤوسهنَّ حتى لا يظهر إِلاَّ عيونهنَّ لأَجل رؤية الطَّريق.

وثبت في الصّحيح: **«أن المرأة المحرمة تنهى عن الانتقاب والقفازين»**(١).

وهٰذا ممَّا يدلُّ علىٰ أَنَّ النِّقاب والقفَّازين(٢) كانا معروفين في النِّساء اللاَّتي لم يحرمن، وذٰلك يقتضي ستر وجوههنَّ وأيديهنَّ.

وقد نهىٰ الله تعالى عمَّا يوجب العلم بالزِّينة الخفيَّة بالسَّمع أَو غيره فقال: ﴿وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

وقال: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] فلمَّا نزل ذلك عَمدَ نساء المؤمنين إِلى خُمرهن(٣) فشققنهنَّ وأَرخينها علىٰ أعناقهنَّ. و«الجيب» هو شقٌّ في طول القميص. فإِذا ضربت المرأَة بالخمار علىٰ الجيب سترت عنقها، وأمرت بعد ذلك أَن ترخي من جلبابها، والإِرخاء إِنما يكون إِذا خرجت من البيت، فأما إِذا كانت في البيت فلا تؤمر بذٰلك.

وقد ثبت في الصَّحيح: «أَنَّ النَّبيَّ ﷺ لما دخل بصفيَّة(٤) قال أَصحابه: إِن أَرخى

= الفقه، فمن بدأ بالحارث بن قيس ثَنّىٰ بعبيدة، ومن بدأ بعبيدة ثَنّى بالحارث، ثمَّ علقمة الثالث وشريح الرابع. مات سنة ٧٢هـ الموافق ٦٩١م. انظر تهذيب الكمال في أسماء الرِّجال ـ طبعة الدار ـ: (١٢/ ٣٣٨) الترجمة رقم: (٤٣٤٠).

(١) أخرج البخاري في صحيحه في كتاب جزاء الصيد: (١٣)، باب: ما ينهى من الطيب للمحرم والمحرمة: (١٣) الحديث رقم: (١٨٣٨): عن عبد اللّه بن عمر رضي الله عنهما قال: قدم رجلٌ فقال: يا رسول الله... ماذا تأمرنا أن نلبس من الثياب في الإحرام؟ فقال النبي ﷺ: **«لاَ تَلْبَسُوا القَمِيصَ، وَلاَ السَّرَاوِيلاتِ، وَلاَ العَمَائِمَ، وَلاَ البَرَانِسَ، إِلاَّ أَن يَكُونُ أَحَدٌ لَيسَتْ لَهُ نَعْلاَنِ فَلْيَلْبسِ الخُفَّيْنِ، وَلْيَقْطَعْ أَسْفَلَ مِنَ الكَعْبَيْنِ، وَلاَ تَلْبَسُوا شَيْئاً مَسَّهُ زَعْفَرَانٌ وَلاَ الوَرْسُ وَلاَ تَنْتَقِبِ المَرْأَةُ المُحْرِمَةُ، وَلاَ تَلْبَسِ القُفَّازَيْنِ»**.

(٢) القفاز: لباسُ القفِّ، الجمع: قفافيز.

(٣) خمرهن: الخمار: ما تغطي به المرأَة رأسها، الجمع: أخمِرةٌ، وخُمْرٌ، وخُمُرٌ.

(٤) صفية: هي صفية بنت حيي بن أخطب، من الخزرج، من أزواج النّبي ﷺ، كانت في الجاهلية من ذوات الشرف، تدين باليهوديّة، من أهل المدينة، تزوّجها سلام بن مشكم القرظي، ثم فارقها، فتزوَّجها كنانة بن الربيع النضري، وقتل عنها يوم خيبر، وأسلمت، فتزوَّجها رسول الله ﷺ. روت صفية رضي الله عنها (١٠) أحاديث عن الحبيب المصطفى ﷺ. توفيت في المدينة المنورة سنة ٥٠هـ الموافق ٦٧٠م. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة كتاب النساء الترجمة رقم: (٦٤٧)، وطبقات ابن سعد: (٨/ ٨٥)، وصفة الصفوة: (٢/ ٢٧)، وحلية الأولياء: (٢/ ٥٤)، وذيل المذيل: (٧٦)، والسمط الثمين: (١١٨)، والجمع بين رجال الصحيحين: (٦٠٨)، والدر المنثور: (٢٦٣).

عليها الحجاب فهي من أُمَّهات المؤمنين، وإن لم يضرب عليها الحجاب فهي مما ملكت يمينه، فضرب عليها الحجاب»، (١) وإنَّما ضرب الحجاب على النِّساء لئلاً ترى وجوههنَّ وأَيديهنَّ.

والحجاب مختصٌ بالحرائر (٢) دون الإماء (٣)، كما كانت سُنَّة المؤمنين في زمن النَّبيِّ ﷺ وخلفائه أَن الحرَّة تحتجب والأَمة تبرز، وكان عمر (٤) رضي الله عنه إذا رأى أَمةً

---

(١) أخرج البخاري في صحيحه في كتاب النكاح: (٦٧)، باب: تزويج الصغار من الكبار: (١١)، الحديث رقم: (٥٠٨٥)، عن أنس رضي الله عنه قال: أقام النبيُّ ﷺ بين خيبر والمدينة ثلاثاً يُبنى عليه بصفيّة بنت حُيَيّ، فدعوت المسلمين إلى وليمته، فما كان فيها من خبز ولا لحم، أمر بالأنطاع، فألقي فيها من التمر والأقط والسَّمن، فكانت وليمته. فقال المسلمون: إحدى أمهات المؤمنين، أو مما ملكت يمينه؟ فقالوا: إن حجبها فهي من أمهات المؤمنين، وإن لم يحجبها فهي مما ملكت يمينه. فلمَّا ارتحل وطأ لها خلفه، ومدَّ الحجاب بينها وبين الناس.

(٢) الحرائر: المفرد: الحرَّة: الكريمة، وضد الأئمة.

(٣) الإماء: المفرد: الأمة، خلاف الحرَّة. والأمة عند الفقهاء: من ضُرب عليها الرقيق، أو وُلدت من أمٍّ رقيقةٍ ولم يطرأ عليها تحرير. (معجم لغة الفقهاء: ٨٨).

(٤) عمر: هو عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، أبو حفص، ثاني الخلفاء الراشدين، وأول من لُقِّب بأمير المؤمنين، الصحابي الجليل، الشُّجاع الحازم، صاحب الفتوحات، يُضرب بعدله المثل، كان في الجاهليّة من أبطال قريش وأشرافهم، وله السِّفارة فيهم، ينافر عنهم، وينذر من أرادوا إنذاره، وهو أحد العمرين اللّذين كان النبي ﷺ يدعو ربَّه أن يعزَّ الإسلام بأحدهما. ولد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في مكة سنة ٤٠ق.هـ الموافق ٥٨٤م، وأسلم قبل الهجرة بخمس سنين، وشهد الوقائع. قال ابن مسعود: ما كنّا نقدر أن نُصلِّي عند الكعبة حتى أسلم عمر. وقال عكرمة: لم يزل الإسلام في اختفاء حتى أسلم عمر. وكانت لعمر تجارةٌ بين الشام والحجاز. بويع عمر بالخلافة يوم وفاة أبي بكر سنة ١٣هـ بعهدٍ منه، وفي أيامه تم فتح الشام والعراق، وانفتحت القدس والمدائن ومصر والجزيرة، حتى قيل: انتصب في مدته اثنا عشر ألف منبر في الإسلام. وهو أول من وضع للعرب التاريخ الهجري، وكانوا يؤرخون بالوقائع، واتخذ بيت مال للمسلمين، وأمر ببناء البصرة والكوفة فبنيتا، وأول من دوَّن الدّواوين في الإسلام، جعلها على الطريقة الفارسية، لإحصاء أصحاب الأعطيات وتوزيع المرتبات عليهم، وكان يطوف في الأسواق منفرداً، ويقضي بين الناس حيث أدركه الخصوم، وكتب إلى عمّاله: إذا كتبتم لي فابدأوا بأنفسكم. روى الزهري قال: كان عمر إذا نزل به الأمر المعضل دعا الشبان فاستشارهم، يبتغي حدَّة عقولهم. ولعمر بن الخطاب رضي الله عنه كلماتٌ وخطبٌ ورسائل غايةٌ في البلاغة. وكان لا يكاد يعرض له أمرٌ إلا أنشد فيه بيت شعر. وكان أول ما فعله لما ولي أن ردَّ سبايا أهل الرِّدة إلى عشائرهن وقال: كرهت أن يصير السَّبيُ سُبَّةً على العرب. وكانت الدّراهم في أيامه على نقش الكسروية، وزاد في بعضها: (الحمد لله)، وفي بعضها: (لا إله إلا الله وحده)، وفي بعضها: (محمد رسول الله). روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه (٥٣٧) حديثاً عن رسول الله ﷺ. وكان نقش خاتمه: كفى بالموت واعظاً يا عمر. قالوا في صفته: كان أبيض عاجيّ اللون، طوالاً مشرفاً على الناس، كثُّ اللحية، أنزع =

مختمرةً[١] ضربها وقال: أتتشبَّهين بالحرائر أي لكاع[٢]، فيظهر من الأمة رأسها ويداها ووجهها.

وقال تعالىٰ: ﴿وَٱلْقَوَاعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ ٱلَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَن يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَٰتٍ بِزِينَةٍ وَأَن يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ﴾ [النور: ٦٠].

فرخَّص للعجوز التي لا تطمع في النِّكاح أَن تضع ثيابها فلا تلقي عليها جلبابها ولا تحتجب، وإن كانت مستثناةً من الحرائر لزوال المفسدة الموجودة في غيرها، كما استثنى التَّابعين غير أُولي الأربة من الرِّجال في إظهار الزِّينة لهم، لعدم الشَّهوة التي تتولَّد منها الفتنة، وكذٰلك الأَمَة إذا كان يخاف بها الفتنة كان عليها أن تُرخي من جلبابها وتحتجب، ووجب غضُّ البَصر عنها ومنها.

= (منحسر الشعر من جانبي الجبهة) يصبغ لحيته بالحناء والكتم. قتله أبو لؤلؤة فيروز الفارسي (غلام المغيرة بن شعبة) غيلةً بخنجرٍ في خاصرته وهو في صلاة الصبح سنة ٢٣هـ الموافق ٦٤٤م، وعاش بعد الطعنة ثلاث ليال. انظر: الكامل لابن الأثير: (٣/ ١٩)، وتاريخ الطبري: (١/ ١٨٧ ـ ٢١٧)، و(٢/ ٢ ـ ٨٢)، وتاريخ اليعقوبي: (٢/ ١١٧)، والإصابة في تمييز الصحابة الترجمة رقم: (٥٧٣٨)، وصفوة الصفوة: (١/ ١٠١)، وحلية الأولياء: (١/ ٣٨)، وتاريخ الخميس: (١/ ٢٥٩) و(٢/ ٢٣٩)، وأخبار القضاة لوكيع: (١/ ١٠٥)، والبدء والتاريخ: (٥/ ٨٨ و١٦٧)، وشذور العقود للمقريزي: (٥)، والكنى والأسماء: (١/ ٧)، والإسلام والحضارة العربية: (٢/ ١١ و٣٦٤).

(١) مختمرة: أي لابسة الخمار.

(٢) اللكع: اللئيم، والأحمق، يقال في النداء: يا لكع، وهي: لكعاء. ولكاع: يقال في سبِّ المرأة بالحمق: يا لكاع.

في غضِّ البَصر وترك الشَّهوات

وليس في الكتاب والسُّنَّة إِباحة النَّظر إِلى عامَّة الإِماء ولا ترك احتجابهنَّ وإِبداء زينتهنَّ، ولكنَّ القرآن لم يأمرهنَّ بما أمر الحرائر، والسُّنَّة فرَّقت بالفعل بينهنَّ وبين الحرائر، ولم تفرِّق بينهنَّ وبين الحرائر بلفظٍ عام، بل كانت عادة المؤمنين أن تحتجب منهم الحرائر دون الإِماء، واستثنىٰ القرآن من النّساء الحرائر القواعد فلم يجعل عليهنَّ احتجاباً، واستثنىٰ بعض الرِّجال وهم غير أُولي الأربة فلم يمنع من إِبداء الزِّينة الخفيَّة لهم لعدم الشَّهوة في هٰؤلاء وهٰؤلاء، فإِن يستثني بعض الإِماء أَولىٰ وأَحرىٰ، وهنَّ من كانت الشَّهوة والفتنة حاصلةً بترك احتجابها وإِبداء زينتها.

وكما أَن المحارم[١] أَبناء أَزواجهنَّ ونحوه ممن فيه شهوةٌ وشغفٌ لم يجز إِبداء الزِّينة الخفيَّة له، فالخطاب خرج عاماً علىٰ العادة، فما خرج عن العادة خرج به عن نظائره، فإِذا كان في ظهور الأَمة والنَّظر إِليها فتنةً وجب المنع من ذٰلك، كما لو كانت في غير ذٰلك، وهكذا الرَّجل مع الرِّجال، والمرأَة مع النِّساء: لو كان في المرأَة فتنة للنِّساء وفي الرَّجل فتنة للرِّجال لكان الأَمر بالغضِّ للنَّاظر من بصره متوجِّهاً، كما يتوجَّه إِليه الأَمر بحفظ فرجه، فالإِماء والصِّبيان إِذا كنَّ حساناً تختشىٰ الفتنة بالنَّظر إِليهم كان حكمهم كذٰلك، كما ذكر ذٰلك العلماء.

قال المروزي[٢]: قلت لأَبي عبد اللّه ـ يعني أحمد بن حنبل ـ الرَّجل ينظر إِلىٰ المملوك.

---

(١) المحارم: المفرد: المحرم. وهو ما حرَّمه الله، وما يدافع عنه، وذو الحُرمة. والمحرم في النكاح: من يَحْرُم نكاحه حُرمةً مؤبَّدةً. والمحرم في السَفر: المسلم البالغ العاقل الذي يحلُّ له النَّظر إلى المرأة ولمسها، زوجاً كان أم مما يحرم عليه نكاحها.

(٢) المروزي: هو محمد بن نصر المروزي، أبو عبد اللّه، إمام الفقه والحديث، كان من أعلم الناس باختلاف الصّحابة فمن بعدهم في الأحكام. ولد المروزي في بغداد سنة ٢٠٢هـ الموافق ٨١٧م، ونشأ =

قال: إذا خاف الفتنة لم ينظر إليه، كم نظرةً ألقت في قلب صاحبها البلاء.

وقال المروزي: قلت لأبي عبد الله: رجلٌ تاب، وقال: لو ضرب ظهري بالسِّياط ما دخلت في معصيةٍ إلاَّ أنَّه لا يدع النَّظر.

فقال: أيُّ توبةٍ هذه؟!.

قال جرير[١]: سألتُ رسول الله ﷺ عن نظرة الفجأة فقال: **«اصرِفْ بَصَرَكَ»**[٢].

وقال ابن أَبي الدُّنيا[٣]: ....

= بنيسابور، ورحل رحلةً طويلةً استوطن بعدها سمرقند وتوفي بها، له كتب كثيرة منها: (القسامة) في الفقه. قال أبو بكر الصَّيرفي: لو لم يكن له غيره لكان من أفقه الناس. و(المسند) في الحديث، وكتاب: (ما خالف به أبو حنيفة علياً وابن مسعود)، واختصر المقريزي ثلاثة من كتبه، طُبعت في جزءٍ واحدٍ وهي: (قيام الليل) و(قيام رمضان) و(الوتر). توفي سنة ٢٩٤هـ الموافق ٩٠٦م. انظر: تذكرة الحفاظ: (٢/ ٢٠١)، وتهذيب التهذيب: (٩/ ٤٨٩)، وتاريخ بغداد: (٣/ ٣١٥) والمنتظم: (٦/ ٦٣)، ومفتاح السّعادة: (٢/ ١٧١)، والنجوم الزاهرة: (٣/ ١٦١).

(١) جرير: هو جرير بن عبد الله بن جابر بن مالك البجلي، الصَّحابي الشَّهير، يكنى أبا عبد الله، وقيل: أبا عمرو. قال جرير: لما بعث الله النَّبيَّ ﷺ أتيته فقال: **«مَا جَاءَ بِكَ؟»** قلت: جئت لأسلم، فألقىٰ إليَّ كساءه وقال: **«إِذَا أَتَاكُمْ كَرِيمَ قَوْمٍ فَأَكْرِمُوهُ»** أخرجه ابن ماجه في سننه: (٣٧١٢)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٨/ ١٦٨)، والحاكم في المستدرك: (٤/ ٢٩٢)، والطبراني في المعجم الكبير: (٢/ ٣٧٠) والطبراني في المعجم الصغير: (٢/ ١٢)، وأبو نعيم في الحلية: (٦/ ٢٠٥)، والهندي في كنز العمال: (٢٥٤٨٤) و(٢٥٤٨٧)، وابن حجر في المطالب العالية: (٢٨١٥)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: (٤/ ١٨٤) و(٦/ ١٨٩ و٧٤٠ و٨٣٠). انظر الإصابة في تمييز الصحابة الترجمة رقم: (١١٣٢).

(٢) أخرجه أبو داود في سننه: (٢١٤٨) وأحمد في المسند: (٤/ ٣٦١)، والطبراني في المعجم الكبير: (٢/ ٣٨٤)، والبغوي في شرح السنة: (٢/ ٣٥٢)، والهندي في كنز العمال: (١٣٠٥٨) و(١٣٠٧٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب: (٣/ ٣٦).

(٣) ابن أبي الدُّنيا: هو عبد الله بن محمد بن عبيد بن سفيان، ابن أبي الدنيا القرشي الأموي، مولاهم، البغدادي، أبو بكر، حافظٌ للحديث، مكثر من التَّصنيف. ولد ابن أبي الدُّنيا في بغداد سنة ٢٠٨هـ الموافق ٨٢٣م، وتوفي فيها سنة ٢٨١هـ الموافق ٨٩٤م. أدّب ابن أبي الدُّنيا الخليفة المعتضد العباسي في حداثته، ثمّ أدب ابنه المكتفي. له مصنفات اطلع الذهبي على (٢٠) كتاباً منها، ثم ذكر أسماءها كلها فبلغت: (١٦٤) كتاباً منها: الفرج بعد الشِّدَّة، ومكارم الأخلاق، وذم الملاهي، واليقين، والشكر، وقرى الضيف، والعقل وفضله، وقصر الأمل، والإشراف على منازل الأشراف، والعظمة في عجائب الخلق، ومن عاش بعد الموت، وذم الدنيا، وكتاب الجوع، وذم المسكر، والرقة في البكاء، والصمت، وقضاء الحوائج، والنوادر، والرغائب، وأخبار قريش. كان ابن أبي الدنيا من الوعّاظ العارفين بأساليب الكلام وما يلائم طبائع الناس، إن شاء أضحك جليسه، وإن شاء أبكاه. انظر: تذكرة الحفاظ: (٢/ ٢٢٤)، وتهذيب التهذيب: (٦/ ١٢)، وفوات الوفيات: (١/ ٢٣٦)، وتاريخ بغداد: (١٠/ ٨٩)، ودائرة المعارف الإسلامية: (١/ ٧٢).

حدَّثني أَبي وسويد[١] قالا: حدثني إِبراهيم بن هراسة[٢] عن عثمان بن صالح[٣]، عن الحسن بن ذكوان[٤]، قال: لا تجالسوا أَولاد الأَغنياء فإِنَّ لهم صوراً كصور النِّساء، وهم أَشدُّ فتنةً من العذارىٰ.

وهٰذا الاستدلال والقياس والتَّنبيه بالأدنىٰ علىٰ الأعلىٰ، وكان يقال: لا يبيت الرَّجل في بيتٍ مع الغلام الأَمرد[٥].

وقال ابن أَبي الدُّنيا بإِسناده عن أَبي سهل الصَّعلوكي[٦]؛ قال: سيكون في هٰذه الأُمَّة قومٌ يقال لهم اللُّوطيون علىٰ ثلاثة أَصناف:

أ ـ صنفٌ ينظرون.

---

(١) سويد: هو سويد بن سعيد بن سهل بن شهريار الهروي، أبو محمد الحدثاني الأنباري، سكن حديثة النُّورة، وهي قرية تحت عانة وفوق الأنبار. قال أبو القاسم البغوي: كان من الحفّاظ، وكان أحمد بن حنبل ينتقي عليه لولديه صالح وعبد الله يختلفان إليه فيسمعان منه. مات سنة ٢٤٠هـ الموافق ٨٦٥م. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ طبعة الدار ـ: (٨/ ٢٠٥)، الترجمة رقم: (٢٦٢٦).

(٢) إبراهيم بن هراسة: الشيباني الكوفي. قال البخاري: تركوه. وقال النسائي: متروك. انظر: الميزان: (١/ ٧٢)، واللسان: (١/ ١٢١)، والجرح والتعديل: (٢/ ١٤٣).

(٣) عثمان بن صالح: بن سعيد بن يحيى الخياط الخلقاني، أبو القاسم البغدادي، أصله مروزي، مولى لبني كنانة. قال محمد بن إسحاق الثقفي وأبو بكر الخطيب، كان ثقة. وقال ابن حبان في كتاب (الثقات): عثمان بن صالح المروزي حدّث ببغداد، حسن الاستقامة في الحديث. توفي سنة ٢٥٦هـ الموافق ٨٠٩م. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ طبعة الدار ـ: (١٢/ ٤١٥) الترجمة رقم: (٤٤٠٧)، وتقريب التهذيب: (٣٨٤).

(٤) الحسن بن ذكوان: أبو سلمة البصري. قال يحيى بن معين: ضعيف. وقال أبو حاتم: ليس بالقوي. ذكره أبو حاتم بن حبان في (الثقات). روى له البخاري، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ طبعة الدار ـ: (٤/ ٣٢٩) الترجمة رقم: (١٢١١). وتهذيب التهذيب: (٢/ ٢٤١).

(٥) الأمرد: مرد الشاب مرداً، ومرودة: لم تنبت لحيته، أو أبطأ نبات وجهه، فهو أمردُ، الجمع مُرْدٌ.

(٦) أَبو سهل الصعلوكي: هو محمد بن سليمان بن محمد بن هارون الحنفي (من بني حنيفة)، أبو سهل الصعلوكي، فقيهٌ شافعيٌ من العلماء بالأدب والتفسير. ولد أبو سهل الصعلوكي في أصفهان سنة ٢٩٦هـ الموافق ٩٠٨م، وسكن نيسابور وتوفي فيها سنة ٣٦٩هـ الموافق ٩٨٠م. قال الصَّاحب بن عبّاد: ما رأينا مثله ولا رأىٰ مثل نفسه. وأورد الثعالبي أَبياتاً من نظمه، وقال: له شعرٌ كثيرٌ. درَّس بالبصرة بضعة أعوام، وبنيسابور ٣٢ سنة، ورويت عنه فوائد. انظر: طبقات الشافعية: (٢/ ١٦١ ـ ١٦٤)، والوافي بالوفيات: (٣/ ١٢٤)، ويتيمة الدهر: (٤/ ٢٩٩)، ومفتاح السعادة: (٢/ ١٧٧).

ب ـ وصنفٌ يصافحون.

ج ـ وصنفٌ يعملون ذٰلك العمل.

وقال إِبراهيم النُّخعي[١] : كانوا يكرهون مجالسة الأَغنياء وأَبناء الملوك.

وقال: مجالستهم فتنةٌ، إِنما هم بمنزلة النِّساء.

ووقفت جاريةٌ لم يرَ أَحسن وجهاً منها علىٰ بشر الحافي[٢] فسأَلته عن باب حرب[٣]، فدلَّها.

ثمَّ وقف عليه غلامٌ حسن الوجه فسأَله عن باب حرب.

فأَطرق رأسه، فردَّ عليه الغلام السُّؤال فغمض عينيه.

فقيل له: يا أَبا نصر! جاءتك جاريةٌ فسأَلتك فأَجبتها، وجاءك هٰذا الغلام فسأَلك فلم تكلِّمه.

فقال: نعم. يروىٰ عن سفيان الثَّوري[٤] أَنه قال: مع الجارية شيطان، ومع الغلام شيطانان، فخشيت علىٰ نفسي شيطانيه.

---

(١) إبراهيم النخعي: هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود، أبو عمران النخعي، من مذحج، من أكابر التَّابعين صلاحاً وصدق رواية وحفظاً للحديث، من أهل الكوفة. ولد إبراهيم النخعي سنة ٤٦هـ الموافق ٦٦٦م، ومات مختفياً من الحجاج بن يوسف سنة ٩٦هـ الموافق ٨١٥م. قال فيه الصَّلاح الصفدي: فقيه العراق، كان إماماً مجتهداً له مذهب. ولما بلغ الشَّعبيَّ موته قال: والله ما ترك بعده مثله. انظر: الطبقات الكبرى: (٦/١٨٨ ـ ١٩٩)، وحلية الأولياء: (٤/٢١٩)، وتاريخ الإسلام: (٣/٣٣٥)، وطبقات القراء: (١/٢٩).

(٢) بشر الحافي: هو بشر بن الحارث بن علي بن عبد الرَّحمن المروزي، أبو نصر، المعروف بالحافي، من كبار الصَّالحين، له في الزُّهد والورع أخبارٌ، وهو من ثقات رجال الحديث. ولد بشر الحافي في مرو سنة ١٥٠هـ الموافق ٧٦٧م، وسكن بغداد، وتوفي بها سنة ٢٢٧هـ الموافق ٨٤١م. قال المأمون: لم يبق في هذه الكورة أحد يستحيىٰ منه غير هذا الشيخ بشر بن الحارث. انظر: روضات الجنات: (١/١٢٣)، ووفيات الأعيان: (١/٩٠)، وتاريخ بغداد: (٧/٦٧ ـ ٨٠)، وصفة الصفوة: (٢/١٨٣)، وحلية الأولياء: (٨/٣٣٦)، وطبقات الشعراني: (١/٦٢)، وانظر كتابنا: العارف بالله بشر الحافي سيرته وكراماته من منشورات الدار.

(٣) باب حرب: ويقال له: الحربية: محلّة كبيرة مشهورة ببغداد، قرب مقبرة بشر الحافي وأحمد بن حنبل وغيرهما، يُنسب إلى حرب بن عبد الله البلخي، ويعرف بالراوندي أحد قوّاد أبي جعفر المنصور. انظر: معجم البلدان لياقوت: (٢/٢٣٧).

(٤) سفيان الثوري: هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، من بني ثور بن عبد مناة، من مضر، أبو =

وروىٰ أَبو الشَّيخ القزويني[١] بإسناده عن بشر أَنَّه قال: احذروا هٰؤلاء الأَحداث.

وقال فتح الموصلّي[٢]: صحبت ثلاثين شيخاً كانوا يُعَدُّون من الأبدَال[٣] كلُّهم أَوصاني عند مفارقتي له: اتَّق صحبة الأَحداث، اتق معاشرة الأَحداث.

وكان سفيان الثَّوري لا يدع أَمرد يجالسه.

وكان مالك بن أَنس[٤] يمنع دخول المرد مجلسه للسّماع، فاحتال هشام فدخل في غمار النَّاس مستتراً بهم وهو أَمرد فسمع منه ستَّة عشر حديثاً.

فأُخبر بذٰلك مالك فضربه ستة عشر سوطاً.

= عبد اللّه، أَمير المؤمنين في الحديث، كان سيد أَهل زمانه في علوم الدِّين والتَّقوىٰ. ولد سفيان الثوري في الكوفة سنة ٩٧هـ الموافق ٧١٦م، ونشأ فيها، وراوده المنصور العبّاسي أن يلي الحكم فأبىٰ، وخرج من الكوفة سنة ١٤٤هـ فسكن مكة، وانتقل إلىٰ البصرة فمات فيها مستخفياً سنة ١٦١هـ الموافق ٧٧٨م. من مؤلفاته: الجامع الكبير، والجامع الصغير، وكلاهما في الحديث، وكتابٌ في الفرائض. كان سفيان الثوري آيةً في الحفظ، من كلامه: ما حفظت شيئاً فنسيته. انظر: دول الإسلام: (١/ ٨٤)، والفهرست لابن النديم: (١/ ٢٢٥)، والجواهر المضية: (١/ ٢٥٠)، والطبقات الكبرى: (٦/ ٢٥٧)، والمعارف: (٢١٧)، وحلية الأولياء: (٦/ ٣٥٦) و(٧/ ٣)، وتهذيب التهذيب: (٤/ ١١١ ـ ١١٥)، وذيل المذيل: (١٠٥)، وتاريخ بغداد: (٩/ ١٥١)، وصيد الخاطر: (١٧٥).

(١) أبو الشيخ القزويني: روىٰ عن بشر.

(٢) فتح الموصلي: الزاهد الولي العابد، أبو نصر، فتح بن سعيد الموصلي. من أقواله: من أدام النظر بقلبه أورثه ذلك الفرح بالله. توفي سنة ٢٢٠هـ الموافق ٨٣٥م. انظر: سير أعلام النبلاء ـ طبعة الدار ـ: (٩/ ١٧٩) الترجمة رقم: (١٦٩٧).

(٣) الأبدال: الزُّهَّاد. والأبدال عند الصوفية: إحدى طبقاتها، يزعمون أنّه إذا مات بدلٌ من الأبدال حلَّ محلّه آخر.

(٤) مالك بن أنس: بن مالك الأَصبحي الحميري، أبو عبد اللّه، إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السّنَّة، وإليه تنسب المالكية. ولد الإمام مالك في المدينة سنة ٩٣هـ الموافق ٧١٢م، وتوفي فيها سنة ١٧٩هـ الموافق ٧٩٥م. كان الإمام مالك صلباً في دينه، بعيداً عن الأمراء والملوك، وشي به إلى جعفر عم المنصور العباسي، فضربه سياطاً انخلعت لها كتفه، ووجّه إليه الرشيد العباسي ليأتيه فيحدثه، فقال: العلم يُؤتىٰ، فقصد الرَّشيد منزله، واستند إلى الجدار، فقال مالك: يا أمير المؤمنين... من إجلال رسول الله ﷺ إجلال العلم، فجلس بين يديه، فحدَّثه، وسأله المنصور أن يضع كتاباً للنّاس يحملهم على العمل به، فصنّف الموطأ، وله رسالةٌ في الرَّدِّ على القدريّة، وكتاب في النجوم، وتفسير غريب القرآن، وأخباره كثيرةً. انظر: الديباج المذهب: (١٧ ـ ٣٠)، وفوات الوفيات: (١/ ٤٣٩)، وتهذيب التهذيب: (١٠/ ٥)، وصفة الصفوة: (٢/ ٩٩)، وحلية الأولياء: (٦/ ٣١٦)، وذيل المذيل: (١٠٦)، والانتقاء: (٩ ـ ٤٧)، وتاريخ الخميس: (٢/ ٣٣٢)، واللباب: (٣/ ٨٦).

فقال هشام: ليتني سمعت مائة حديثٍ وضربني مائة سوط.

وكان يقول: هٰذا عِلْمٌ إنَّما أَخذناه عن ذوي اللُّحىٰ والشُّيوخ فلا يحمله عنَّا إلا أَمثالهم.

وقال يحيى بن معين[1]: ما طمع أمردُ أَن يصحبني ولا أَحمد بن حنبل في طريقٍ.

وقال أَبو علي الروذباري[2]:

قال لي أَبو العباس أَحمد بن المؤدِّب[3]: يا أَبا علي من أَين أَخذ صوفية عصرنا هٰذا الأُنس بالأَحداث وقد تصحبهم السَّلامة في كثيرٍ من الأُمور؟

فقال: هيهات قد رأَينا من هو أَقوىٰ منهم إِيماناً إذا رأَىٰ الحدث قد أَقبل نفر منه كفراره من الأَسد، وإِنما ذاك علىٰ حسب الأَوقات التي تغلب الأَحوال علىٰ أَهلها فيأْخذها تصرف الطِّباع، ما أَكثر الخطأ، ما أَكثر الغلط!.

قال الجنيد بن محمد[4]: جاء رجلٌ إلىٰ أَحمد بن حنبل معه غلامٌ أَمرد حسن الوجه.

---

(١) يحيى بن معين: بن عون بن زياد المري بالولاء، البغدادي: أبو زكريا، من أئمة الحديث، ومؤرخي رجاله. ولد يحيى بن معين سنة ١٥٨هـ الموافق ٧٧٥م، وعاش ببغداد. نعته الذهبي بسيد الحفاظ. وقال ابن حجر العسقلاني: إمام الجرح والتعديل. وقال أحمد بن حنبل: أعلمنا بالرِّجال. من كلامه: كتبت بيدي ألف ألف حديث. له: التاريخ والعلل في الرجال، ومعرفة الرجال، والكنى والأسماء، وكان أبوه على خراج الرّيّ، فخلف له ثروةً كبيرة، فأنفقها في طلب الحديث، وتوفي بالمدينة حاجاً سنة ٢٣٣هـ الموافق ٨٤٨م، وصلى عليه أميرها. انظر: تذكرة الحفاظ: (٢/ ١٦)، وتهذيب التهذيب: (٢٨٠ ـ ٢٨٨)، وفوات الوفيات: (٢/ ٢١٤)، وطبقات الحنابلة: (٢٦٨)، وتاريخ بغداد: (١٤/ ١٧٧)، وشرح ألفية العراقي: (١/ ٢٨).

(٢) أبو علي الروذباري: هو محمد بن أحمد بن القاسم، فاضلٌ، من كبار الصوفية، من أولاد الرؤساء والوزراء، له تصانيف حسان في التصوف، أصله من بغداد، وسكن مصر، وتوفي سنة ٣٤٤هـ الموافق ٩٣٤م. انظر: تاريخ بغداد: (١/ ٣٢٩).

(٣) أبو العباس أحمد بن المؤدب: صوفي، روى عنه محمد بن أحمد بن القاسم، أبو علي الروذباري. له أقوال سائرة ومشهورة.

(٤) الجنيد بن محمد: بن الجنيد البغدادي الخزاز، أبو القاسم، صوفي، من العلماء بالدين مولده ومنشأه ووفاته ببغداد. توفي فيها سنة ٢٩٧هـ الموافق ٩١٠م. كان الجنيد يُعرف بالقواريري نسبة لعمل القوارير، وعرف بالجنيد الخزاز لأنه كان يعمل الخز. قال أحد معاصريه: ما رأت عيناي مثله، الكتبة يحضرون =

فقال له: من هٰذا الفتى؟!.

فقال الرجل: ابني.

فقال: لا تجيء به معك مرَّةً أُخرى.

فلامه بعض أَصحابه في ذٰلك.

فقال أَحمد: علىٰ هٰذا رأَينا أَشياخنا، وبه أَخبرونا عن أَسلافهم.

وجاء حسن بن الرَّازي[١] إلىٰ أَحمد ومعه غلامٌ حسن الوجه، فتحدَّث معه ساعة، فلمَّا أَراد أَن ينصرف قال له أَحمد:

يا أَبا علي! لا تمش مع هٰذا الغلام في طريق.

فقال: يا أَبا عبد اللّٰه! إِنَّه ابن أُختي.

قال: وإِن كان: لا يأْثم النَّاس فيك.

وروى ابن الجوزي[٢] بإِسناده عن سعيد بن المسيب[٣] قال: إِذا رأَيتم الرَّجل يلحُّ بالنَّظر إِلىٰ الغلام الأَمرد فاتهموه.

= مجلسه لألفاظه، والشُّعراء لفصاحته، والمتكلمون لمعانيه. والجنيد أول من تكلَّم في علم التوحيد ببغداد. قال ابن الأثير في وصفه: إمام الدنيا في زمانه. وعده العلماء شيخ مذهب التَّصوُّف لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسُّنَّة، ولكونه مصوناً من العقائد الذميمة، محميّ الأساس من شُبه الغلاة، سالماً من كلِّ ما يوجب اعتراض الشّرع. من كلامه: طريقنا مضبوطٌ بالكتاب والسُّنَّة، من لم يحفظ القرآن، ولم يكتب الحديث، ولم يتفقّه لا يقتدى به. انظر: وفيات الأعيان: (١/ ١١٧)، وحلية الأولياء: (١٠/ ٢٥٥)، وصفة الصفوة: (٢/ ٢٣٥)، وتاريخ بغداد: (٧/ ٧/ ٢٤١)، وطبقات السبكي: (٢/ ٢٨ ـ ٣٧)، وطبقات الحنابلة: (٨٩)، وطبقات الصوفية: (٤٨ ـ ٥١)، والعارف بالله الجنيد سيرته وكراماته من تأليف المحقق، من منشورات الدار.

(١) حسن بن الرازي: من معاصري الإمام أحمد بن حنبل، قيل: اسمه حسن بن يوسف الرازي، سكن قزوين، روى له ابن ماجه.

(٢) ابن الجوزي: هو عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج، علاّمة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصنيف. ولد ابن الجوزي في بغداد سنة ٥٠٨هـ الموافق ١١١٤م، وتوفي فيها سنة ٥٩٧هـ الموافق ١٢٠١م. له نحو ثلاثمائة مصنف. انظر: وفيات الأعيان: (١/ ٢٧٩)، والبداية والنهاية: (١٣/ ٢٨)، ومفتاح السعادة: (١/ ٢٠٧)، وذيل الروضتين: (٢١)، ومرآة الزمان: (٨/ ٤٨١).

(٣) سعيد بن المسيب: بن حزن بن أبي وهب المخزومي القرشي، أبو محمد، سيد التَّابعين، وأحد الفقهاء السَّبعة بالمدينة، جمع بين الحديث والفقه والزُّهد والورع. ولد سعيد بن المسيب سنة ١٣هـ الموافق ٦٣٤م، وكان يعيش من التجارة بالزَّيت لا يأخذ عطاءاً، وكان أحفظ الناس لأحكام عمر بن الخطاب =

وقد روي في ذلك أَحاديث مسندةٌ ضعيفةٌ، وحديثٌ مرسلٌ أَجود منها، وهو ما رواه أَبو محمد الخلاَّل[(١)]، ثنا عمر بن شاهين[(٢)]، ثنا محمد بن أَبي سعيد المقري[(٣)]، ثنا أَحمد بن حماد المصِّيصي[(٤)]، ثنا عبّاس بن مجوز[(٥)]، ثنا أَبو أُسامة[(٦)]، عن مجالد[(٧)]، عن سعيد، عن الشَّعبي[(٨)] قال:

= رضي الله عنه وأقضيته، حتى سُمِّي راوية عمر. توفي في المدينة سنة ٩٤هـ الموافق ٧١٣م. انظر: الطبقات الكبرى: (٥/ ٨٨)، وفوات الوفيات: (١/ ٢٠٦)، وصفة الصفوة: (٢/ ٤٤)، وتهذيب الكمال ـ طبعة الدار ـ: (٧/ ٢٩٧)، الترجمة رقم: (٢٣٤٠)، وحلية الأولياء: (٢/ ١٦١).

(١) أبو محمد الخلاَّل: هو أحمد بن محمد بن هارون، مفسِّر عالم بالحديث واللغة، من كبار الحنابلة، من أهل بغداد، كانت حلقته بجامع المهدي. قال ابن أبي يعلى: له التفاسير الدائرة والكتب السائرة. وقال الذهبي: جامع علم أحمد ومرتِّبه. من كتبه: تفسير الغريب، وطبقات أصحاب ابن حنبل، والحث على التجارة والصناعة والعمل، والسُّنَّة، والعلل، والجامع لعلوم الإمام أحمد في الحديث. توفي سنة ٣١١هـ الموافق ٩٢٣م. انظر: طبقات الحنابلة: (٢/ ١٢)، والبداية والنهاية: (١١/ ١٤٨)، وتذكرة الحفاظ: (٣/ ٧)، ومناقب الإمام أحمد: (٥١٢).

(٢) عمر بن شاهين: روى عن محمد بن أبي سعيد المقري، وروى عنه عمر بن شاهين. أورده الإمام ابن تيمية في الفتاوى.

(٣) محمد بن أبي سعيد المقري: روى عن أحمد بن حماد المصيصي، وأورده الإمام ابن تيمية في الفتاوى: (١٥/ ٣٧٧).

(٤) أحمد بن حمّاد المصيصي: روى عن عباس بن مجوز، وأورده الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية في الفتاوى: (١٥/ ٣٧٧).

(٥) عباس بن مجوز: روى عن أبي أسامة، وروى عنه أحمد بن حماد المصيصي.

(٦) أبو أسامة: روى عن مجالد؛ ذكره الإمام ابن تيمية في الفتاوى: (١٥/ ٣٧٧).

(٧) مجالد: بن سعيد بن عمير الهمذاني، راوية للحديث والأخبار، من أهل الكوفة، اختلفوا في توثيقه، وقال البخاري: صدوق. انظر: الجمع بين رجال الصحيحين: (٥٠٨)، والجرح والتعديل: (٤/ ٣٦١)، وتهذيب التهذيب: (١٠/ ٤٩)، وتهذيب الكمال ـ طبعة الدار ـ: (١٧/ ٤٣٧) الترجمة رقم: (٦٣٧١)، ومعجم ما استعجم: (١٠٠٨).

(٨) الشعبي: هو عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي الحميري، أبو عمرو، راوية، من التابعين، يُضرب المثل بحفظه. ولد في الكوفة سنة ١٩هـ الموافق ٦٤٠م ونشأ فيها ومات فيها فجأة سنة ١٠٣هـ الموافق ٧٢١م. اتصل الشعبي بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم. وكان ضئيلاً نحيفاً، ولد لسبعة أشهر، وسُئل عما بلغ إليه حفظه فقال: ما كتبت سوداء في بيضاء، ولا حدثني رجلٌ بحديث إلا حفظته، وهو من رجال الحديث الثقات، استقضاه عمر بن عبد العزيز، وكان فقيهاً شاعراً. انظر: تهذيب الكمال ـ طبعة الدار ـ: (٩/ ٣٤٩)، الترجمة رقم: (٣٠٢٦)، وفوات الوفيات: (١/ ٢٤٤)، وحلية الأولياء: (٤/ ٣١٠)، وتهذيب تاريخ دمشق: (٧/ ١٣٨)، وسمط اللآلي: (٧٥١)، وتاريخ بغداد: (١٢/ ٢٢٧).

قدم وفد عبد القيس[١] على رسول الله ﷺ وفيهم غلامٌ أمرد ظاهر الوضاءة[٢]، فأجلسه النَّبيُّ ﷺ وراء ظهره، وقال: **«كانَتْ خَطِيئَةُ داود في النَّظَرِ»**[٣] هٰذا حديثٌ منكرٌ.

وأما المسندة، فمنها ما رواه ابن الجوزي بإسناده عن أبي هريرة[٤]، عن النَّبيِّ ﷺ أنه قال: **«مَنْ نَظَرَ إلىٰ غُلامٍ أَمْرَدٍ بريبَةٍ حَبَسَهُ الله في النَّارِ أَرْبَعِينَ عَاماً»**[٥].

وروى الخطيب البغدادي[٦] ....

---

(١) عبد القيس: قبيلة عربية يرجع نسبها إلى جدها الجاهلي عبد القيس بن أفصى بن دعميّ من أسد ربيعة، من عدنان، النسبة إليه عبديّ وقيسيّ. كانت ديار بنيه بتهامة، ثم خرجوا إلى البحرين، واستقرُّوا بها، وهم بطونٌ كثيرةٌ. انظر: جمهرة الأنساب: (٢٧٨ ـ ٢٨٢)، ونهاية الأرب: (٢٧٥)، واللباب: (٢/ ١١٣)، ومعجم قبائل العرب: (٧٢٦).

(٢) الوضاءة: الحُسن والبهجة والنَّظافة.

(٣) قال الإمام الشوكاني في الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: (٢٠٦): تعليقاً على الخبر: لا أصل له، في إسناده مجاهيل.

(٤) أبو هريرة: هو عبد الرحمن بن صخر الدوسي، صحابي، كان أكثر الصحابة حفظاً للحديث وراوية له. ولد أبو هريرة سنة ٢١ق.هـ الموافق ٦٠٢م، ونشأ يتيماً ضعيفاً في الجاهلية، وقدم المدينة ورسول الله ﷺ بخيبر، فأسلم سنة ٧هـ، ولزم صحبة النبيّ، فروى عنه ٥٣٧٤ حديثاً، نقلها عن أبي هريرة أكثر من ٨٠٠ رجل بين صحابي وتابعي. ولي أبو هريرة إمرة المدينة مدَّةً، ولما صارت الخلافة إلى عمر استعمله على البحرين، ثم رآه ليّن العريكة مشغولاً بالعبادة عزله، وأراده بعد زمنٍ على العمل فأبى، وكان أكثر مقامه في المدينة وتوفي فيها سنة ٥٩هـ الموافق ٦٧٩م. انظر: تهذيب الكمال ـ طبعة الدار ـ: (٢٤/ ٩٠) الترجمة رقم: (٨٢٧٥)، وتهذيب الأسماء واللغات: (٢/ ٢٧٠)، والإصابة في تمييز الصحابة ـ الكنى ـ الترجمة رقم: (١١٧٩)، والجواهر المضية: (٢/ ٤١٨)، وصفة الصفوة: (١/ ٢٨٥)، وحلية الأولياء: (١/ ٣٧٦)، وذيل المذيل: (١١١).

(٥) أخرج الزيلعي في نصب الراية: (٤/ ٢٤٠): **«من نظر في محاسن امرأة أجنبية عن شهوة صب في عينيه... الحديث»**.

(٦) الخطيب البغدادي: هو أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر، المعروف بالخطيب، أحد حفاظ المؤرخين المقدمين. ولد الخطيب البغدادي في غزية ـ منتصف الطريق بين الكوفة ومكة ـ سنة ٣٩٢هـ الموافق ١٠٠٢هـ، ونشأ في بغداد، وتوفي فيها سنة ٤٦٣هـ الموافق ١٠٧٢م. رحل الخطيب البغدادي إلى مكة وسمع بالبصرة والدينور والكوفة وغيرها، وعاد إلى بغداد، فقرَّبه رئيس الرؤساء ابن مسلمة (وزير القائم العباسي) وعرف قدره، ثم حدثت شؤون خرج على أثرها مستتراً إلى الشام، فأقام مدة في دمشق وصور وطرابلس وحلب سنة ٤٦٢هـ ولما مرض مرضه الأخير وقف كتبه، وفرّق جميع ماله في وجوه البرّ وعلى أهل العلم والحديث. كان الخطيب البغدادي فصيح اللهجة، عارفاً بالأدب، يقول الشعر، ولوعاً بالمطالعة والتأليف. ذكر ياقوت أسماء ٥٦ كتاباً من مصنّفاته، من أفضلها: تاريخ بغداد. انظر: معجم الأدباء: (١/ ٢٤٨)، وطبقات الشافعية: (٢/ ١٢)، والنجوم الزاهرة: (٥/ ٨٧)، ووفيات الأعيان: (١/ ٣٧)، واللباب: (١/ ٣٨٠).

بإسناده عن أنس[1]، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**لا تُجَالِسُوا أَبْنَاءَ المُلُوكِ؛ فَإِنَّ الأَنْفُسَ تَشْتَاقُ إِلَيهِمْ مَا لاَ تَشْتَاقُ إِلىٰ الجَوارِي العَوَاتِقِ**»[2]. إلىٰ غير ذٰلك من الأحاديث الضَّعيفة.

وكذٰلك المرأة مع المرأة، وكذٰلك محارم المرأة: مثل ابن زوجها، وابنه، وابن أخيها، وابن أختها، ومملوكها عند من يجعله محرماً: متى كان يخاف عليه الفتنة أو عليها توجه الاحتجاب بل وجب. وهٰذه المواضع التي أمر الله تعالىٰ بالاحتجاب فيها مظنّة الفتنة؛ ولهٰذا قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٣٠] فقد تحصل الزَّكاة والطَّهارة بدون ذٰلك لكنَّ هٰذا أزكىٰ، وإذا كان النَّظر والبروز قد انتفى فيه الزَّكاة والطَّهارة لما يوجد في ذلك من شهوة القلب واللَّذة بالنَّظر كان ترك النَّظر والاحتجاب أولىٰ بالوجوب، ولا زكاة بدون حفظ الفرج من الفاحشة؛ لأنَّ حفظه يتضمَّن حفظه عن الوطء به في الفروج والأدبار ودون ذٰلك، وعن المباشرة، ومسِّ الغير له، وكشفه للغير، ونظر الغير إليه، فعليه أن يحفظ فرجه عن نظر الغير ومسّه.

ولهٰذا قال ﷺ في حديث بهز بن حكيم[3]، عن أبيه، عن جده، لمّا قال له: يا رسول الله! عوراتنا ما نأتي منها وما نذر فقال: «**احْفَظْ عَوْرَتَكَ إلاَّ مِنْ زَوْجَتِكَ أَوْ مَا مَلَكَتْ يمينُكَ**». قال: فإذا كان القوم بعضهم في بعض؟

قال ﷺ: «**إِنِ اسْتَطَعْتَ أَن لا يَرَيَنَّهَا أَحَدٌ فَلاَ يَرَيَنَّها**» قال: فإذا كان أحدنا خالياً؟.
قال ﷺ: «**فاللّه أَحَقُّ أَن يُسْتَحيىٰ مِنه مِنَ النَّاسِ**»[4].

---

(١) أنس: بن مالك بن النضر بن ضمضم البخاري الخزرجي الأنصاري، أبو ثمامة، أو أبو حمزة، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه. ولد أنس في المدينة سنة ١٠ق.هـ الموافق ٦١٢م، وأسلم صغيراً، وخدم النبيَّ ﷺ إلى أن قُبض، ثم رحل إلى دمشق، ومنها إلى البصرة، فمات فيها سنة ٩٣هـ الموافق ٧١٢م، وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة. انظر: تهذيب الكمال ـ طبعة الدار ـ: (٢/ ٣٣٠)، الترجمة رقم: (٥٥٩)، والطبقات الكبرى: (٧/ ١٠)، وتهذيب تاريخ دمشق: (٣/ ١٣٩)، والجمع بين رجال الصحيحين: (٣٥)، وصفة الصفوة: (١/ ٢٩٨).

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: (٥/ ١٩٨)، وابن الجوزي في العلل المتناهية: (٢/ ٢٨٤).

(٣) بهز بن حكيم: بن معاوية بن حيدة القشيري، أبو عبد الملك البصري، أخو سعيد بن حكيم. سُئل يحيى بن معين عن بهز بن حكيم، عن أبيه، عن جدّه، فقال: إسنادٌ صحيحٌ، إذا كان دون بهز ثقة. وقال النّسائيُّ: ثقة. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ طبعة دار الفكر ـ: (٣/ ١٦٨) الترجمة رقم: (٧٦٢)، وتهذيب التهذيب: (١/ ٤٣٧).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه: (٤٠١٧)، والترمذي في سننه: (٢٧٩٤)، وابن ماجه في سننه: (١٩٢٠)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣ و٤)، وهو في مسند أحمد ـ طبعة دار الفكر ـ: (٢٠٠٥٤)، والبيهقي في السنن الكبرى: (١/ ١٩٩) و(٢/ ٢٢٥) و(٧/ ٩٤)، والحاكم في المستدرك (٤/ ١٨٠)، والزيلعي في=

وقد نهىٰ النَّبيّ ﷺ أن تُباشر المرأة المرأة في شِعار واحدٍ، وأن يباشر الرَّجل الرَّجل في شعارٍ واحدٍ[١].

ونهى عن المشي عراة[٢].

ونهى عن أن ينظر الرَّجل إلىٰ عورة الرَّجل، وأن تنظر المرأة إلىٰ عورة المرأة[٣].

وقال ﷺ: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللّه وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلاَ يَدْخُلُ الحَمَّامَ إلاّ بِمِئزَرٍ»**. وفي رواية: **«مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ باللّه وَاليَوْمِ الآخِرِ مِنْ إِنَاثِ أُمَّتي فَلاَ تَدْخُلُ الحَمَّامَ إلاّ بمِئزَرٍ»**[٤].

وقال العلماء: يُرخَّص للنِّساء في الحمام عند الحاجة، كما يُرخَّص للرِّجال مع غضّ البصر، وحفظ الفرج، وذٰلك مثل أن تكون مريضةً أو نفساء، أو عليها غُسل لا يمكنها إلاّ في الحمَّام. وأمّا إذا اعتادت الحمَّام وشقَّ عليها تركه فهل يباح لها؟ علىٰ قولين في مذهب أحمد وغيره:

أحدهما: لا يباح.

والثاني: يباح، وهو مذهب أبي حنيفة واختاره ابن الجوزيّ.

= نصب الراية: (٤/ ٢٤٥)، وابن حجر في فتح الباري: (١/ ٨٦)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: (٣/ ٢٦١)، وأورده الألباني في الإرواء: (٦/ ١٢).

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: (٤/ ٢٨٧)، والطبراني في المعجم الكبير: (١١/ ٢٩٩)، وابن أبي شيبة في المصنف: (٤/ ٣٩٨)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٧/ ٩٨).

(٢) أخرج ابن الجوزي في العلل المتناهية: (١/ ٣٢٨). **«نهىٰ عن التعرّي»**.

(٣) أخرج الطبراني في المعجم الكبير: (١٢/ ٢٨١): **«نهى عن أن ينظر الرّجل إلىٰ عورة أخيه»**.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه: (٢٨٠١)، والطبراني في المعجم الكبير: (١١/ ١٩١)، والهيثمي في مجمع الزوائد: (١/ ٢٧٧ و٢٧٨ و٢٧٩)، وهو في مجمع الزوائد ـ طبعة دار الفكر ـ: (١٥١٥) و(١٥١٦) و(١٥٢٠) و(١٥٢١) و(١٥٢٨)، والبزار في المسند: (٣١٨)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: (٢/ ٤٠٧)، والسيوطي في الدر المنثور: (٣/ ٣٢٣)، والمنذري في الترغيب والترهيب: (١/ ١٤٠ و١٤٢ و١٤٣ و١٤٥ و٥٤٤)، والهيثمي في موارد الظمآن: (٢٣٨) و(٢٠٥٣)، وأورده الألباني في آداب الزفاف: (٥٩).

في غضّ البصر عن بيوت الآخرين

وكما يتناول غضّ البصر عن عورة الغير وما أشبهها من النَّظر إلىٰ المحرّمات فإنَّه يتناول الغضُّ عن بيوت النَّاس، فبيت الرَّجل يستر بدنه كما تستره ثيابه، وقد ذكر سبحانه غضّ البصر وحفظ الفرج بعد آية الاستئذان، وذٰلك أنَّ البيوت سترة كالثِّياب التي علىٰ البدن، كما جمع بين اللِّباسين في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْجِبَالِ أَكْنَٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ﴾ [النحل: ٨١] فكلٌّ منهما وقايةٌ من الأذىٰ الذي يكون سموماً مؤذياً كالحرّ والشَّمس والبرد، وما يكون من بني آدم من النَّظر بالعين واليد وغير ذٰلك.

وقد ذكر في أوَّل: «سورة النَّحل» أُصول النِّعم، وذكر هنا ما يدفع البرد فإنَّه من المهلكات، وذكر في أثنائها تمام النِّعم، وما يدفع الحرّ فإنَّه من المؤذيات، ثمَّ قال: ﴿كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١].

وفي الصّحيحين عن أبي هريرة: أنَّه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«إذَا اطَّلَعَ في بَيْتِكَ أَحدٌ وَلَمْ تأْذَنْ لَهُ فَخذفْتهُ[1] بحصَاةٍ ففَقَأْتَ عَيْنَهُ مَا كَانَ عَلَيْكَ مِنْ جُنَاحٍ»**[2].

وهٰذا الخاص يفسّر العام الذي في الصَّحيح عن عبد اللّه بن مغفل: أنَّه رأىٰ رجلاً يخذف قال: لا تخذف؛ فإن رسول الله ﷺ نهىٰ عن الخذف، وقال: **«إنَّه لاَ يُصَادُ بِه صَيدٌ وَلاَ يُنكأُ بِهِ عَدُوٌّ، وَلكنَّها تَكْسِرُ السِّنَّ وَتَفقَأُ العَيْنَ»**[3].

---

(١) خذف: الرمي بالحجر. والمِخذفة: المقلاع ونحوه ممّا يوضع فيه الحجر ويُرمى به الطّير وغيره، الجمع: مخاذف.

(٢) أخرج البخاري في صحيحه: (٦٨٨٨) و(٦٩٠٢): **«لو اطَّلعَ في بَيتِكَ أحدٌ، ولم تأذنْ له خذفْتَهُ بِحَصَاةٍ فَفَقَأْت عينه ما كانَ عليك من جُناحٍ»**.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه: (٥٢٧٠)، وأحمد في المسند: (٤/ ٨٦) و(٥/ ٤٦ و٥٤ و٥٥ و٥٧) وهو في مسند أحمد ـ طبعة دار الفكر ـ: (١٦٧٩٤) و(٢٠٤٨٥) و(٢٠٥٦٣) و(٢٠٥٧٤) و(٢٠٥٩٦)، والحاكم في المستدرك: (٤/ ٢٨٣)، وابن حجر في فتح الباري: (٨/ ٤٨٧)، والسيوطي في الدر المنثور: (٥/ ١٤٤).

وفي الصَّحيحين عن سهل بن سعد[١] أَنَّ رجلاً اطَّلع في حجرةٍ في باب النَّبيِّ ﷺ، ومع النَّبيِّ ﷺ مدرى يحكُّ بها رأسه، فقال: **«لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُر إِلَيَّ لَطَعَنْتُ بِهِ في عَيْنِكَ؛ إِنَّما جُعِلَ الاسْتِئْذَانُ مِنْ أَجْلِ البَصَرِ»**[٢].

وقد ظنَّ طائفةٌ من العلماء أَنَّ هٰذا من باب دفع الصَّائل[٣]؛ لأَنَّ النَّاظر معتدٍ بنظره فيدفع كما يدفع سائر البغاة، ولو كانَ الأَمر كما قالوا لدفع بالأَسهل فالأَسهل. ولم يجز قلع عينه ابتداءً إِذا لم يذهب إِلاَّ بذٰلك، والنُّصوص تخالف ذٰلك، فإِنَّه أَباح أَن تخذفه حتَّىٰ تفقأَ عينه قبل أَمره بالانصراف، وكذٰلك قوله: **«لَوْ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَنْظُرني لَطَعَنْتُ بِهِ في عَيْنِكِ»**[٤] فجعل نفس النَّظر مبيحاً للطَّعن في العين، ولم يذكر الأَمر له بالانصراف، وهٰذا يدلُّ علىٰ أَنَّه من باب المعاقبة له علىٰ ذٰلك حيث جنىٰ هٰذه الجناية علىٰ حُرمة صاحب البيت فله أَن يفقأَ عينه بالحصا والمِدرىٰ[٥].



(١) سهل بن سعد: الخزرجي الأنصاري، من بني ساعدة، صحابي، من مشاهيرهم، من أَهل المدينة، عاش نحو مئة سنة، توفي سنة ٩١هـ الموافق ٧١٠م. روى سهل بن سعد رضي الله عنه ١٨٨ حديثاً عن رسول الله ﷺ. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة الترجمة رقم: (٣٥٢٦).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (٦٢٤١)، ومسلم في صحيحه: (٢١٥٦)، والدارمي في سننه: (٢/ ١٩٨)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٨/ ٣٣٨)، والطبراني في المعجم الكبير: (٦/ ١٠٢ و١٣٥ و١٣٦)، والحميدي في المسند: (٩٢٤)، والبخاري في الأدب المفرد: (١٠٧٠)، والتبريزي في المشكاة: (٣٥١٥)، وابن حجر في تلخيص الحبير: (٤/ ٢١٥)، والطحاوي في مشكل الآثار: (١/ ٤٠٤)، والهندي في كنز العمال: (٢٥٢٣٤) و(٢٥٧١٤)، والسيوطي في الدر المنثور: (٥/ ٣٩)، وابن حجر في فتح الباري: (١١/ ٢٤) و(١٢/ ٢٤٣).

(٣) الصَّائل: القاهر.

(٤) سبق تخريجه في هذا الباب.

(٥) المدرى: القرن، وشيء كالمسلّة من حديدٍ أو خشبٍ علىٰ شكل سنٍّ من أسنان المشط يُسَرَّح به الشَّعْر المتلبّد، الجمع: المداري.

في أنَّ النَّظر إلى العورات حرام

والنَّظر إلى العورات[1] حرامٌ داخلٌ في قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ [الأعراف: ٣٣] وفي قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ﴾ [الانعام: ١٥١] فإنَّ الفواحش وإن كانت ظاهرةً في المباشرة بالفرج[2] أو الدُّبر[3] وما يتبع ذٰلك من الملامسة والنَّظر وغير ذٰلك، وكما في قصَّة لوط: ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٨٠]، ﴿أَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ وَأَنتُمْ تُبْصِرُونَ؟﴾ [النمل: ٥٤].

وقوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً﴾ [الإسراء: ٣٢].

فالفاحشة أيضاً تتناول كشف العورة وإن لم يكن في ذٰلك مباشرة، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً قَالُواْ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا﴾ [الأعراف: ٢٨] وهٰذه الفاحشة هي طوافهم بالبيت عراة، وكانوا يقولون لا نطوف بثياب عصينا الله فيها؛ إلاَّ الحُمس[4] فإنَّهم كانوا يطوفون في ثيابهم، وغيرهم إن حصل له ثياب من الحُمس طاف فيها وإلا طاف عرياناً، وإن طاف بثيابه حُرِّمت عليه فألقاها، فكانت تسمَّىٰ لقاء، وكذٰلك المرأة إذا لم يحصل لها ثيابٌ جعلت يدها علىٰ فرجها ويدها الأُخرىٰ علىٰ دبرها وطافت وتقول: [من الرجز].

---

(١) العورات: المفرد: العورة: كل ما يُسَتِّرُهُ الإنسان من أعضائه أنفةً وحياءً.

(٢) الفرج: من الإنسان: ما بين رجليه، وكني به عن السوأة.
- والقبل من المرأة أو الرجل = مسلك الذكر من الأنثى، والقضيب من الرَّجل.
- وفرج المرأة الخارج: الظّاهر المستطيل منه.
- وفرج المرأة الداخل: غشاء البكارة وما يليه إلى الداخل من المهبل.
(معجم لغة الفقهاء: ٣٤٢).

(٣) الدُّبر: مخرج الغائط من الإنسان والحيوان.

(٤) الحُمس: قريش ومن دان بدينهم، وسمّوا بذلك لتعصبهم لأصنامهم وتحمُّسهم لها.

اليَوم يَبدو بَعْضُهُ أو كُلُّهُ وَمَا بَدا مِنْهُ فَلاَ أُحِلُّهُ[١]

وقد سمَّىٰ الله ذٰلك فاحشةً، وقوله في سياق ذلك: ﴿**قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**﴾ [الأعراف: ٣٣] يتناول كشف العورة أيضاً وإبداءها، ، ويُؤكِّد ذٰلك أن إبداء فعل النِّكاح باللَّفظ الصَّريح يُسَمَّىٰ فحشاء وتفحّشاً، فكشف الأعضاء والفعل للبصر ككشف ذٰلك للسَّمع، وكلُّ واحدٍ من الكشفين يُسَمَّىٰ وصفاً، كما قال عليه السَّلام: «**لاَ تَنْعَتِ المَرْأَةُ المَرْأَةَ لِزَوْجِهَا حَتَّىٰ كَأَنَّهُ يَنْظُرُ إِلَيْهَا**»[٢].

ويقال: فلانٌ يصفُ فلاناً، وثوبٌ يصف البشرة، ثمَّ إنَّ كلَّ واحدٍ من إظهار ذٰلك للسَّمع والبصر يباح للحاجة؛ بل يستحبُّ إذا لم يحصل المستحبُّ أو الواجب إلاَّ بذٰلك، كقول النَّبيِّ ﷺ لماعز[٣]: «**أَنِكْتَهَا**»[٤] وكقوله: «**مَنْ تَعَزَّىٰ بِعَزَاءِ الجَاهِلِيَّةِ فَأَعْضُوهُ**[٥] **بِهِنَّ أَبِيه وَلاَ تَكْنُوا**»[٦].

---

(١) قال ابن كثير في البداية والنهاية ـ طبعة دار الفكر ـ: (٢/ ٢٧٠): . . . فإن لم يجد منهم ثوبٌ أحدٌ من الحُمس وهم قريش، وما ولدوا ومن دخل معهم من كنانة وخزاعة طاف عرياناً ولو كانت امرأة، ولهذا كانت المرأة إذا اتفق طوافها لذلك وضعت يدها على فرجها. واستشهد بالبيت.

وقال ابن هشام في السيرة النبوية: (١/ ٢١٥): إنَّ الرّجال كانوا يطوفون عراة، أما النساء فتضع إحداهن ثيابها كلها إلا درعاً مفرّجاً عليه؛ أي: مشقوق من الأمام والخلف.

وأخرج الهيثمي في موارد الظمآن: (٧٣٦)، والبخاري في الأدب المفرد: (٩٦٣)، والطحاوي في مشكل الآثار: (٤/ ٢٣٧)، والتبريزي في المشكاة: (٤٩٠٢) بنحوه.

وفي أحمد: (٢١٢٩١): «**إذا سمعتم من يعتزي بعزاء الجاهلية، فأَعِضُوهُ ولا تَكْنُوا**».

وفي أحمد أيضاً: (٢١٢٩٤): «**إذا الرَّجل تعزَّى بعزاء الجاهلية، فأَعِضُّوهُ بهن أبيه ولا تَكْنُوا**».

(٢) أخرجه ابن حجر في تلخيص الحبير: (٣/ ٦).

(٣) ماعز: بن مالك الأسلمي، قال ابن حبان: له صُحبة، وهو الذي رُجم في عهد النَّبيّ ﷺ، ثبت ذكره في الصّحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة، وزيد بن خالد.

انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: (٦/ ١٦) الترجمة رقم: (٧٥٨١).

(٤) أخرج البخاري في صحيحه في كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة: (٨٧)، باب: هل يقول الإمام للمقر: لعلّك لمست أو غمزت؟ (١٤)، الحديث رقم: (٦٨٢٤)، وأحمد في المسند: (١/ ٢٧٠)، وهو في مسند أحمد ـ طبعة دار الفكر ـ (٢١٢٩) و(٢٣١٠)، والهيثمي في موارد الظمآن: (١٥١٣)، والهندي في كنز العمال: (١٣٥٥٣)، وعبد الرزاق في المصنف: (١٣٣٤٠)، والدارقطني في سننه: (٣/ ١٩٧)، والتبريزي في المشكاة: (٣٦٢٧)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: (٨/ ٥٨٠)، عن ابن عبّاس رضي الله عنهما قال: لما أتى ماعز بن مالك النَّبيَّ ﷺ قال له: «**لَعَلَّكَ قَبَّلْتَ أَو غَمَزْتَ أَو نَظَرْتَ؟**» قال: **لا يا** رسول الله. قال: «**أَنِكْتَهَا؟**» لا يَكْني قال: فعند ذلك أمر برجمه.

(٥) أعضوه: أعضه الشيء: جعله يعضّه.

(٦) أخرجه أحمد في المسند: (٥/ ١٣٦)، وهو في مسند أحمد ـ طبعة دار الفكر ـ: (٢١٢٩٢).

والمقصود أَنَّ الفاحشة تتناول الفعل القبيح وتتناول إِظهار الفعل وأَعضاءه، وهٰذا كما أَنَّ ذٰلك يتناول ما فحش وإِن كان بعقد نكاح كقوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٢٢].

فأَخبر أَنَّ هٰذا النِّكاح فاحشةٌ، وقد قيل: إِنَّ هٰذا من الفواحش الباطنة، فظهر أَنَّ الفاحشة تتناول العقود الفاحشة، كما تتناول المباشرة بالفاحشة؛ فإِنَّ قوله: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ يتناول العقد والوطء.

وفي قوله: ﴿مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١] عموم لأَنواع كثيرةٍ من الأَقوال والأَفعال، وأَمَرَ تعالىٰ بحفظ الفرج مطلقاً بقوله: ﴿وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ﴾ [النور: ٣٠].

وبقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ [المؤمنون: ٥ ـ ٦] الآيات.

وقال: ﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥] فحفظ الفرج مثل قوله: ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ١١٢] وحفظها هو صرفها عمّا لا يحلّ.

وأَمّا الأَبصار فلا بدَّ من فتحها والنَّظر بها، وقد يفجأ الإِنسان ما ينظر إِليه بغير قصدٍ، فلا يمكن غضّها مطلقاً، ولهٰذا أَمر تعالىٰ عباده بالغضّ منها، كما أَمر لقمان[1] ابنه بالغضّ من صوته.

---

(١) لقمان: هو لقمان الحكيم، حكيمٌ معمّر، عُرف في الجاهليَّة قبل أَن يُعرف في الإِسلام، وفي القرآن سورة باسمه تعرض نماذج من حكمه التي تنصب خاصة على وصيته لابنه ألاّ يُشرك بالله، وأن يبرّ والديه ويطيعهما ما لم يأمراه بمعصية، وأن يقيم الصلاة، ويأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وأن يلتزم الصّبر والتَّواضع.

قال أبو منصور عبد الملك بن إسماعيل الثعالبي في ثمار القلوب في المضاف والمنسوب: (١٢٤) رقم: (١٧٦): حكمة لقمان: قال الله عزَّ وجلّ في سورة لقمان الآية: (١٢): ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾، وحكى عنه مواعظه ووصاياه لابنه، ونسب إليه سورةً من كتابه، فما الظَّنّ بمن ثبت الله له حكمته، وارتضىٰ كلامه، أليس حقيقاً أن يُضرب به المثل، ويروىٰ أنّه كان عبداً حبشيّاً لرجلٍ من بني إسرائيل، فأعتقه وأعطاه مالاً، وذلك في زمن داود عليه السّلام. ولم يكن لقمان نبيّاً في قول أكثر الناس.

وعن سعيد بن المسيّب: إنَّ لقمان النبيّ كان خيّاطاً.

قال وهب بن منبه: قرأت من حكمته نحواً من عشرة آلاف باب لم يسمع الناس كلاماً أحسن منها، ثمّ نظرتُ فرأيتُ النّاس قد أدخلوها في كلامهم، واستعانوا بها في خطبهم ورسائلهم، ووصلوا بها بلاغاتهم، وقد أكثروا من ضرب المثل بحكمته، كما قال السّريّ وهو يمدح أبا محمد الفيّاض الكاتب:

أخو حِكَمٍ إذا بدأت وعادَتْ ... حكَمْنَ بِعَجْزِ لقمان الحكيمِ
ملكت خطامها مفلوت قسّاً ... برونقها وقيس بن الخطيم =

وأما قوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٣] الآية. فإنَّه مدحهم علىٰ غضِّ الصَّوت عند رسوله مطلقاً، فهم مأمورون بذٰلك في مثل ذٰلك ينهون عن رفع الصَّوت عنده ﷺ.

وأَما غضُّ الصَّوت مطلقاً عند رسول الله ﷺ فهو غضٌّ خاصٌّ ممدوحٌ ويمكن العبد أَن يغضَّ صوته مطلقاً في كلِّ حالٍ، ولم يُؤمر العبد به؛ بل يُؤمر برفع الصَّوت في مواضع: إمَّا أَمر إِيجاب أَو استحباب فلهٰذا قال: ﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾ [لقمان: ١٩]، فإنَّ الغضَّ في الصَّوت والبصر جماع ما يدخل إِلىٰ القلب ويخرج منه، فبالسَّمع يدخل القلب، وبالصَّوت يخرج منه، كما جمع العضوين في قوله: ﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ﴾ [البلد: ٨ و٩] فبالعين والنَّظر يعرف القلب الأُمور، واللِّسان والصَّوت يخرجان من عند القلب الأُمور، هٰذا رائد القلب وصاحب خبره وجاسوسه، وهٰذا ترجمانه.

ثمَّ قال تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

وقال: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقال في آية الاستئذان: ﴿وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٤].

= ومن محاسن مواعظه لابنه قوله له:
- يا بنيّ... بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعاً.
- يا بنيّ... إيَّاك وصاحب السُّوء فإنَّه كالسَّيف يحسن منظره ويقبح أثره.
- يا بنيّ... لا تكن النَّملة أكيس منك، تجمع في صيفها لشتائها.
- يا بنيّ... لا تقرب السُّلطان إذا غضب، والنَّهر إذا مَدّ.
- يا بنيّ... إيَّاك والكذب فإنَّه أشهىٰ من لحم العصفور.
- يا بنيّ.. اتخذ تقوىٰ الله بضاعة تأتك الأَرباح من غير تجارة.
- يا بنيّ... شاور من جَرَّب الأمور، فإنَّه يعطيك من رأيه ما قام عليه بالغلاء، وأنتَ تأخذه بالمجّان.
- يا بنيّ.. كذب من قال: إنّ الشَّرَّ يُطفأ بالشَّرّ، فإن كان صادقاً فليوقدنّ نارين، ثمّ ينظر هل تطفأ إحداهما بالأُخرى، وإنَّما يُطفىء الخير الشَّرّ كما يطفىء الماء النار.
- يا بنيّ... استعذ بالله من شرار النّساء، وكن من خيارهنّ علىٰ حذر، فإنهنّ لا يسارعن إلىٰ خيرٍ، بل هنَّ إلىٰ الشَّرِّ أسرع.

انظر كتابنا: لقمان الحكيم - من منشورات دار الفكر -.

وقال: ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍۚ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّۚ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وقال: ﴿فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةًۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُۚ﴾ [المجادلة: ١٢].

وقال النَّبيُّ ﷺ: **«اللَّهُمَّ طَهِّرْ قَلْبِي مِنْ خَطَايَايَ بِالمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالبَرَدِ»**[١].

وقال في دعاء الجنازة: **«واغْسِلْهُ بماءٍ وَثَلْجٍ وَبَرَدٍ، وَنَقِّهِ مِنْ خَطَايَاهُ كَمَا يُنَقَّىٰ الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ»**[٢].

فالطَّهارة ـ والله أعلم ـ هي من الذُّنوب التي هي رجسٌ، والزَّكاة تتضمَّن معنىٰ الطَّهارة التي هي عدم الذُّنوب، ومعنىٰ النَّماء بالأعمال الصَّالحة: مثل المغفرة والرَّحمة، ومثل النَّجاة من العذاب، والفوز بالثَّواب، ومثل عدم الشَّرِّ وحصول الخير؛ فإنَّ الطَّهارة تكون من الأرجاس والأنجاس[٣] وقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾ [التوبة: ٢٨].

وقال: ﴿فَٱجْتَنِبُوا ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ﴾ [الحج: ٣٠].

وقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة: ٩٠].

وقال عن المنافقين: ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌۖ﴾ [التوبة: ٩٥].

وقال عن قوم لوط: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَت تَّعْمَلُ ٱلْخَبَٰٓئِثَۗ﴾ [الأنبياء: ٧٤].

وقال اللُّوطية عن لوط وأهله: ﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٨٢].

قال مجاهد: عن أدبار الرِّجال، ويقال في دخول الغائط: **«أَعوذُ بِكَ مِنَ الخُبْثِ وَالخَبَائِثِ»**[٤]. ومن الرِّجس النَّجس الخبيث المخبث، وهٰذه النَّجاسة تكون من الشِّرك والنِّفاق والفواحش والظُّلم ونحوها، وهي لا تزول إلاَّ بالتَّوبة عن ترك الفاحشة وغيرها،

---

(١) أخرج النسائي في سننه في كتاب المياه: (٢) باب: الوضوء بماء الثلج والبرد.

(٢) الحديث رقم: (٣٣٢): عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول: **«اللَّهُمَّ اغسلني من خطاياي بالثلج والماء والبَرَدِ»**.

(٣) أخرج مسلم في صحيحه: (٩٦٣)، والترمذي في سننه: (١٠٢٥): عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: صلَّىٰ رسول الله ﷺ على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول: **«اللَّهُمَّ اغفر له وارحمهُ، وعافِهِ، واعفُ عَنْهُ، وأكرِمْ نُزُلَهُ، ووسِّع مُدْخَلَهُ، واغسِلْهُ بالمَاءِ والثلج والبَرَد، ونقِّهِ مِنَ الذُّنوبِ والخطايا كما يُنَقَّىٰ الثَّوبَ الأَبيضَ من الدَّنَسِ، وأَبْدِلْهُ داراً خيراً مِنْ دارِهِ، وأهلاً خيراً من أهلِهِ، وزوجاً خيراً من زَوْجِهِ، وأَدخلْهُ الجنَّةَ، وأَعذْهُ مِنْ عذابِ القَبْرِ»** قال: حتَّىٰ تمنيّت أن أكون أنا ذلك الميّت، لدعاء رسول الله ﷺ.

(٤) أخرجه ابن ماجه في سننه: (٢٩٩).

فمن تاب منها فقد تطهَّر، وإلاَّ فهو متنجسٌ وإن اغتسل بالماء من الجنابة[1] فذاك الغسل يرفع حدث الجنابة، ولا يرفع عنه نجاسة الفاحشة التي قد تنجَّس بها قلبه وباطنه؛ فإنَّ تلك نجاسةٌ لا يرفعها الاغتسال بالماء، وإنَّما يرفعها الاغتسال بماء التَّوبة النَّصوح المستمرَّة إلىٰ الممات.

وهٰذا معنىٰ ما رواه ابن أبي الدُّنيا وغيره: ثنا سويد بن سعيد[2] ثنا مسلم بن خالد[3]، عن إسماعيل بن كثير[4]، عن مجاهد[5]، قال: لو أنَّ الذي يعمل ـ يعني عمل قوم لوط ـ اغتسل بكلِّ قطرةٍ في السَّماء وكلِّ قطرةٍ في الأرض لم يزل نجساً. ورواه ابن الجوزي.

---

(١) **الجنابة**: حالةٌ توجب الاغتسال.

(٢) **سويد بن سعيد**: بن سهل بن شهريار الهروي، أبو محمد الحدثاني الأنباري، سكن حديثة النُّورَة، وهي قرية تحت عانة وفوق الأنبار. كان من الحفّاظ، وكان أحمد بن حنبل ينتقي عليه لولديه صالح وعبد الله يختلفان إليه فيسمعان منه. عمي في أواخر عمره.
انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ طبعة دار الفكر ـ: (٨/ ٢٠٥) الترجمة رقم: (٢٦٢٦)، وتهذيب التهذيب: (٤/ ٢٤١).

(٣) **مسلم بن خالد**: بن مسلم بن سعيد القرشي المخزومي، المعروف بالزَّنجي، تابعي، من كبار الفقهاء، كان إمام أهل مكة، أصله من الشَّام، لُقِّب بالزَّنجي لحمرته، أو على الضدّ لبياضه، وبه تفقّه الإمام الشافعي قبل أن يلقى مالكاً، وهو الذي أذن للشافعي بالإفتاء، وهو عند أكثر علماء الحديث ضعيفٌ لا يحتجّ به. توفي سنة ١٧٩هـ الموافق ٧٩٥م.
انظر: طبقات الفقهاء: (٤٨)، واللباب: (١/ ٥٠٩)، وتذكرة الحفاظ: (١/ ٢٣٠).

(٤) **إسماعيل بن كثير**: الحجازي، أبو هاشم المكي، قال أبو طالب، عن أحمد بن حنبل: ثقةٌ، وكذٰلك قال النسائي، وقال محمد بن سعد: ثقةٌ كثير الحديث، وقال أبو حاتم: صالح الحديث.
انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ طبعة دار الفكر ـ: (٢/ ٢١٩) الترجمة رقم: (٤٦٧)، وتهذيب التهذيب: (١/ ٢٨٤).

(٥) **مجاهد**: هو مجاهد بن جبر، أبو الحجّاج المكي، مولى بني مخزوم، تابعي، مفسّر من أهل مكة، قال الذهبي: شيخ القرّاء والمفسّرين، أخذ التفسير عن عبد الله بن عبّاس رضي الله عنهما، قرأه عليه ثلاث مرّات، يقف عند كلِّ آيةٍ يسأله: فيم نزلت وكيف كانت؟ وتنقّل في الأسفار، واستقرّ في الكوفة، وكان لا يسمع بأعجوبةٍ إلاَّ ذهب فنظر إليها، ذهب إلى (بئر برهوت) بحضرموت، وذهب إلى (بابل) يبحث عن هاروت وماروت. أما كتابه في (التفسير) فيتقيد المفسّرون، وسئل الأعمش عن ذلك، فقال: كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب يعني النصارىٰ واليهود. يُقال: إنه مات وهو ساجدٌ سنة ١٠٤هـ الموافق ٧٢٢م.
انظر: طبقات الفقهاء: (٤٥)، وغاية النهاية: (٢/ ٤١)، وصفة الصفوة: (٢/ ٢١٧) وميزان الاعتدال: (٣/ ٩)، وحلية الأولياء: (٣/ ٢٧٩).

وروى القاسم بن خلف في «كتاب ذمّ اللِّواط» بإسناده عن الفضيل بن عياض أنَّه قال: لو أنَّ لوطياً اغتسل بكلِّ قطرةٍ نزلت من السَّماء للقي الله غير طاهر.

وقد روى أبو محمَّد الخلال عن العبَّاس الهاشميِّ ذلك مرفوعاً. وحديث إبراهيم عن علقمة عن ابن مسعود: اللُّوطيَّان لو اغتسلا بماء البحر لم يجزهما إلاَّ أن يتوبا، ورفع مثل هذا الكلام منكر؛ وإنَّما هو معروفٌ من كلام السَّلف.

وكذلك روي عن أبي هريرة وابن عبَّاس قالا: خطبنا رسول الله ﷺ، فقال في خطبته: **«مَنْ نَكَحَ امْرَأَةً في دُبرِهَا أَوْ غُلاماً، أَوْ رَجُلاً: حُشِرَ يَوم القِيَامَةِ أَنْتَن مِنَ الجِيفَةِ يَتَأَذَّىٰ بِهِ النَّاسُ حَتَّىٰ يُدْخِلَهُ الله نَارَ جَهَنَّمَ، وَيَحْبِطُ الله عَمَلَهُ، وَلاَ يَقْبَلُ مِنْهُ صرْفاً وَلاَ عَدْلاً، وَيُجْعَلُ في تَابُوتٍ مِنْ نَارٍ، وَيُسَمَّرُ عَلَيْهِ بِمَسَامِير مِنْ حَدِيدٍ، فَتَشُكُّ تِلكَ المَسَامِيرُ في وَجْهِهِ وَجَسَدِهِ»**[1].

قال أبو هريرة: هذا لمن لم يتب، وذلك أنَّ تارك اللِّواط متطهِّر كما دلَّ عليه القرآن، ففاعله غير مُتطهِّر من ذلك فيكون متنجِّساً؛ فإنَّ ضدَّ الطَّهارة النَّجاسة.

❀ ❀ ❀

(١) أخرج الهندي في كنز العمال: (١٣١٢٨): عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: **«مَنْ أتَىٰ امرأةً في دُبرِها لَمْ يَنظُر الله إلَيهِ يَوْمَ القِيَامَةِ»**.
وأخرج الهندي في كنز العمال أيضاً: (١٣١٣١): **«مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْمَلُ عَمَلَ قَوْمِ لُوطٍ سَارَ بِهِ قَبْرُهُ حَتَّىٰ يَصيرَ مَعَهُمْ وَيُحْشرَ يوْمَ القِيَامَةِ مَعَهُمْ»**.

في أَنواع النَّجاسة

لكنَّ النَّجاسة أَنواعٌ مختلفة، تختلف أحكامها.

ومن هٰهنا غلط بعض النَّاس من الفقهاء؛ فإِنَّهم لمَّا رأَوا ما دلَّ عليه القرآن من طلب طهارة الجنب بقوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُواْ﴾ [المائدة: ٦] قالوا: فيكون الجنب نجساً.

وقدْ ثبت في الصَّحيح من حديث أَبي هريرة: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «**إِنَّ المُؤمِنَ لاَ يَنجَسُ**»[١] لما انخنس[٢] منه وهو جنبٌ، وكره أَن يجالسه، فهٰذه النَّجاسة التي نفاها النَّبيُّ ﷺ هي نجاسة الطَّهارة بالماء التي ظنَّها أَبو هريرة، والجنابة تمنع الملائكة أن تدخل بيتاً فيه جنبٌ.

وقال أَحمد: إِذا وَضَعَ الجنب يده في ماءٍ قليلٍ أَنجس الماء، فظنَّ بعض أَصحابه أَنَّه أَراد النَّجاسة الحسِّيَّة، وإِنَّما أَراد الحكميَّة، فإِنَّ الفرْعَ لا يكون أَقوىٰ من الأَصل، ولا يكون الماء أَعظم من البدن؛ بل غايته أَن يقوم به المانع الذي قام بالبدن، والجنب ظاهره ممنوعٌ من الصَّلاة، فيكون الماء كذٰلك طاهراً لا يتوضأ به للصَّلاة.

وأَمَّا الزَّكاة فهي متضمِّنة النِّماء والزِّيادة كالزَّرع، وإِن كانت الطَّهارة قد تدخل في

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٢٨٣) و(٢٨٥)، ومسلم في صحيحه: (٣٧١)، وأحمد في المسند: (٢/ ٢٣٥ و٣٨٢) و(٥/ ٢٨٤)، وهو في مسند أحمد ـ طبعة دار الفكر ـ: (٧٢١٥) و(٨٩٧٨)، والبيهقي في السنن الكبرى: (١/ ١٨٩ و١٩٠)، والسيوطي في جمع الجوامع: (٥٨٤٥)، والهندي في كنز العمال: (٢٧٤٦٧)، وعبد الرزاق في المصنف: (٤٥٦). وابن حجر في فتح الباري: (١/ ٣٩١)، والألباني في الإرواء: (١/ ١٣٩): بلفظ للبخاري: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إنَّ النَّبيَّ ﷺ لقيه في بعض طريق المدينة وهو جُنُبٌ، فانخنست منه، فذهب فاغتسل ثمَّ جاء فقال: «**أين كُنتَ يا أَبا هُريرة؟**» قال: كنت جنباً، فكرهت أن أُجالسك وأنا على غير طهارة. فقال: «**سُبحَانَ الله، إنَّ المُسْلِمَ لا يَنجسُ**».

(٢) **انخنس**: تأخَّر وانقبض ورجع.

معناها؛ فإنَّ الشَّيء إذا تنظَّف مما يفسده زكىٰ ونما وصلح وزاد في نفسه، كالزَّرع ينقىٰ من الدَّغل[1].

قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٢١].

وقال تعالىٰ: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف: ٧٤].

وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩].

وقال: ﴿فَٱرْجِعُواْ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٨].

فإنَّ الرُّجوع عملٌ صالحٌ يزيد المؤمن زكاةً وطهارةً.

وقال: ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]. فإنَّ ذٰلك مجانبةٌ لأسباب الرِّيبة، وذٰلك من نوع مجانبة الذُّنوب والبعد عنها ومباعدتها، فأخبر أنَّ ذٰلك أطهر لقلوب الطَّائفتين.

وأمَّا الآية التي نحن فيها وهي قوله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ وَيَحْفَظُواْ فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ﴾ [النور: ٣٠]. فالغضُّ من البصر وحفظ الفرج يتضمَّن البعد عن نجاسة الذُّنوب، ويتضمَّن الأعمال الصَّالحة التي يزكو بها الإنسان، وهو أزكىٰ، والزَّكاة تتضمَّن الطَّهارة؛ فإنَّ فيها معنىٰ ترك السَّيِّئات ومعنىٰ فعل الحسنات، ولهٰذا تفسَّر تارةً بالطَّهارة وتارةً بالزِّيادة والنَّماء، ومعناها يتضمَّن الأمرين، وإن كان قرن الطَّهارة معها في الذِّكر مثل قوله: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣]. فالصَّدقة توجب الطَّهارة من الذُّنوب، وتوجب الزَّكاة التي هي العمل الصَّالح، كما أنَّ الغضّ من البصر وحفظ الفرج هو أزكىٰ لهم، وهما يكونان باجتناب الذُّنوب وحفظ الجوارح، ويكونان بالتَّوبة والصَّدقة التي هي الإحسان، وهذان هما التَّقوىٰ والإحسان و ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّٱلَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

وقد روىٰ التِّرمذيُّ وصحَّحه: أنَّ النَّبيَّ ﷺ سُئل ما أكثر ما يدخل النَّاس النَّار؟

---

(١) الدَّغل: الشَّجر الكثير الملتفُّ، والشَّجر الكثيف يكمن أهل الفساد فيه، والعيب المفسد للأمر، الجمع: أدغالٌ، ودغالٌ.

فقال: **«الأَجْوَفَانِ: الفَمُ، والفَرْجُ»**[١].

وسُئل عن أكثر ما يدخل النَّاس الجنَّة؟ فقال **«تَقوىٰ الله وَحُسْنُ الخُلُقِ»**[٢]. فيدخل في تقوىٰ الله حفظ الفرج وغضّ البصر، ويدخل في حسن الخلق الإحسان إلىٰ الخلق والامتناع من إيذائهم، وذٰلك يحتاج إلىٰ الصَّبر، والإحسان إلىٰ الخلق يكون عن الرَّحمة، والله تعالىٰ يقول: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا بِالْمَرْحَمَةِ﴾ [البلد: ١٧].

وهو سبحانه ذكر الزَّكاة هنا، كما قدَّمها في قوله: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا﴾ [النور: ٢١] فإنَّ اجتناب الذُّنوب يوجب الزَّكاة التي هي زوال الشَّرِّ وحصول الخير، والمفلحون هم الَّذين أدُّوا الواجبات وتركوا المحرَّمات، كما وصفهم في أوَّل سورة البقرة فقال: ﴿الم ۝ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١ و٢] الآيات.

وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾ [الشمس: ٩].

فإذا كان قد أخبر أنَّ هٰؤلاء مفلحون، وأخبر أنَّ المفلحين هم المتَّقون: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [البقرة: ٣]، وأخبر أنَّ من زكَّىٰ نفسه فهو مفلحٌ: دلَّ ذٰلك علىٰ أنَّ الزَّكاة تنتظم الأُمور المذكورة في أوَّل سورة البقرة.

وقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم﴾ [النساء: ٤٩].

وقوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَىٰ﴾ [النجم: ٣٢] فالتَّزكية من العباد لأنفسهم هي إخبارهم عن أنفسهم بكونها زاكية واعتقاد ذٰلك؛ لأنفسٍ جعلها زاكية.

وقال تعالى عن إبراهيم عليه السَّلام: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ﴾ [البقرة: ١٢٩].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه: (٤٢٤٦)، وأحمد في المسند: (٢/ ٢٩١)، وهو في مسند أحمد ـ طبعة دار الفكر: (٧٩١٢)، والحاكم في المستدرك: (٤/ ٣٢٤)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: (٧/ ٤٥٠)، والسيوطي في الدر المنثور: (١/ ٢٢١) و(٢/ ٧٥)، والبخاري في الأدب المفرد: (٢٨٩) و(٢٩٤)، والهيثمي في موارد الظمآن: (١٩٢٣) و(٢٥٤٦).

(٢) أخرجه ابن حجر في فتح الباري: (١٠/ ٤٥٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب: (٢/ ٢٥٠ و٤٠٣). وانظر تخريج الحديث السابق.

وقال: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٤] الآية.

وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ [الجمعة: ٢] الآية.

فامتنَّ سبحانه علىٰ العباد بإرساله في عدَّة مواضع، فهٰذه أربعة أُمورٍ أَرسله بها: تلاوة آياته عليهم، وتزكيتهم، وتعليمهم الكتاب والحكمة.

وقد أَفرد تعليمه الكتاب والحكمة بالذِّكر مثل قوله: ﴿وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٣١].

وقوله: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤].

وذٰلك أَنَّ التِّلاوة عليهم وتزكيتهم أَمرٌ عامٌّ لجميع المؤمنين؛ فإِنَّ التِّلاوة هي تبليغ كلامه تعالىٰ إِليهم وهٰذا لا بدَّ منه لكلِّ مؤمنٍ، وتزكيتهم هو جعل أَنفسهم زكيَّةً بالعمل الصَّالح الناشىء عن الآيات التي سمعوها وتليت عليهم.

فالأَوَّل: سَمْعُهُم.

والثَّاني: طاعتهم، والمؤمنون يقولون: سمعنا وأَطعنا.

الأَول: عِلْمُهم.

والثَّاني: عملهم.

في حقيقة الإيمان

الإِيمان قولٌ وعملٌ، فإذا سمعوا آيات الله وعوها بقلوبهم وأحبُّوها وعملوا بها، ولم يكونوا كمن قال فيهم: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١] وإذا عملوا بها زكوا بذلك وكانوا من المفلحين المؤمنين.

والله قال: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

وقال في ضدِّهم: ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُواْ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [التوبة: ٩٧] فأخبر أنَّهم أعظم كفراً ونفاقاً وجهلاً وذلك ضدّ الإيمان والعلم، فاستماع آيات الله والتزكّي بها أمرٌ واجبٌ على كلِّ أحدٍ، فإنَّه لا بدَّ لكلِّ عبدٍ من سماع رسالة سيِّده التي أرسل بها رسوله إليه، وهذا هو السّماع الواجب الذي هو أصل الإيمان، ولا بدَّ من التَّزكي بفعل المأمور وترك المحظور، فهذان لا بدَّ منهما.

وأمَّا العلم بالكتاب والحكمة فهو فرضٌ على الكفاية؛ لا يجب على كلِّ أحدٍ بعينه أن يكون عالماً بالكتاب: لفظه ومعناه، عالماً بالحكمة جميعها؛ بل المؤمنون كلُّهم مخاطبون بذلك وهو واجبٌ عليهم، كما هم مخاطبون بالجهاد، بل وجوب ذلك أسبق وأوكد من وجوب الجهاد؛ فإنَّه أصل الجهاد، ولولاه لم يعرفوا علام يقاتلون، ولهذا كان قيام الرَّسول والمؤمنين بذلك قبل قيامهم بالجهاد، فالجهاد سنام الدِّين، وفرعه وتمامه، وهذا أصله وأساسه وعموده ورأسه، ومقصود الرِّسالة فعل الواجبات والمستحبَّات جميعاً، ولا ريب أنّ استماع كتاب الله والإيمان به، وتحريم حرامه وتحليل حلاله. والعمل بمحكمه والإيمان بمتشابهه واجبٌ على كلِّ أحدٍ، وهذا هو التِّلاوة المذكورة في: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَتْلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ [البقرة: ١٢١].

فأخبر عن الذين يتلونه حقّ تلاوته أنَّهم يؤمنون به وبه قال سلف الأُمَّة من الصَّحابة والتَّابعين وغيرهم، وقوله: ﴿حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ﴾ [البقرة: ١٢١] كقوله: ﴿وَجَٰهِدُواْ فِى ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦ﴾ [الحج: ٧٨] ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وأمَّا حفظ جميع القرآن وفهم جميع معانيه ومعرفة جميع السُّنَّة فلا يجب علىٰ كلِّ أَحدٍ؛ لكن يجب علىٰ العبد أن يحفظ من القرآن ويعلم معانيه ويعرف من السُّنَّة ما يحتاج إليه، وهل يجب عليه أن يسمع جميع القرآن؟ فيه خلاف، ولكن هٰذه المعرفة الحكميَّة التي تجب علىٰ كلِّ عبدٍ ليس هو علم الكتاب والحكمة التي علمها النَّبيُّ ﷺ أصحابه وأُمَّته؛ بل ذٰلك لا يكون إلاَّ بمعرفة حدود ما أَنزل الله علىٰ رسوله من الأَلفاظ والمعاني والأَفعال والمقاصد، ولا يجب هٰذا علىٰ كلِّ أحدٍ.

وقوله تعالىٰ: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٢] دليلٌ علىٰ أَنَّ الزَّكاة هي التَّقوىٰ، والتَّقوىٰ تنتظم الأَمرين جميعاً؛ بل ترك السَّيِّئات مستلزمٌ لفعل الحسنات، إذ الإِنسان حارث همّام، ولا يدع إِرادة السَّيِّئات وفعلها إلاَّ بإِرادة الحسنات وفعلها؛ إِذ النَّفس لا تخلو عن الإِرادتين جميعاً؛ بل الإِنسان بالطَّبع مريدٌ فعالٌ، وهٰذا دليلٌ علىٰ أَنَّ هٰذا يكون سببه الزَّكاة والتَّقوىٰ التي بها يستحقُّ الإِنسان الجنَّة، كما في صحيح البخاري عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال: «**مَنْ تَكَفَّلَ لِي بِحِفْظِ مَا بَيْنَ لِحْيَيْهِ**[١] **وَرِجْلَيْهِ**[٢] **أَتَكَفَّلُ لَهُ بِالجَنَّةِ**»[٣].

ومن تزكَّى فقد أَفلح فيدخل الجنَّة، والزَّكاة متضمِّنة حصول الخير وزوال الشَّرِّ، فإِذا حصل الخير وزال الشَّرُّ ـ من العلم والعمل ـ حصل له نورٌ وهدى ومعرفة وغير ذٰلك، والعمل يحصل له محبَّة وإِنابة وخشية وغير ذٰلك. هٰذا لمن ترك هٰذه المحظورات وأَتىٰ بالمأمورات ويحصل له ذٰلك أَيضاً قدرة وسلطاناً، وهٰذه صفات الكمال: العلم، والعمل، والقدرة، وحسن الإِرادة، وقد جاءت الآثار بذٰلك، وأَنَّه يحصل لمن غضَّ بصره نورٌ في قلبه ومحبَّة، كما جرَّب ذٰلك العالمون العاملون.

وفي مسند أَحمد: حدَّثنا عتاب[٤] عن عبد الله ـ وهو ابن المبارك[٥] ـ أَنا يحيىٰ بن

---

(١) ما بين لحييه: لحييه مثنى لحي، وهو العظم في جانب الفم.

(٢) ما بين رجليه: فرجه.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: (٦٤٧٤)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٨/ ١٦٦)، وابن حجر في فتح الباري: (١١/ ٣٠٨)، والتبريزي في مشكاة المصابيح: (٤٨١٢)، والسيوطي في الدر المنثور: (٢/ ٢٢٠).

(٤) عتاب: هو عتاب بن زياد الخراساني، أبو عمرو المروزي، وثقه أبو حاتم، مات سنة ٢١٢هـ الموافق ٩١٥م. انظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ طبعة دار الفكر ـ: (١٠/ ٢٥٥) الترجمة رقم: (٤٣٥٠)، وتهذيب التهذيب: (٧/ ٨٥).

(٥) عبد الله بن المبارك: بن واضح الحنظلي بالولاء التميمي المروزي، أبو عبد الرَّحمٰن، الحافظ، شيخ الإسلام، المجاهد، التاجر، صاحب التصانيف والرحلات، أفنى عمره في الأسفار، حاجاً ومجاهداً وتاجراً، وجمع الحديث والفقه والعربية وأيام الناس والشجاعة والسخاء. =

أَيوب[1]، عن عبيد اللّه بن زَحْر[2]، عن علي بن يزيد[3]، عن القاسم[4]، عن أبي أُمامة[5]، عن النَّبيِّ ﷺ قال: **«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَنْظُرُ إِلَىٰ مَحَاسِنِ امْرأَةٍ [أَوَّلَ مَرَّةٍ][6] ثُمَّ يَغُضُّ بَصَرَهُ إِلاَّ [أَحْدَثَ][7] الله لَهُ عِبَادَةً يَجِدُ حَلاوَتَهَا»**[8].

ورواه أَبو بكر بن الأَنباريِّ[9] في (أَماليه) من حديث ابن أَبي مريم عن يحيىٰ بن

= ولد عبد اللّه بن المبارك في خراسان سنة ١١٨هـ الموافق ٧٣٦م وتوفي بهيت على الفرات منصرفاً من غزو الروم سنة ١٨١هـ الموافق ٧٩٧م.
انظر: تذكرة الحفاظ: (١/ ٢٥٣)، والرسالة المستطرفة: (٣٧)، ومفتاح السعادة: (٢/ ١١٢)، وحلية الأولياء: (٨/ ١٦٢)، وذيل المذيل: (١٠٧)، وشذرات الذهب: (١/ ٢٩٥)، وتاريخ بغداد: (١٠/ ١٥٢).
وانظر كتابنا: ديوان عبد الله بن المبارك.

(١) يحيى بن أيوب: بن أبي زُرعة بن عمرو بن جرير بن عبد اللّه البجلي الجريري الكوفي، أخو جرير بن أيوب البجلي. ذكره ابن حبّان في كتاب الثقات.
انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ طبعة دار الفكر ـ: (٢٠/ ٣٤) الترجمة رقم: (٧٣٨٥)، وتهذيب التهذيب: (١١/ ١٦٣).

(٢) عبيد اللّه بن زحر: الضَّمري، مولاهم الإفريقي، ولد بإفريقية، ودخل العراق في طلب العلم، وكان رجلاً صالحاً. قال الإمام أحمد بن حنبل: عبيد اللّه بن زحر ثقة. وقال أبو زرعة: لا بأس به، صدوق.
انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ طبعة دار الفكر ـ: (١٢/ ١٩٠) الترجمة رقم: (٤٢١٦)، وتهذيب التهذيب: (٧/ ١٣).

(٣) علي بن يزيد: بن أبي هلال الألهاني، ويقال: ـ الهلالي ـ أبو عبد الملك، ويقال: ـ أبو الحسن ـ الشامي الدمشقي، ضعّفه أهل الحديث، وقال النسائي: ليس بثقة.
انظر تهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ طبعة دار الفكر ـ: (١٣/ ٤٢٤) الحديث رقم: (٤٧٣٨)، وتهذيب التهذيب: (٧/ ٣٤٧).

(٤) القاسم: هو القاسم أبي عبد الرحمن.

(٥) أبو أمامة: هو صدي بن عجلان بن وهب الباهلي، صحابي، كان مع الإمام علي في صفين، وسكن الشام، فتوفي في أرض حمص سنة ٨١هـ الموافق ٧٠٠م، وهو آخر من مات من الصحابة بالشام.
روى أبو أمامة ٢٥٠ حديثاً عن رسول الله ﷺ.
انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: الترجمة رقم: (٤٠٥٤)، وصفة الصفوة: (١/ ٣٨٠)، وذيل المذيل: (٣٣).

(٦) إضافة من المسند.

(٧) في الأصل أخلف والتصحيح من المسند.

(٨) أخرجه أحمد في المسند: (٥/ ٢٦٤) وهو في مسند أحمد ـ طبعة دار الفكر ـ: (٢٢٣٤١)، والمنذري في الترغيب والترهيب: (٣/ ٣٤)، والهيثمي في مجمع الزوائد: (٨/ ٦٣)، وهو في مجمع الزوائد ـ طبعة دار الفكر ـ: (١٢٩٤٣)، والتبريزي في المشكاة: (٣١٢٤).

(٩) أبو بكر الأنباري: هو محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، من أعلم أهل زمانه بالأدب واللغة، ومن أكثر النّاس حفظاً للشعر والأخبار، قيل: كان يحفظ ثلاثمائة ألف شاهد من القرآن الكريم. =

أيوب به، ولفظه: «**مَنْ نَظَرَ إِلَىٰ امْرَأَةٍ فَغَضَّ بَصَرَهُ عِنْدَ أَوَّلِ دَفْعَةٍ رَزَقَهُ الله عِبَادَةً يَجِدُ حَلاَوَتَهَا**»[١].

وقد رواه أبو نعيم في الحلية: حدثنا أَبي، حدَّثنا إبراهيم بن محمَّد بن الحسن، حدثنا محمَّد بن يعقوب: قال: حدثنا أَبو اليمان، حدثنا أَبو مهدي سعيد بن سنان، عن أَبي الزَّاهريَّة، عن كثير بن مرَّة، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «**النَّظْرَةُ الأُوْلَىٰ خَطَأٌ، وَالثَّانِيةُ عَمْدٌ، والثَّالِثَةُ تَدَبُّرٌ، نَظَرُ المُؤمِنِ إِلَىٰ مَحَاسِنِ المَرْأَةِ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ، مَنْ تَرَكَهُ خَشْيَةَ اللَّهِ وَرَجَاء مَا عِنْدَهُ أَثَابَهُ اللَّهُ تَعَالَىٰ بِذَلِكَ عِبَادَةً تُبْلِغُه لَذّتها**»[٢].

رواه أَبو جعفر الخرائطي في (كتاب اعتلال القلوب) ثنا علي بن حرب، ثنا إِسحاق بن عبد الواحد، ثنا هشيم، ثنا عبد الرَّحمٰن بن إِسحاق، عن محارب بن دثار، عن جبلة عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله ﷺ: «**النَّظرُ إِلَىٰ المَرْأَةِ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ، مَنْ تَرَكَهُ خَوْفاً مِنَ الله أَثَابَهُ الله إِيماناً يَجِدُ حَلاَوَتَهُ فِي قَلْبِهِ**»[٣].

وقد رواه أَبو محمَّد الخلال من حديث عبد الرَّحمٰن بن إِسحاق، عن النّعمان بن سعد، عن عليّ، وفيه ذكر السّهم. ورواه أَبو نعيم: ثنا عبد اللّه بن محمّد هو أَبو الشَّيخ، ثنا ابن عفير، قال ثنا شعيب بن سلمة، ثنا عصمة بن محمّد، عن موسىٰ يعني ابن عقبة، عن القاسم بن محمد، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**مَا مِنْ عَبْدٍ يَكُفُّ بَصَرَهُ عَنْ مَحَاسِنِ امْرأَةٍ وَلَوْ شَاءَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا لَنَظَرَ إِلاَّ أَدْخَلَ اللّهُ قَلْبَهُ عِبَادَةً يَجِدُ حَلاَوَتَهَا**»[٤].

= ولد أبو بكر الأنباري في الأنبار (على الفرات) سنة ٢٧١هـ الموافق ٨٨٤م، وتوفي ببغداد سنة ٣٢٨هـ الموافق ٩٤٠م.

كان أبو بكر يتردد على أولاد الخليفة الراضي بالله يعلّمهم من كتبه: الزاهر في اللغة، وشرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، وإيضاح الوقف، والابتداء في كتاب الله عزّ وجل، والهاآت، وعجائب علوم القرآن، وشرح الألفات، وخلق الإنسان، والأمثال، والأضداد، وغريب الحديث.

انظر: وفيات الأعيان، (١/ ٥٠٣)، ونزهة الألباب: (٣٣٠)، وبغية الوعاة: (٩١)، وتذكرة الحفاظ: (٣/ ٥٧)، وغاية النهاية: (٢/ ٢٣٠)، وطبقات الحنابلة: (٢/ ٦٩)، وتاريخ بغداد: (٣/ ١٨١).

(١) أخرجه ابن عراق في تنزيه الشريعة: (٢/ ٢١٤).
وأخرج ابن عدي في الكامل في الموضوعات: (١٨٠٠): «**مَنْ نظر إلى محاسن امرأة فغض طرفه...**» الحديث.

(٢) ورد في معاني الآثار: (٣/ ١٥): «**النّظرة الأولى لك، والآخرة عليك**».

(٣) سبق تخريجه.

(٤) أخرجه أبو نعيم في الحلية: (٢/ ١٨٧). وقال ابن عدي: موضوع. انظر الكامل في الموضوعات: (٥/ ٢٠٠٩).

وروىٰ ابن أَبي الفوارس من طريق ابن الجوزي، عن محمّد بن المسيب، ثنا عبد اللّه، قال حدثني: الحسن عن مجاهد قال: «**غضُّ البصرِ عَنْ مَحارِمِ الله يُورِثُ حُبَّ الله**»[١].

وقد روىٰ مسلم في صحيحه من حديث يونس بن عبيد، عن عمرو بن سعيد، عن أَبي زرعة بن عمرو بن جرير، عن جدِّه جرير بن عبد اللّه البجلي: قال سأَلت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأَة فأَمرني أَن أَصرف بصري[٢].

ورواه الإِمام أَحمد عن هشيم عن يونس به، ورواه أَبو داود والتِّرمذيّ والنَّسائيَّ من حديثه أَيضاً، وقال التِّرمذيُّ: حسنٌ صحيحٌ.

وفي رواية قال: «**أَطرُقْ بَصَرَكَ**»[٣] أَي: انظر إِلىٰ الأَرض، والصَّرف أَعمُّ، فإِنَّه قد يكون إِلىٰ الأَرض أَو إِلى جهةٍ أُخرىٰ.

وقال أَبو داود: حدَّثنا إِسماعيل بن موسىٰ الفزاري، حدَّثنا شريك، عن ربيعة الإِيادي، عن عبد اللّه بن بريدة، عن أَبيه قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «**يَا عَليّ لاَ تُتْبعَ النَّظْرَةَ النَّظْرَةَ. فَإِنَّ لَكَ الأُولَىٰ وَلَيْسَتْ لَكَ الأُخْرَىٰ**»[٤].

ورواه التِّرمذي من حديث شريك، وقال: غريبٌ لا نعرفه إِلاَّ من حديثه.

وفي الصَّحيح عن أَبي سعيد قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالجُلُوس عَلَىٰ الطُّرُقَاتِ**» قالوا: يا رسول الله! ما لنا بدّ من مجالسنا نقعد فيها، فقال رسول الله ﷺ: «**إِنْ أَبَيْتُمْ فَأَعْطُوا الطَّرِيقَ حَقَّهُ**» قالوا: وما حقُّ الطَّريق يا رسول الله؟ قال: «**غَضُّ البَصَرِ، وَكَفُّ**

---

(١) أخرج الزيلعي في نصب الراية: (٤/ ٢٤٥)، وابن أبي حاتم الرازي في علل الحديث: (٢٥٥٨): «غض بصرك إلاَّ عن أمتك».

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: (٢١٥٩).

(٣) كذا أورده ابن كثير في تفسيره: (٦/ ٤٣).

(٤) أخرجه الترمذي في سننه: (٢٧٧٧)، وأبو داود في سننه: (٢١٤٩)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٥٣ و٣٥٧)، وهو في مسند أحمد ـ طبعة الدار ـ: (٢٣٠٥٣) و(٥٣٠٨٣) والبيهقي في السنن الكبرى: (٧/ ٩٠)، والحاكم في المستدرك: (٢/ ١٩٤)، والتبريزي في المشكاة: (٣١١٠)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار: (٣/ ١٠٢).

الأذىٰ، وَرَدُّ السَّلَام، وَالأَمْرُ بِالمَعْرُوفِ، والنَّهيُ عَن المُنْكَرِ»[١].

ورویٰ أَبو القاسم البغوي عن أَبي أُمامة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اكْفَلُوا لي سِتَّاً أَكْفَلْ لَكُمُ الجَنَّةَ: إِذَا حَدَّثَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَكْذِبْ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ فَلَا يَخُنْ، وَإِذَا وَعَدَ فَلا يَخْلِفْ، غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ، وَكُفُّوا أَيدِيكُمْ، وَاحْفَظُوا فُروجَكُمْ**»[٢].

فالنَّظر داعيةٌ إلىٰ فساد القلب.

قال بعض السَّلف: النَّظر سهمُ سمّ إلىٰ القلب، فلهٰذا أمر الله بحفظ الفروج، كما أَمر بغضِّ الأَبصار التي هي بواعث إلىٰ ذلك.

وفي الطَّبراني من طريق عُبيد اللّه بن يزيد عن القاسم عن أَبي أُمامة مرفوعاً: «**لتغضَّنَّ أَبْصَارَكُمْ، وَلتَحْفَظَنَّ فُرُوجَكُمْ، وَلتُقِيمَنَّ وُجُوهَكُمْ، أَو لتكسفَنَّ وُجُوهَكُمْ**»[٣].

وقال الطَّبراني: حدثنا أَحمد بن زهير التُّستري، قال قرأْنا علىٰ محمّد بن حفص بن عمر الضَّرير، المقري: حدّثنا يحيىٰ بن أَبي كثير، حدَّثنا هزيم بن سفيان، عن عبد الرَّحمٰن بن إسحاق، عن القاسم بن عبد الرَّحمٰن، عن أَبيه، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ النَّظَرَ سَهمٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيس مَسْمُومٌ، فَمَنْ تَرَكَهُ مِنْ مَخَافَةِ اللّهِ أَبْدَلَهُ اللّهُ إِيمَاناً يَجِدُ حَلَاوَتَهُ في قَلْبِه**»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٢٤٦٥)، والبخاري في الأدب المفرد: (١١٥٠)، والسيوطي في جمع الجوامع: (٩٣٤٠) و(٩٣٤١) و(٩٣٤٢)، وابن حجر في فتح الباري: (٥/ ١١٢)، والهندي في كنز العمال: (٢٥٤٠٩)، و(٢٥٤٤٧)، والطحاوي في مشكل الآثار: (١/ ٢٩).

(٢) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد: (١/ ٢٩٣)، وهو في مجمع الزوائد ـ طبعة الدار ـ: (١٦١٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب: (٤/ ٣)، والذهبي في الميزان: (٦٧٠٥)، وابن حجر في لسان الميزان: (١٣٢٦)، والسيوطي في الدر المنثور: (١/ ٢٤٦ و٢٩٥) و(٥/ ٤١)، والهندي في كنز العمال: (٤٣٥٣٤)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: (٧/ ٣٠٢).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير: (٨/ ٢٤٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب: (٣/ ٣٧)، والهندي في كنز العمال: (١٣٠٨٢).

(٤) أخرجه الهندي في كنز العمال: (١٣٠٦٨)، والسيوطي في جمع الجوامع: (٥٩٩١). وورد الحديث بلفظ: «**إنَّ النَّظرة سهمٌ من سهام إبليس. . . .**»الحديث.

وفي حديث أَبي هريرة الصَّحيح عن النَّبيِّ ﷺ: «**زِنَا العَيْنَيْنِ النَّظَرُ**»[١].

وذكر الحديث رواه البخاري تعليقاً ومسلم مسنداً، وقد كانوا ينهون أن يحدَّ الرَّجل بصره إِلىٰ المردان، وكانوا يتّهمون من فعل ذٰلك في دينه.

وقد ذهب كثيرٌ من العلماء إِلىٰ أَنَّه لا يجوز للمرأَة أن تنظر إِلىٰ الأَجانب من الرِّجال بشهوةٍ ولا بغير شهوةٍ أَصلاً.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: (٢٦٥٧)، وأحمد في المسند: (٢/ ٢٧٦ و٣٢٩ و٥٣٦)، وهو في مسند أحمد ـ طبعة الدار ـ: (٧٧٢٣) و(٨٣٦٤) و(١٠٩٢٠)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٦/ ٢٥٦)، والربيع ابن شهاب في المسند: (٦٧)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: (٥/ ٣٢١)، والسيوطي في الدر المنثور: (٥/ ٤١) و(٦/ ١٨٦)، والهيثمي في مجمع الزوائد: (٦/ ٢٥٦)، وهو في مجمع الزوائد ـ طبعة الدار ـ: (١٠٥٤٥)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: (٥/ ٣٢١)، وابن حجر في المطالب العالية: (٥/ ٤١) و(٦/ ١٢٧)، والهندي في كنز العمال: (١٣٠٥٥)، وابن حجر في المطالب العالية: (١٥٢٩)، وأورده الألباني في الإرواء: (٨/ ٣٧).

في فضائل غضّ البصر قربة لله تعالىٰ

قال شيخ الإسلام: وأمّا النُّور والعلم والحكمة فقد دلَّ عليه قوله تعالىٰ في قصّة يوسف: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [يوسف: ٢٢] فهي لكلِّ محسنٍ. وفي هٰذه السُّورة ذكر آية النُّور بعد غضّ البصر وحفظ الفرج، وأمره بالتَّوبة ممَّا لا بدَّ منه أن يدرك ابن آدم من ذٰلك.

وقال أبو عبد الرَّحمٰن السُّلمي: سمعت أبا الحسين الورّاق يقول: من غضَّ بصره عن محرم أورثه الله بذلك حكمة علىٰ لسانه يهتدي بها، ويهدي بها إلىٰ طريق مرضاته. وهٰذا لأنَّ الجزاء من جنس العمل؛ فإذا كان النَّظر إلىٰ محبوبٍ فتركه لله عوضه الله ما هو أحبُّ إليه منه، وإذا كان النَّظر بنور العين مكروهاً أو إلىٰ مكروهٍ فتركه لله أعطاه الله نوراً في قلبه وبصراً يبصر به الحقّ.

قال شاه الكرماني: من غضَّ بصره عن المحارم، وعمَّر باطنه بدوام المراقبة، وظاهره باتِّباع السُّنَّة، وعوَّد نفسه أكل الحلال، وكفَّ نفسه عن الشَّهوات: لم تخطىء له فراسة. وإذا صلح علم الرَّجل فعرف الحقَّ وعمله واتَّبع الحقَّ: صار زكيّاً تقياً مستوجباً للجنَّة.

ويُؤيِّد ذٰلك حديث أبي أُمامة المشهور من رواية البغوي: حدَّثنا طالوت بن عبّاد، حدَّثنا فضالة بن حبير، سمعت أبا أُمامة يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«اكْفَلُوا لِي بِسِتٍّ أَكْفَلْ لَكُمُ الجَنَّةَ: إِذَا حَدَّثَ أَحَدُكُمْ فَلَا يَكْذِبْ، وَإِذَا ائتُمِنَ فَلا يَخُنْ، وَإِذَا وَعَدَ فَلَا يَخْلف، غُضُّوا أَبْصَارَكُمْ وَكُفُّوا أَيدِيكُم وَاحْفَظُوا فُرُوجَكُمْ»**[١].

فقد كفل بالجنَّة لمن أتىٰ بهٰذه السّتّ خصال، فالثَّلاثة الأُولىٰ تبرئةٌ من النِّفاق، والثَّلاثة الأُخرىٰ تبرئةٌ من الفسوق، والمخاطبون مسلمون، فإذا لم يكن منافقاً كان مؤمناً، وإذا لم يكن فاسقاً كان تقياً فيستحقُّ الجنَّة.

---

(١) سبق تخريجه.

ويوافق ذلك ما رواه ابن أَبي الدُّنيا: حدَّثنا أَبو سعيد المدنيّ، حدَّثني عمر بن سهل المازنيّ، قال حدَّثني عمر بن محمَّد بن صهبان، حدّثني صفوان بن سليم، عن أَبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ عَيْنٍ بَاكِيَة يَوْم القِيَامَةِ إلاَّ عَيْنٌ غضَّتْ عَنْ مَحَارِمِ اللّهِ، وَعَيْنٌ سَهِرَتْ في سَبِيلِ الله، وَعَيْنٌ يَخْرُجُ مِنْهَا مِثْل رأس الذُّبَاب مِنْ خَشْيَةِ الله**»(١).

وقوله سبحانه: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: ١٣١] يتناول النَّظر إِلىٰ الأَموال واللِّباس والصُّور وغير ذٰلك من متاع الدُّنيا: أَمَّا اللِّباس والصُّور فهما اللَّذان لا ينظر الله إِليهما، كما في صحيح مسلم عن أَبي هريرة عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**إِنَّ الله لاَ يَنْظُرُ إِلَىٰ صُورِكُمْ وَلاَ إِلَىٰ أَموالِكُمْ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»(٢).

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَثَٰثًا وَرِءْيًا﴾ [مريم: ٧٤] وذٰلك أَنَّ الله يمتّع بالصُّور كما يمتّع بالأَموال، وكلاهما من زهرة الحياة الدُّنيا، وكلاهما يفتن أَهله وأَصحابه، وربما أَفضىٰ به إِلىٰ الهلاك دنيا وأُخرىٰ.

والهلكىٰ رجلان: فمستطيعٌ، وعاجزٌ.

فالعاجز: مفتونٌ بالنَّظر ومدّ العين إِليه.

والمستطيع: مفتونٌ فيما أُوتي منه، غارقٌ قد أَحاط به ما لا يستطيع إِنقاذ نفسه منه، وهٰذا المنظور قد يعجب المؤمن وإِن كان المنظور منافقاً أَو فاسقاً كما يعجبه المسموع منهم.

قال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [المنافقون: ٤].

فهٰذا تحذيرٌ من الله تعالىٰ من النَّظر إِليهم واستماع قولهم، فلا ينظر إِليهم ولا يسمع قولهم، فإِنَّ الله سبحانه قد أَخبر أَنَّ رؤياهم تعجب النَّاظرين إِليهم، وأَنَّ قولهم يعجب السَّامعين.

---

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور: (١/ ٢٤٧) و(٢/ ٢٥١) و(٣/ ٣٤) و(٤/ ٢٣٠) و(٥/ ٤١).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: (٣٤/ ٢٥٦٤)، وابن ماجه في سننه: (٤١٤٣)، والسيوطي في مجمع الجوامع: (٥١٤٣) و(٥١٤٥)، وابن حجر في فتح الباري: (٧/ ٢١٤) و(١٣/ ٣٧٣)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: (١/ ١٥٦) و(٣/ ١٢٥) و(٨/ ٢٣٢ و٤٤٩) و(١٠/ ٦)، والتبريزي في المشكاة: (٥٣١٤)، وابن المبارك في الزهد: (٥٤٠)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار: (٣/ ٢٦٩) و(٤/ ٣٥١)، والسيوطي في الدر المنثور: (٥/ ٢٣٨) و(٦/ ٢٣١)، وأبو نعيم في الحلية: (٤/ ٩٨) و(٧/ ١٢٤).

ثمَّ أخبر عن فساد قلوبهم وأعمالهم بقوله: ﴿كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون: ٤]. فهٰذا مثل قلوبهم وأعمالهم.

وقال تعالىٰ: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [البقرة: ٢٠٤] الآية.

وقد قال تعالىٰ في قصة قوم لوط: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥].

والتَّوسُّم من السِّمة، وهي العلامة، فأخبر سبحانه أنَّه جعل عقوبات المعتدين آيات للمتوسِّمين.

وفي التِّرمذيِّ عن النَّبيِّ ﷺ قال: **«اتَّقُوا فِرَاسَةَ المُؤْمِنِ، فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ الله»**[١]. ثم قرأ: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥] فدلَّ ذٰلك علىٰ أنَّ من اعتبر بما عاقب الله به غيره من أهل الفواحش كان من المتوسِّمين.

وأَخبر تعالىٰ عن اللُّوطيَّة أَنَّه طمس أَبصارهم، فكانت عقوبة أَهل الفواحش طمس الأَبصار، كما قد عرف ذٰلك فيهم وشوهد منهم. وكان ثواب المعتبرين بهم التَّاركين لأَفعالهم إِعطاء الأَنوار، وهٰذا مناسبٌ لذكر آية النُّور عقيب غضّ الأَبصار. وأَمَّا القدرة والقوَّة التي يعطيها الله لمن اتّقاه وخالف هواه فذٰلك حاصلٌ معروفٌ، كما جاء: **«إِنَّ الذي يَتْرُكُ هَوَاهُ يَفْرُقُ[٢] الشَّيطَانُ مِنْ ظِلِّهِ»**.

وفي الصَّحيح أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: **«لَيسَ الشَّدِيدُ بالصَّرْعَةِ، إِنَّما الشَّدِيدُ الذي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ»**[٣].

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه: (٣١٢٧)، وأبو نعيم في الحلية: (٤/ ٩٤) و(٦/ ١١٨)، والطبراني في المعجم الكبير: (٨/ ١٢١)، وابن حجر في فتح الباري: (١٢/ ٣٨٨)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: (٦/ ٥٤٤) و(٧/ ٢٥٩)، والهندي في كنز العمال: (٣٠٧٣٠)، والذهبي في الميزان: (٨٠٠٩٨)، وابن حجر في لسان الميزان: (٥/ ١١٥٤)، والسيوطي في الدر المنثور: (٤/ ١٠٣).

(٢) يفرق: يخاف.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: (٦١١٤)، ومسلم في صحيحه: (٢٦٠٩)، وأحمد في المسند: (٢/ ٢٣٦ و٢٦٨ و٥١٧)، وهو في مسند أحمد ـ طبعة دار الفكر ـ: (٧٢٢٣) و(٧٦٤٤) و(١٠٧٠٧)، والبيهقي في السنن الكبرى: (١٠/ ٢٣٥ و٢٤١)، والطحاوي في مشكل الآثار: (٢/ ٢٥٤)، والربيع بن حبيب في المسند: (٢/ ٦٩)، وعبد الرزاق في المصنف: (٢٠٢٨٧)، وابن عبد البر في التجريد: (٣٧٤)، والبخاري في الأدب المفرد: (١٣١٧)، والمنذري في الترغيب والترهيب: (٣/ ٤٢٠ و٤٤٧)، وابن عبد البر في التمهيد: (٦/ ٣٢١ و٣٢٢)، والتبريزي في المشكاة: (٥١٠٥)، وابن حجر في فتح الباري: (١٠/ ٥١٨)، ومالك في الموطأ: (٩٠٦).

وفي رواية: أَنَّهُ مرَّ بقوم يخذفون حجراً، فقال: «**لَيسَ الشِّدَّةُ في هٰذا، وإِنَّما الشِّدَّةُ في أَنْ يَمْتَلِىءَ أَحَدُكُمْ غَيظاً ثُمَّ يَكْظِمُهُ للّهِ**»[١] أَو كما قال.

وهٰذا ذكره في الغضب؛ لأَنَّه معتادٌ لبني آدم كثيراً، ويظهر للنَّاس. وسلطان الشَّهوة يكون في الغالب مستوراً عن أَعينِ النّاس، وشيطانها خاف، ويمكن في كثيرٍ من الأَوقات الاعتياض بالحلال عن الحرام، وإِلا فالشَّهوة إِذا اشتعلت واستولت قد تكون أَقوىٰ من الغضب، وقد قال تعالىٰ: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨]؛ أَي: ضعيفاً عن النِّساء لا يصبر عنهنّ.

وفي قوله: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٦]. ذكروا منه العشق، والعشق يفضي بأَهله إِلىٰ الأَمراض والإِهلاك، وإِن كان الغضب قد يبلغ ذٰلك أَيضاً، وقد دلَّ القرآن علىٰ أَنَّ القوَّة والعزَّة لأَهل الطَّاعة التَّائبين إِلىٰ الله في مواضع كثيرة، كقوله في سورة هود: ﴿وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢].

وقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وقوله: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وإِذا كان الذي قد يهجر السَّيِّئات يغضُّ بصره، ويحفظ فرجه، وغير ذٰلك ممَّا نهىٰ الله عنه يجعل الله له من النُّور والعلم والقوَّة والعزَّة ومحبَّة الله ورسوله، فما ظنُّك بالذي لم يحم حول السَّيِّئات ولم يعرها طرفه قط ولم تحدِّثه نفسه بها؟! بل هو يجاهد في سبيل الله أَهلها ليتركوا السَّيِّئات؟ فهل هٰذا وذاك سواء؛ بل هٰذا له من النُّور والإِيمان والعزَّة والقوَّة والمحبَّة والسُّلطان والنَّجاة في الدُّنيا والآخرة أَضعاف أَضعاف ذاك، وحاله أَعظم وأَعلىٰ، ونوره أَتمّ وأَقوىٰ، فإِنَّ السَّيِّئات تهواها النُّفوس، ويزيِّنها الشَّيطان، فتجتمع فيها الشُّبهات والشَّهوات.

فإِذا كان المؤمن قد حبَّب الله إِليه الإِيمان وزيّنه في قلبه، وكرَّه إِليه الكفر والفسوق والعصيان حتَّىٰ يُعَوَّض عن شهوات الغيِّ بحبِّ الله ورسوله وما يتبع ذٰلك، وعن الشَّهوات

---

(١) أخرجه السيوطي في الدر المنثور: (٢/ ٧٣).

والشُّبهات بالنُّور والهدىٰ، وأَعطاه الله من القوّة والقدرة ما أَيّده به: حيث دفع بالعلم الجهل، وبإِرادة الحسنات إِرادة السَّيِّئات، وبالقوَّة علىٰ الخير القوَّة علىٰ الشَّرِّ في نفسه فقط، والمجاهد في سبيل الله يطلب فعل ذٰلك في نفسه وغيره أَيضاً، حتى يدفع جهله بالظُّلم، وإِرادته السَّيِّئات بإِرادة الحسنات ونحو ذٰلك.

والجهاد تمام الإِيمان وسنام[1] العمل، كما قال تعالىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ﴾ [الحجرات: ١٥].

وقال: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] الآية.

وقال: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ﴾ [التوبة: ١٩] الآية، فكذٰلك يكون هٰذا الجزاء في حقِّ المجاهدين، كما قال تعالىٰ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩] فهٰذا في العلم والنُّور.

وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ إلىٰ قوله: ﴿صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾ [النساء: ٦٦ ـ ٦٨].

فقتل النُّفوس هو قتل بعضهم بعضاً، وهو من الجهاد، والخروج من ديارهم هو الهجرة، ثمَّ أَخبر أَنَّهم إِذا فعلوا ما يوعظون به من الهجرة والجهاد كان خيراً لهم وأَشدَّ تثبيتاً، ففي الآية أَربعة أُمورٍ:

أ ـ الخير المطلق.

ب ـ والتَّثبيت المتضمِّن للقوَّة والمكنة.

ج ـ والأَجر العظيم.

د ـ وهداية الصِّراط المستقيم.

وقال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

وقال: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ﴾ إِلىٰ قوله: ﴿عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠ ـ ٤١].

---

(١) السّنام: السنام من كلِّ شيء: أعلاه. والسّنام من القوم: شريفهم.

وقال: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ﴾ [المائدة: ٥٤].

وأمّا أهل الفواحش الذين لا يغضّون أبصارهم ولا يحفظون فروجهم فقد وصفهم الله بضدِّ ذٰلك: من السّكرة، والعمه، والجهالة، وعدم العقل، وعدم الرّشد، والبغض، وطمس الأبصار، هٰذا مع ما وصفهم به من الخبث، والفسوق، والعدوان، والإسراف، والسُّوء، والفحش، والفساد، والإجرام.

فقال عن قوم لوط: ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾ [النمل: ٥٥]، فوصفهم بالجهل.

وقال: ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

وقال: ﴿أَلَيۡسَ مِنكُمۡ رَجُلٞ رَّشِيدٞ﴾ [هود: ٧٨].

وقال: ﴿فَطَمَسۡنَآ أَعۡيُنَهُمۡ﴾ [القمر: ٣٧].

وقال: ﴿بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ﴾ [الأعراف: ٨١].

وقال: ﴿فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [الاعراف: ٨٤].

وقال: ﴿إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمَ سَوۡءٖ فَٰسِقِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٤].

وقال: ﴿أَئِنَّكُمۡ لَتَأۡتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقۡطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأۡتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلۡمُنكَرَۖ﴾ إلىٰ قوله: ﴿ٱنصُرۡنِي عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ [العنكبوت: ٢٩ ـ ٣٤].

وقوله: ﴿مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الذاريات: ٣٤].



في دعوة المؤمنين إلى التوبة

في قوله في آخر الآية: ﴿وَتُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١] فوائد جليلة: منها أَنَّ أمره لجميع المؤمنين بالتَّوبة في هٰذا السِّياق تنبيهٌ علىٰ أَنَّه لا يخلو مؤمنٌ من بعضِ هٰذه الذُّنوب التي هي: ترك غضِّ البصر، وحفظ الفرج، وترك إِبداء الزِّينة، وما يتبع ذٰلك، فمستقلٌّ ومستكثرٌ، كما في الحديث.

«مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَنِي آدَمَ إِلاَّ أَخطَأَ أَوْ هَمَّ بِخَطِيئةٍ إِلاّ يَحْيىٰ بن زَكَرِيَا»[١] وذٰلك لا يكون إِلاَّ عن نظرٍ.

وفي السُّنن عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال: **«كُلُّ بَني آدم خطَّاءٌ، وَخَيْرُ الخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ»**[٢].

وفي الصَّحيح عن أَبي ذرٍّ عن النَّبيِّ ﷺ: **«يقول الله تعالىٰ: يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِؤُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً وَلاَ أُبَالِي، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِر لَكُمْ»**[٣].

وفي الصَّحيحين عن ابن عبَّاس قال: مَا رَأَيْتُ شَيْئاً أَشْبَه بِاللَّمَمِ مِمَّا قال أَبو هريرة: إِنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: **«إِنَّ اللّه كَتَبَ عَلَىٰ ابنِ آدَمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَا أَدْرَكَ ذٰلِكَ لاَ مَحالَةَ، فَزِنَا**

---

(١) أخرج أحمد في المسند: (١/ ٢٥٤ و٢٩٢)، وهو في مسند أحمد ـ طبعة دار الفكر ـ: (٢٢٩٤) و(٢٦٥٤)، والسيوطي في الدر المنثور: (٤/ ٢٦٢)، والهندي في كنز العمال: (٣٢٤٣٤): عن عبد اللّه بن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من أحدٍ من ولد آدم إلا قد أخطأ أو همَّ بخطيئةٍ، ليس يحيىٰ بن زكريا، وما ينبغي لأحدٍ أن يقول أنا خيرٌ من يونس بن متى عليه السلام»**.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه: (٢٤٩٩)، وابن ماجه في سننه: (٤٢٥١)، والدارمي في سننه: (٢/ ٣٠٣)، والحاكم في المستدرك: (٤/ ٢٤٤)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: (١/ ٤٠٩) و(٨/ ٥٩٦)، والهندي في كنز العمال: (١٠٢٢٠)، والسيوطي في الدر المنثور: (١/ ٢٦١)، والتبريزي في المشكاة: (٢٣٤١).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرك: (٤/ ٢٤١)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٦/ ٩٣)، والبخاري في الأدب المفرد: (٤٩٠).

العَينَينِ النَّظَرُ، وَزِنَا اللِّسَانِ النُّطقُ»[١] الحديث إلىٰ آخره. وفيه: «**وَالنَّفْسُ تَتَمَنَّىٰ ذٰلِكَ وَتَشْتَهِي، وَالفَرْجُ يُصَدِّقُ ذٰلِكَ أَو يُكَذِّبُهُ**»[٢] أَخرجه البخاري تعليقاً من حديث طاوس عن أَبي هريرة.

ورواه مسلم من حديث سهيل بن أَبي صالح، عن أَبيه، عن أَبي هريرة، عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**كُتِبَ عَلَىٰ ابن آدمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَا يُدرِكُ ذٰلِكَ لاَ مَحَالَةَ: العَينَان زِنَاهُمَا النَّظَرُ، وَالأُذُنَان زِنَاهُمَا الاسْتِمَاعُ، واللِّسَانُ زِنَاهُ الكَلاَمُ، وَاليَدَانِ زِناهُما البَطْشُ، والرِّجْلاَنِ زِنَاهُمَا الخطا، والقَلْبُ يَهوىٰ وَيَتَمَنَّىٰ، ويصدق ذٰلِكَ الفَرْجُ أَو يكذبه**»[٣].

وقد روىٰ الترمذيُّ حديثاً واستغربه عن ابن عبَّاس في قوله: ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾[٤]: قال رسول الله ﷺ: «**إِنْ تَغفِرِ اللَّهُمَّ تَغفِر جَمّاً، وَأَيّ عَبْدٍ لَكَ لاَ أَلماً**»[٥].

ومنها: أَنَّ أَهل الفواحش الذين لم يغضُّوا أَبصارهم ولم يحفظوا فروجهم مأْمورون بالتَّوبة، وإِنَّما أُمروا بها لتقبل منهم، فالتَّوبة مقبولة منهم ومن سائر المذنبين، كما قال تعالىٰ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ١٠٤].

وقال تعالىٰ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥] وسواء كانت الفواحش مغلظة لشدَّتها وكثرتها ـ كإِتيان ذوات المحارم، وعمل قوم لوط أَو غير ذٰلك ـ وسواء تاب الفاعل أَو المفعول به فمن تاب تاب الله عليه، بخلاف

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: (٦٢٤٣)، ومسلم في صحيحه: (٢٦٥٧)، وأبو داود في سننه: (٢١٥٢)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٧/ ٨٩ و١٨٦)، والسيوطي في جمع الجوامع: (٤٩٣١)، وابن حجر في فتح الباري: (١١/ ٢٦ و٥٠٢ و٥٠٣)، والتبريزي في المشكاة: (٨٦)، والهندي في كنز العمال: (١٣٠٤٩).

(٢) المرجع السابق.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: (٢٦٥٧)، وأحمد في المسند: (٢/ ٣١٧)، وهو في مسند أحمد ـ طبعة دار الفكر ـ: (٣/ ٨٢٢٢)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: (٥/ ٣٢١)، والهندي في كنز العمال: (١٣٠٦٤)، والسيوطي في الدر المنثور: (٣/ ٣٦)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار: (٣/ ٩٩)، وأورده الألباني في إرواء الغليل: (٨/ ٣٧).

(٤) سورة النجم، الآية: (٣٢). واللمم: ما يلم به الشخص من شهوات النفس، وهي الذُنوب الصغيرة.

(٥) أخرجه الحاكم في المستدرك: (٢/ ٤٦٩)، والهندي في كنز العمال: (٣٦٩٦)، والسيوطي في الدر المنثور: (٦/ ١٢٧)، والتبريزي في مشكاة المصابيح: (٢٣٤٩).

ما عليه طائفة من النَّاس فإنَّهم إذا رأَوا من عمل من هٰذه الفواحش شيئاً أيسوه من رحمة الله، حتَّىٰ يقول أَحدهم: من عمل من ذٰلك شيئاً لا يفلح أبداً، ولا يرجون له قبول توبة، ويروىٰ عن عليّ أَنَّه قال: منَّا كذا ومنَّا كذا والمعفوج ليس منا ويقولون: إنَّ هٰذا لا يعود صالحاً ولو تاب مع كونه مسلماً مقراً بتحريم ما فعل.

ويدخلون في ذٰلك من استكره علىٰ فعل شيءٍ من هٰذه الفواحش ويقولون: لو كان لهٰذا عند الله خيرٌ ما سلَّط عليه من فعل به مثل هٰذا واستكرهه، كما يفعل بكثيرٍ من المماليك طوعاً وكرهاً، وكما يفعل بأُجراء أَهل الصِّناعات طوعاً وكرهاً، وكذٰلك من في معناهم من صبيان الكتاتيب وغيرهم، ونسوا قوله تعالىٰ: ﴿وَلَا تُكْرِهُوا۟ فَتَيَٰتِكُمْ عَلَى ٱلْبِغَآءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا لِّتَبْتَغُوا۟ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَمَن يُكْرِههُّنَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ مِنۢ بَعْدِ إِكْرَٰهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٣٣] وهٰؤلاء قد لا يعلمون صورة التَّوبة، وقد يكون هٰذا حالاً وعملاً لأَحدهم، وقد يكون اعتقاداً.

فهٰذا من أَعظم الضَّلال والغيِّ؛ فإِنَّ القنوط من رحمة الله بمنزلة الأَمن من مكر الله تعالىٰ، وحالهم مقابلٌ لحال مستحلي الفواحش؛ فإِنَّ هٰذا أَمن مكر الله بأَهلها، وذاك قنط أَهلها من رحمة الله.



خصائص الدّاعية إلىٰ الله

والفقيه كلّ الفقيه هو الذي لا يؤيس النّاس من رحمة الله تعالىٰ ولا يجرّئهم على معاصي الله.

وهٰذا في أصل الذُّنوب الإراديّة نظير ما عليه أهل الأهواء والبِدع.

فإنَّ أحدهم يعتقد تلك السَّيئات حسنات فيأمن مكر الله، وكثيرٌ من النّاس يعتقد أنَّ توبة المبتدع لا تقبل، وقد قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وفي الصَّحيحين عن أَبي موسىٰ الأَشعريّ قال: كان رسول الله ﷺ يُسَمّي لنا نفسه أسماء، فقال: **«أنا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمد، والمقفي، وَالحَاشِرُ، وَنَبيُّ التَّوْبَةِ، وَنَبيُّ الرَّحْمَةِ»**[١].

وفي حديثٍ آخر: **«أَنَا نَبيُّ الرَّحْمَةِ وَأَنَا نَبيُّ المَلْحَمَةِ»**[٢] وذٰلك أنَّه بعث بالملحمة، وهي: المقتلة لمن عصاه، وبالتَّوبة لمن أطاعه، وبالرَّحمة لمن صدَّقه واتَّبعه، وهو رحمةٌ للعالمين، وكان من قبله من الأنبياء لا يُؤمر بقتال.

وكان الواحد من أُممهم إذا أصاب بعض الذُّنوب يحتاج مع التَّوبة إلىٰ عقوباتٍ شديدةٍ، كما قال تعالىٰ: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْۚ﴾ [البقرة: ٥٤].

---

(١) ورد الحديث بألفاظ مختلفة أخرجه الهيثمي في موارد الظمآن: (٢٠٩٥)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: (٧/ ١٦٣)، والطبراني في المعجم الكبير: (٢/ ١٣٨)، وأبو نعيم في الحلية: (٥/ ١٠٠)، والهندي في كنز العمال: (٣٢١٦٦) و(٣٢١٧٠) و(٣٢١٧٣) والترمذي في شمائل الرسول: (١٨٤) و(١٩٦)، وابن حجر في فتح الباري: (٨/ ٦٤١). وقد ورد الحديث بهذه الألفاظ: ـ **«أنا محمد وأحمد والحاشر...»** ـ **«أنا محمد وأحمد والعاقب والحاشر...»** ـ **«أنا محمد وأنا أحمد والمقفي...»** ـ **«أنا محمد وأنا أحمد وأنا المقفي..»**

(٢) أخرجه الترمذي في شمائل الرسول: (١٩٧).

وقد روي عن أَبي العالية وغيره: أَنَّ أَحدهم كان إذا أَصاب ذنباً أَصبحت الخطيئة والكفَّارة مكتوبة علىٰ بابه، فأَنزل الله في حقِّ هذه الأُمة: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَـٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٣٥] إلىٰ قوله: ﴿نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٦] فخصَّ الفاحشة بالذِّكر مع قوله: ﴿ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ [آل عمران: ١١٧] والظُّلم يتناول الفاحشة وغيرها تحقيقاً لما ذكرناه من قبول التَّوبة من الفواحش مطلقاً: من اللَّذين يأتيانها من الرِّجال والنِّساء جميعاً.

وفي الصَّحيح عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**إِنَّ اللّه يَبْسِطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسِطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلَعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»(١).

وفي الصَّحيح عنه، أَنَّه قال: «**مَنْ تَابَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا تَابَ اللّه عَلَيْهِ**»(٢).

وفي السُّنن عنه أَيضاً أَنَّه قال: «**لاَ تَنْقَطِعُ الهِجْرَةُ حَتَّىٰ تَنْقَطِعَ التَّوْبَةُ وَلاَ تَنْقَطِعُ التَّوْبَةُ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا**»(٣).

وعنه ﷺ قال: «**قَالَ الشَّيطَانُ: وَعِزَّتُكَ يَا رَبِّ لاَ أَبرَحُ أَغْوِي بَنِي آدَمَ مَا دَامَتْ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ، فَقَالَ الرَّبُّ تَعَالىٰ: وَعِزَّتِي وَجَلالِي وَارْتِفَاعُ مَكَانِي لاَ أَزالُ أَغْفِر لَهُمْ مَا اسْتَغْفَرُونِي**»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: (٢٧٥٩)، وأحمد في المسند: (٤/ ٣٩٥)، وهو في مسند أحمد ـ طبعة دار الفكر ـ: (٧/ ١٩٦٣٨)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٨/ ١٣٦) و(١٠/ ١٨٨)، والهندي في كنز العمال: (١٠١٨٤) و(١٠٢٥١)، والسيوطي في جمع الجوامع: (٥١٦٦) و(٥٢٤٢)، والتبريزي في المشكاة: (٢٣٢٩)، والمنذري في الترغيب والترهيب: (٤/ ٨٨).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: (٦٧٥٥)، وأحمد في المسند: (٢/ ٢٧٥ و٣٩٥ و٤٢٧ و٥٠٦)، وهو في مسند أحمد ـ طبعة دار الفكر ـ: (٩١٤١) و(٩٥١٤) و(١٠٤٢٤) و(١٠٥٨٦) والتبريزي في المشكاة: (٢٣٣١)، والمنذري في الترغيب والترهيب: (٤/ ٨٨)، وابن حجر في فتح الباري: (١١/ ٣٥٤)، والهندي في كنز العمال: (١٠١٩٨)، والسيوطي في الدر المنثور: (٣/ ٥٩)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: (١١/ ١٠).

(٣) أخرجه أبو داود في سننه: (٢٤٧٩)، وأحمد في المسند: (١/ ١٩٢) و(٤/ ٩٩)، وهو في مسند أحمد ـ طبعة دار الفكر ـ: (١٦٧١)، والهيثمي في مجمع الزوائد: (٥/ ٢٥١)، وهو في مجمع الزوائد ـ طبعة دار الفكر ـ: (٩٢٨٠) بنحوه، والطبراني في المعجم الكبير: (١٩/ ٣٨٧)، وابن عبد البر في التمهيد: (٨/ ٣٨٩)، والتبريزي في المشكاة: (٢٣٤٦)، والسيوطي في الدر المنثور: (٣/ ٥٩)، والهندي في كنز العمال: (٤٦٢٤٩)، وأورده الألباني في إرواء الغليل: (٥/ ٣٣).

(٤) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات: (١٣٢).

وعن أبي ذرٍّ قال: قال رسول الله ﷺ: **«يقولُ اللّهُ يا ابنَ آدمَ إنَّك ما دعوتَني ورجوتَني غفرْتُ لَكَ عَلَىٰ ما كانَ منكَ ولا أُبالي، ابن آدمَ لوْ بلغتْ ذُنوبكَ عنانَ السَّماءِ ثُمَّ استغفرْتَني غفرْتُ لَكَ ولا أُبالِي، ابن آدمَ لوْ لقيتَني بقرابِ الأرْضِ خطيئةً ثُمَّ لقيتَني لاَ تُشرِكُ بي شيئاً لآتيتُكَ بقرابِها مغفرةً»**[(١)].

والذي يمنع توبة أحد هٰؤلاء إمَّا بحاله وإما بقاله، ولا يخلو من أحد أمرين: أن يقول: إذا تاب أحدهم لم تقبل توبته، وإمَّا أن يقول أحدهم: لا يتوب الله عليَّ أبداً، أمَّا الأوَّل فباطلٌ بكتاب الله وسُنَّة نبيِّه وإجماع المسلمين، وإن كان قد تكلَّم بعض العلماء في توبة القاتل وتوبة الدَّاعي إلىٰ البدع، وفي ذٰلك نزاعٌ في مذهب أحمد، وفي مذهب مالك أيضاً نزاعٌ ذكره صاحب التَّمثيل والبيان في «الجامع» وغيره، وتكلَّموا أيضاً في توبة الزِّنديق[(٢)]، ونحو ذٰلك.

فهم قد يتنازعون في كون التَّوبة في الظَّاهر تدفع العقوبة: إمَّا لعدم العلم بصحّتها، وإمَّا لكونها لا تمنع ما وجب من الحدِّ، ولم يقل أحدٌ من الفقهاء: إنَّ الزِّنديق ونحوه إذا تاب فيما بينه وبين الله توبةً صحيحةً لم يتقبَّلها الله منه، وأما القاتل والمضلُّ فذاك لأجل تعلُّق حقِّ الغير به، والتَّوبة من حقوق العباد لها حال آخر، وليس هٰذا موضع الكلام فيها وفي تفصيلها، وإنَّما الغرض أنَّ الله يقبل التَّوبة من كلِّ ذنبٍ، كما دلَّ عليه الكتاب والسُّنَّة. والفواحش خصوصاً ما علمت أحداً نازع في التَّوبة منها، والزَّاني والمزني به مشتركان في ذٰلك إن تابا تاب الله عليهما، ويبيِّن التَّوبة خصوصاً من عمل قوم لوط من الجانبين ما ذكره الله في قصَّة قوم لوط؛ فإنَّهم كانوا يفعلون الفاحشة بعضهم ببعض، ومع هٰذا فقد دعاهم جميعهم إلىٰ تقوىٰ الله والتَّوبة منها، فلو كانت توبة المفعول به أو غيره لا تقبل لم يأمرهم بما لا يقبل، قال تعالىٰ: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٦٢﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [الشعراء: ١٦٠ ـ ١٦٣] فأمرهم بتقوىٰ الله المتضمِّنة لتوبتهم من هٰذه الفاحشة، والخطاب وإن كان للفاعل فإنَّه إنَّما خصَّ به لأنه صاحب الشَّهوة والطَّلب في العادة؛ بخلاف المفعول به؛ فإنَّه لم تخلق فيه شهوة لذٰلك في الأصل؛ وإن كانت قد تعرَّض له لمرضٍ طارىءٍ، أو أجر يأخذه من الفاعل، أو لغرضٍ آخر. والله سبحانه وتعالىٰ أعلم.

---

(١) أخرجه العراقي في المغني عن حمل الأسفار: (١/ ٢٩٩)، وأورده ابن كثير في تفسيره: (٣/ ٣٥٥).

(٢) الزنديق: من يبطن الكُفر ويخفيه ويظهر الإيمان، والزنديق أيضاً: كلُّ شاكٍّ أو ضالٍّ أو ملحد، الجمع: زنادقة، وزناديق. يقال: تزندق؛ أي: صار زنديقاً أو تخلَّق بأخلاق الزنادقة.

النّظر إلى المردان

سُئِلَ شيخ الإسلام عن قوله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣٠ ـ ٣١] الآية، والحديث عن النّبيّ ﷺ في ذكر «زنا الأعضاء كلها»، وَمَاذا عَلَىٰ الرَّجل إذا مسَّ يد الصَّبيِّ الأَمرد[1]، فهل هو من جنس النِّساء ينقض الوضوء أم لا؟ وما علىٰ الرَّجل إذا جاءت إلىٰ عنده المردان، ومدَّ يده إلى هٰذا وهٰذا ويتلذَّذ بذٰلك، وما جاء في التَّحريم من النَّظر إلىٰ وجه الأَمرد الحسن؟ وهلِ هٰذا الحديث المرويّ: «**أن النَّظرَ إلىٰ الوَجْهِ المَلِيح عِبادَةٌ**»[2] [صحيحٌ] أم لا؟ وإذا قال أَحدٌ: أَنا ما أَنظر إلىٰ المليح الأَمرد لأَجل شيءٍ، ولكنِّي إذا رأَيته قلتُ: سبحان الله! تبارك الله أَحسن الخالقين! فهل هٰذا القول صواب أم لا! أَفتونا مأجورين.

فأَجاب: قدَّس الله روحه، ونوَّر ضريحه، ورحمه ورضي عنه، ونفع بعلومه وحشرنا في زُمرته.

الحمد لله. إذا مسَّ الأَمرد لشهوةٍ ففيه قولان في مذهب أَحمد وغيره:

أَحدهما: أَنَّه كمسِّ النِّساء لشهوةٍ ينقض الوضوء، وهو المشهور في مذهب مالك، وذكره القاضي أبو يعلىٰ في شرح المذهب، وهو أَحد الوجهين في مذهب الشَّافعي.

والثَّاني: أَنَّه لا ينقض، وهو المشهور من مذهب الشَّافعيّ. والقول الأَوَّل أَظهر، فإِنَّ الوطء في الدُّبر يفسد العبادات التي تفسد بالوطيء في القُبل، كالصِّيام والإِحرام والاعتكاف، ويوجب الغسل كما يوجبه هٰذا؛ فتكون مقدّمات هٰذا في باب العبادات كمقدّمات هٰذا، فلو مسَّ الأَمرد لشهوةٍ وهو محرم فعليه دمٌ، كما عليه لو مسَّ أَجنبيَّةً لشهوةٍ؛ وكذٰلك إذا مسَّ الأَمرد لشهوةٍ وجب أَن يكون كما لو مسَّ المرأَة لشهوةٍ في نقض الوضوء.

---

(١) الأمرد: مرد الشاب مرداً ومروداً: لم تنبت لحيته، أو أبطأ نبات وجهه، فهو أمرد، الجمع: مُرْدٌ.

(٢) أخرج الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: (٣/ ٢٢٥): «**النَّظر إلى الوجه الحسن يجلو البصر**».

والذي لا ينقض الوضوء بمسّه يقول: إنّه لم يخلق محلاً لذٰلك.

فيقال: لا ريب أنّه لم يخلق لذٰلك، وأنّ الفاحشة اللّوطيّة من أعظم المحرّمات، لكنّ هٰذا القدر لم يعتبر في بعض الوطء، فلو وطء في الدُّبر تعلّق به ما ذكر من الأحكام، وإن كان الدُّبر لم يخلق محلاً للوطيء، مع أن نفرة الطِّباع عن الوطيء في الدُّبر أعظم من نفرتها عن الملامسة، ونقض الوضوء باللّمس يراعى فيه حقيقة الحكمة، وهو أن يكون المسُّ لشهوةٍ عند الأكثرين ـ كمالك وأحمد وغيرهما ـ يراعى كما يراعى مثل ذٰلك في الإحرام والاعتكاف وغير ذٰلك.

وعلىٰ هٰذا القول فحيث وجد اللّمس لشهوةٍ تعلّق به الحكم، حتّىٰ لو مسّ بنته وأُخته وأُمّه لشهوةٍ انتقض وضوءه؛ فكذٰلك من الأمرد. وأمّا الشّافعيُّ وأحمد في رواية فيعتبر المظنّة، وهو أنّ النّساء مظنّة الشّهوة، فينقض الوضوء سواء كان بشهوةٍ أو بغير شهوةٍ؛ ولهٰذا لا ينقض مسّ المحارم؛ لكن لو مسّ ذوات محارمه لشهوةٍ فقد وجدت حقيقة الحكمة. وكذٰلك إذا مسّ الأمرد لشهوةٍ، والتّلذُّذ بمسّ الأمرد ـ كمصافحته ونحو ذٰلك ـ حرامٌ بإجماع المسلمين، كما يحرّم التّلذُّذ بمسّ ذوات المحارم والمرأة الأجنبيّة، كما أن الجمهور علىٰ أنّ عقوبة اللُّوطيّ أعظم من عقوبة الزّنا بالأجنبية، فيجب قتل الفاعل والمفعول به، سواء كان أحدهما محصناً أو لم يكن، وسواء كان أحدهما مملوكاً للآخر أو لم يكن، كما جاء ذٰلك في السُّنن عن النّبيّ ﷺ وعمل به أصحابه من غير نزاعٍ يُعرف بينهم، وقتله بالرّجم، كما قتل الله قوم لوط؛ وبذٰلك جاءت الشّريعة في قتل الزّاني أنّه بالرّجم؛ فرجم النّبيُّ ﷺ ماعز بن مالك، والغامدية[1]، واليهوديين، والمرأة التي أرسل إليها أنيساً[2]، وقال: **«اذهب إلىٰ امرأةِ هٰذا فإن اعترفت فارجمها»**[3] فرجمها.

---

(١) الغامدية: هي المرأة التي رجمت في عهد رسول الله ﷺ.

(٢) أنيس: هو أنيس بن الضّحاك الأسلمي، ذكره أبو حاتم الرازي وقال: لا يُعرف، وروى ابن منده من طريق بقية له حديثاً. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة: الترجمة رقم: (٢٨٨).

(٣) أخرج البخاري في صحيحه: (٢٣١٤) و(٢٧٢٤)، ومسلم في صحيحه: (٢٥/١٦٩٧)، وأبو داود في سننه: (٤٤٤٥)، والترمذي في سننه: (١٤٣٣)، وابن ماجه في سننه: (٢٥٤٩)، والنسائي في سننه: (٥٤٢٦)، عن أبي هريرة، وزيد بن خالد، وشبل، رضي الله عنهم قالوا: ـ كنّا عند رسول الله ﷺ، فأتاه رجلٌ فقال: أنشدك الله لمّا قضيت بيننا بكتاب الله. فقال خصمه وكان أفقه منه: اقض بيننا بكتاب الله، =

والنَّظر إِلىٰ وجه الأَمرد بشهوةٍ كالنَّظر إِلىٰ وجه ذوات المحارم، والمرأَة الأَجنبيَّة بالشَّهوة، سواءَ كانت الشَّهوة شهوة الوطء أَو كانت شهوة التَّلذُّذ بالنظر، كما يتلذَّذ بالنَّظر إِلى وجه المرأة الأجنبية، كان معلوماً لكلِّ أحدٍ أَنَّ هٰذا حرامٌ، فكذٰلك النَّظر إِلىٰ وجه الأَمرد باتِّفاق الأَئمَّة.

وقول القائل: إِنَّ النَّظر إِلىٰ وجه الأَمرد عبادةٌ، كقوله: إِنَّ النَّظر إِلىٰ وجوه النِّساء [الأَجانب] والنَّظر إِلىٰ محارم الرَّجل كبنت الرَّجل وأُمِّه وأُخته عبادةٌ. ومعلومٌ أَنَّ من جعل هٰذا النَّظر المحرم عبادة فهو بمنزلة من جعل الفواحش عبادة.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨].

ومعلومٌ أَنَّه قد يكون في صور النِّساء الأَجنبيات وذوات المحارم من الاعتبار والدَّلالة علىٰ الخالق من جنس ما في صور المردان، فهل يقول مسلمٌ: إِنَّ للإِنسان أَن ينظر علىٰ هٰذا الوجه إِلىٰ صور النِّساء نساء العالمين وصور محارمه، ويقول: إِنَّ ذٰلك عبادةٌ؛ بل من جعل مثل هٰذا النَّظر عبادة فإِنَّه كافرٌ مرتدٌ، يجب أَن يستتاب فإِن تاب وإِلاّ قُتل.

وهو بمنزلة من جعل إِعانة طالب الفاحشة عبادة، أَو جعل تناول يسير الخمر عبادة، أَو جعل السُّكر من الحشيشة عبادة؛ فمن جعل المعاونة بقيادة أَو غيرها عبادة، أَو جعل شيئاً من المحرمات التي يعلم تحريمها في دين الإِسلام عبادة: فإِنَّه يستتاب فإِن تاب وإِلاَّ قُتل. وهو مضاهٍ به للمشركين: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨] وفاحشة أُولئك إِنَّما كانت طوافهم بالبيت عراة، وكانوا يقولون: لا نطوف في الثِّياب التي عصينا الله فيها، فهؤلاء إِنَّما كانوا يطوفون عراة علىٰ وجه اجتناب ثياب المعصية. وقد ذكر الله عنهم ما ذكر، فكيف بمن جعل جنس الفاحشة المتعلِّقة بالشَّهوة عبادة؟!.

= وائذن لي حتى أقول. قال: «قُلْ». قال: إِنَّ ابني كان عسيفاً على هٰذا، وإِنَّه زنى بامرأته، فافتديت منه بمائة شاة وخادم، فسأَلت رجالاً من أهل العلم، فأُخبرت أن على ابني جلد مائةٍ وتغريب عام، وأَن على امرأة هذا الرَّجم. فقال رسول الله ﷺ: **«والذي نفسي بيده لأقضينَّ بينكما بكتاب الله، المائة الشّاةُ والخادم رَدٌّ عليك، وعلى ابنك جلد مائة وتغريب عام، واغد يا أُنيس علىٰ امرأة هذا، فإِن اعترفت فارجمها»**. قال هشام: فغدا عليها، فاعترفت، فرجمها.

في تحريم النَّظر إلى العورات

والله سبحانه قد أَمر في كتابه بغضّ البصر.

وهو نوعان:

١ ـ غضُّ البصر عن العورة.

٢ ـ وغضه عن محلِّ الشَّهوة.

فالأَول: كغضّ الرَّجل بصره عن عورة غيره، كما قال النَّبيُّ ﷺ: **«لاَ يَنظُرُ الرَّجُلُ إِلَىٰ عَوْرَةِ الرَّجُلِ، وَلاَ المَرْأَةُ إِلَىٰ عَوْرَةِ الْمَرأَةِ»**[1] ويجب علىٰ الإنسان أَن يستر عورته، كما قال لمعاوية بن حيدة: **«احْفَظْ عَوْرَتَكَ إِلاَّ مِنْ زَوْجَتِكَ، أَوْ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ»**. قلت: فإذا كان أَحدنا مع قومه قال: **«إِن استطعت أَن لا تريها أَحداً فلا يرينها»**. قلت: فإذا كان أَحدنا خالياً؟ قال: **«فالله أَحقّ أَن يُستحيىٰ منه من النَّاس»**[2].

ويجوز كشفها بقدر الحاجة، كما تكشف عند التَّخلِّي، وكذٰلك إذا اغتسل الرَّجل وحده ـ بحيث يجد ما يستره ـ فله أَن يغتسل عرياناً، كما اغتسل موسىٰ عرياناً، وأَيُّوب، وكما في اغتسال النَّبيِّ ﷺ يوم الفتح، واغتساله في حديث ميمونة.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: (٣٣٨)، والترمذي في سننه: (٢٧٩٣)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٧/٩٨)، وابن أبي شيبة في المصنف: (١/١٠٦)، والحاكم في المستدرك: (١/١٥٨)، والتبريزي في المشكاة: (٣١٠٠)، وابن حجر في فتح الباري: (٩/٣٣٨)، والهندي في كنز العمال: (١٣٠٥٢)، وابن خزيمة في صحيحه: (٧٢)، وأورده الألباني في الإرواء: (٦/٢١١).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه: (٢٧٩٤)، وأبو داود في سننه: (٤٠١٧)، وابن ماجه في سننه: (١٩٢٠)، وأحمد في المسند: (٥/٣ و٤)، وهو في مسند أحمد ـ طبعة دار الفكر ـ: (٢٠٠٥٤)، والبيهقي في السنن الكبرى: (١/١٩٩) و(٢/٢٢٥) و(٧/٩٤)، والحاكم في المستدرك: (٤/١٨٠)، والزيلعي في نصب الراية: (٤/٢٤٥)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: (٣/٢٦١)، وابن حجر في فتح الباري: (١/٨٦)، وأورده الألباني في إرواء الغليل: (٦/١٢).

وأَمَّا النَّوع الثاني من النَّظر - كالنَّظر إِلىٰ الزِّينة الباطنة من المرأَة الأَجنبيَّة - فهٰذا أَشدُّ من الأَوَّل، كما أَنَّ الخمر أَشدُّ من الميتة والدَّم ولحم الخنزير، وعلىٰ صاحبها الحدّ، وتلك المحرَّمات إذا تناولها مستحلاً لها كان عليه التَّعزير؛ لأَنَّ هٰذه المحرَّمات لا تشتهيها النُّفوس كما تشتهي الخمر. وكذلك النَّظر إلى عورة [الرَّجل] لا يشتهى كما يشتهى النَّظر إلى النِّساء ونحوهنَّ. وكذٰلك النَّظر إِلىٰ الأَمرد بشهوةٍ هو من هٰذا الباب، وقد اتَّفق العلماء علىٰ تحريم ذٰلك، كما اتَّفقوا علىٰ تحريم النَّظر إِلىٰ الأَجنبيَّة وذوات المحارم بشهوةٍ.

والخالق سبحانه يُسبَّح عند رؤية مخلوقاته كلّها، وليس خلق الأَمرد بأَعجب في قدرته من خلق ذي اللِّحية؛ ولا خلق النِّساء بأَعجب في قدرته من خلق الرِّجال؛ فتخصيص الإِنسان بالتَّسبيح بحال نظره إِلىٰ الأَمرد دون غيره كتخصيصه بالتَّسبيح بالنَّظر إِلىٰ المرأَة دون الرَّجل؛ وما ذاك لأَنَّه أَدلُّ علىٰ عظمة الخالق عنده؛ ولكن لأَنَّ الجمال يُغَيِّر قلبه وعقله، وقد يذهله ما رآه، فيكون تسبيحه لما حصل في نفسه من الهوىٰ، كما أَنَّ النِّسوة لمَّا رأَين يوسف ﴿أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١].

وقد ثبت في الصَّحيح عن النَّبيِّ ﷺ أَنَّه قال: «**إِن اللّٰهَ لاَ يَنْظُرُ إِلَىٰ صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»(١).

فإذا كان الله لا ينظر إِلىٰ الصُّور والأَموال؛ وإِنَّما ينظر إِلىٰ القلوب والأَعمال، فكيف يفضّل الشَّخص بما لم يفضّله الله به. وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: ١٣١].

وقال في المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [المنافقون: ٤].

فإذا كان هٰؤلاء المنافقون الذين تعجب النَّاظر أَجسامهم، لما فيهم من البهاء والرُّواء، والزِّينة الظَّاهرة، وليسوا ممن ينظر إِليه لشهوةٍ، قد ذكر الله عنهم ما ذكر، فكيف بمن ينظر إِليه لشهوةٍ؟!

وذٰلك أَنَّ الإِنسان قد ينظر إِليه لما فيه من الإِيمان والتَّقوىٰ، وهنا الاعتبار بقلبه وعمله لا بصورته، وقد ينظر إِليه لما فيه من الصُّورة الدَّالَّة علىٰ المصوِّر فهٰذا حَسَنٌ. وقد ينظر

---

(١) سبق تخريجه.

إليه من جهة استحسان خلقه، كما ينظر إلىٰ الخيل والبهائم، وكما ينظر إلىٰ الأشجار والأنهار والأزهار؛ فهٰذا أيضاً إذا كان علىٰ وجه استحسان الدّنيا والرّئاسة والمال فهو مذمومٌ بقوله: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ﴾ [طه: ١٣١].

وأمَّا إن كان علىٰ وجهٍ لا ينقص الدِّين، وإنَّما فيه راحة النَّفس فقط: كالنَّظر إلىٰ الأزهار، فهٰذا من الباطل الذي لا يستعان به علىٰ الحقِّ.

وكلُّ قسم من هذه الأقسام متىٰ كان معه شهوة كان حراماً بلا ريب، سواء كانت شهوة تمتّع بالنَّظر أو كان نظراً بشهوة الوطء، وفرّق بين ما يجده الإنسان عند نظره إلىٰ الأشجار والأزهار، وما يجده عند نظره إلىٰ النِّسوان والمردان[١].

فلهٰذا الفرقان افترق الحكم الشَّرعيّ، فصار النَّظر إلىٰ المردان ثلاثة أقسام:

أحدها: ما تقترن به الشَّهوة. فهو محرَّمٌ بالاتِّفاق.

والثَّاني: ما يجزم أنه لا شهوة معه. كنظر الرَّجل الورع إلىٰ ابنه الحسن، وابنته الحسنة، وأمّه الحسنة، فهٰذا لا يقترن به شهوة إلاَّ أن يكون الرَّجل من أفجر النَّاس، ومتىٰ اقترنت به الشَّهوة حرم. وعلىٰ هٰذا نظر من لا يميل قلبه إلىٰ المردان، كما كان الصَّحابة وكالأمم الذين لا يعرفون هٰذه الفاحشة، فإنَّ الواحد من هؤلاء لا يفرِّق من هٰذا الوجه بين نظره إلىٰ ابنه وابن جاره وصبيٍّ أجنبيٍّ، لا يخطر بقلبه شيءٌ من الشَّهوة؛ لأنَّه لم يعتد ذٰلك، وهو سليم القلب من قبل ذٰلك، وقد كانت الإماء علىٰ عهد الصَّحابة يمشين في الطرقات مكشفات الرُّؤوس، ويخدمن الرِّجال مع سلامة القلوب، فلو أراد الرَّجل أن يترك الإماء التُّركيَّات الحسان يمشين بين النَّاس في مثل هذه البلاد والأوقات كما كان أُولئك الإماء يمشين كان هٰذا من باب الفساد.

وكذٰلك المردان الحسان، لا يصلح أن يخرجوا في الأمكنة والأزقَّة التي يخاف فيها الفتنة بهم إلاَّ بقدر الحاجة؛ فلا يمكن الأمرد الحسن من التَّبرّج، ولا من الجلوس في الحمَّام بين الأجانب؛ ولا من رقصه بين الرِّجال، ونحو ذٰلك ممَّا فيه فتنة للنَّاس، والنَّظر إليه كذٰلك.

وإنَّما وقع النِّزاع بين العلماء في «**القسم الثالث**» من النَّظر، وهو النَّظر إليه بغير

---

(١) أخرج الزبيدي في إتحاف السادة المتقين: (٤/ ٢٤٥): «**النَّظر إلىٰ المرأة سهمٌ مسمومٌ**».

شهوةٍ؛ لكن مع خوف ثورانها، ففيه وجهان في مذهب أحمد، أَصحّهما وهو المحكي عن نصِّ الشَّافعيّ وغيره أَنَّه لا يجوز.

والثَّاني: يجوز؛ لأَنَّ الأَصل عدم ثورانها؛ فلا يحرم بالشَّكّ بل قد يكره. والأَوَّل هو الرَّاجح، كما أَنَّ الرَّاجح في مذهب الشَّافعيّ وأَحمد أَنَّ النَّظر إِلىٰ وجه الأَجنبيَّة من غير حاجةٍ لا يجوز، وإِن كانت الشَّهوة منتفية؛ لأَنَّه يخاف ثورانها؛ ولهٰذا حرم الخلوة بالأَجنبيَّة[1]؛ لأَنَّه مظنَّة الفتنة. والأَصل أَن كلَّما كان سبباً للفتنة فإِنَّه لا يجوز، فإِنَّ الذَّريعة إِلىٰ الفساد سدّها إِذا لم يعارضها مصلحة راجحة.

ولهٰذا كان النَّظر الذي قد يفضي إِلىٰ الفتنة محرَّماً، إِلاَّ إِذا كان لحاجةٍ راجحةٍ، مثل نظر الخاطب والطَّبيب وغيرهما، فإِنَّه يباح النَّظر للحاجة مع عدم الشَّهوة. وأَمَّا النَّظر لغير حاجةٍ إِلىٰ محلِّ الفتنة فلا يجوز. ومن كرَّر النَّظر إِلىٰ الأَمرد ونحوه وأَدامه، وقال: إِنِّي لا أَنظر لشهوةٍ كذب في ذٰلك، فإِنَّه إِذا لم يكن له داعٍ يحتاج معه إِلىٰ النَّظر لم يكن النَّظر إِلاَّ لما يحصل في القلب من اللَّذَّة بذٰلك.

وأَمَّا نظر الفجأَة فهو عفو إِذا صرف بصره، كما ثبت في الصِّحاح عن جرير[2]، قال:

---

(١) أخرج الطبراني في المعجم الكبير: (١١/ ١٩١)، والمنذري في الترغيب والترهيب: (١/ ١٤٥)، وأورده الألباني في الإرواء: (٦/ ٢١٥): قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ كَانَ يُؤمِنُ باللّهِ واليَوْمِ الآخِرِ فَلا يَخْلُوَنَّ بامرأةٍ»**.

(٢) جرير: هو جرير بن عبد اللّه بن جابر بن مالك بن نصر بن ثعلبة بن جُشم بن عوف، الأمير النّبيل الحميل، من أعيان الصّحابة.

بايع جرير بن عبد اللّه النّبيَّ ﷺ علىٰ النُّصح لكلِّ مسلم، وما رآه رسول الله ﷺ إلاَّ وتبسّم، وكان النّبيُّ ﷺ يعجب من عقل جرير.

روى جرير بن عبد اللّه فقال: رآني عمر بن الخطّاب رضي الله عنه مُتَجَرّداً فناداني: خذ ردَاءَك.

فأخذت ردائي، ثمَّ أَقبلتُ إِلىٰ القوم، فقلت: ما له؟ قالوا: لما رآك مُتَجَرّداً. قال: ما أَرىٰ أحداً من النّاس صُوِّر صورة هذا إلاَّ ذُكر من يوسف عليه السّلام.

وقال الخليفة عمر بن الخطاب في حقّه: يرحمك الله، نِعْمَ السَّيّد كنتَ في الجاهليّة، ونِعمَ السَّيِّد كنت في الإسلام.

سكن جرير بن عبد اللّه الكوفة، ثمَّ سكن قرقيسياء (على نهر الخابور) وقدم رسولاً من عليّ إلى معاوية.

توفي سنة ٥٤هـ الموافق ٦٧٤م.

انظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب: (١/ ٣٣٧)، وأسد الغابة: (١/ ٣٣٣)، والإصابة في تمييز الصحابة: (٢/ ٧٦)، وشذرات الذهب: (١/ ٥٧ و٥٨).

سأَلتُ رسول الله ﷺ عن نظر الفجأة، قال: «**اصْرِفْ بَصَرَكَ**»(١).

وفي السُّنن أَنَّه قال لعليّ رضي الله عنه: «**يَا عَلِيّ، لاَ تُتْبِعِ النَّظْرَةَ النَّظْرَة، فَإِنَّما لَكَ الأُولَىٰ وَلَيْسَتْ لَكَ الثَّانِية**»(٢).

وفي الحديث الذي في المسند وغيره: «**النَّظْرَةُ سهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ**»(٣).

وفيه: «**مَنْ نَظَرَ إِلَىٰ مَحَاسِنِ امْرَأَةٍ ثُمَّ غَضَّ بَصَرَهُ عَنْهَا أَوْرَثَ اللّهُ قَلْبَهُ حَلاَوَةَ عِبَادَةٍ يَجِدُهَا إِلَىٰ يَوْمِ القِيَامَةِ**»(٤). أَو كما قال.

ولهٰذا يُقال: إِنَّ غضَّ البصر عن الصُّورة التي يُنهىٰ عن النَّظر إِليها: كالمرأة، والأَمرد الحسن يورث ذلك ثلاث فوائد جليلة القدر.

أَحدها: حلاوة الإِيمان ولذَّته التي هي أَحلىٰ وأَطيب ممَّا تركه لله، فإِنَّ من ترك شيئاً لله عوَّضه الله خيراً منه، والنَّفس تحبُّ النَّظر إِلىٰ هٰذه الصُّور، لا سيَّما نفوس أَهل الرِّياضة والصَّفا؛ فإِنَّه يبقىٰ فيها رقَّة تنجذب بسببها إِلىٰ الصُّور، حتَّىٰ تبقىٰ الصُّورة تخطف أَحدهم وتصرعه، كما يصرعه السَّبع.

ولهٰذا قال بعض التَّابعين: ما أَنا علىٰ الشَّاب التَّائب من سبع يجلس إِليه بأَخوف عليه من حدثٍ جميلٍ يجلس إِليه.

وقال بعضهم: اتَّقوا النَّظر إِلى أَولاد الملوك، فإِنَّ فتنتهم كفتنة العذارىٰ.

وما زال أَئمَّة العلم والدِّين ـ كأَئمَّة الهدىٰ وشيوخ الطَّريق ـ يوصون بترك صحبة

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه: (٢١٤٨)، وأحمد في المسند: (٤/٣٦١)، وهو في مسند أحمد ـ طبعة دار الفكر ـ: (١٩٢١٨)، والطبراني في المعجم الكبير: (٢/ ٣٨٤)، والهندي في كنز العمال: (١٣٠٥٨) و(١٣٠٧٤)، والمنذري في الترغيب والترهيب: (٣/ ٣٦).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه: (٢٧٧٧)، وأبو داود في سننه: (٢١٤٩)، وأحمد في المسند: (٥/ ٣٥٣ و٣٥٧)، وهو في مسند أحمد ـ طبعة دار الفكر ـ: (٢٣٠٥٢) و(٢٣٠٨٣).

(٣) أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد: (٨/ ٦٣)، وهو في مجمع الزوائد ـ طبعة دار الفكر ـ: (١٢٩٤٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب: (٣/ ٣٤)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار: (١/ ٢٣٥)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: (٤/ ٢٤٥). وزاد الهيثمي في المجمع: «**من تركها من مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه**».

(٤) أخرجه ابن عدي في الكامل: (٥/ ١٨٠٠).

الأَحداث، حتى يروىٰ عن فتح الموصلي[١] أنه قال: صحبت ثلاثين من الأَبدال[٢] كلُّهم يوصيني عند فراقه بترك صحبة الأَحداث.

وقال بعضهم: ما سقط عبد من عين الله إلا ابتلاه بصحبة هؤلاء الأَنتان[٣].

ثمَّ النَّظر يولد المحبَّة[٤]، فيكون علاقة؛ لتعلق القلب بالمحبوب، ثمَّ صبابة[٥]؛ لانصباب القلب إليه، ثمَّ غراماً[٦]؛ للزومه للقلب. كالغريم الملازم لغريمه، ثمَّ عشقاً[٧]، إلىٰ أن يصير تتيُّماً[٨]، والمتيَّم المعبد، وتيَّم الله عبد الله؛ فيبقىٰ القلب عبداً لمن لا يصلح أن يكون أخاً ولا خادماً.

وهٰذا إنَّما يُبتلىٰ به أهل الإعراض عن الإخلاص لله، الذين فيهم نوعٌ من الشِّرك، وإلا فأهل الإخلاص، كما قال الله تعالىٰ في حقِّ يوسف عليه السَّلام: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ ۚ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤] فامرأة العزيز كانت مشركةً فوقعت

---

(١) فتح الموصلي: سبق التعريف عنه.

(٢) الأبدال: الزُّهاد. والأبدال عند الصُّوفيّة: إحدى طبقاتها، يزعمون أنَّه إذا مات بدلٌ من الأبدال حلَّ محلّه آخر.

(٣) الأنتان: نتن نتناً ونتانةً: خبثت رائحته فهو نتنٌ، أي: خبيث الرائحة، والنتن: الرائحة الكريهة.

(٤) المحبَة: الوداد والميل إلى الشيء السَّار، والحبيب المحبوب والمحب، قال المخبل:

أتهجر ليلى بالفراقِ حبيبها   وما كان نفساً بالفراق تطيب

(٥) الصَّبابة: الشَّوق، أو رقَّته وحرارته، والصَّبُّ: العاشق ذو الحبِّ الشديد والاشتياق. قال أبو تمام: الديوان (١/ ٢٢):

لا تسقني ماء الملام فإنني   صبٌّ قد استعذبتُ ماء بكائي

(٦) الغرام: الولوع والتَّعلُّق بالشَّيء تعلّقاً لا يُستطاع التخلّص منه، والعذاب الدائم الملازم، والحبّ المعذّب للقلب. والغرام أيضاً: الشَّرُّ الدَّائم واللازم والعذاب، قال تعالى في سورة الفرقان؛ الآية: ٦٥: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾. وقال الأعشى:

إنْ يُعَاقب يكن غراماً وإن يعـ   ـطِ جزيلاً فإنَّه لا يبالي

(٧) العشق: إفراط الحبّ، وعشق عشقاً: تعلّق به قلبه فأحبّه أشدّ الحبّ، فهو عاشقٌ، الجمع: عشّاق، وهي: عاشقة وعاشق، الجمع: عاشقات وعواشق، وقيل: العشق أمَرُّ أسماء الحب. قال الشاعر:

وماذا عسى الواشون أن يتحدَّثوا   سوى أن يقولوا أنني لك عاشق

نعم صدق الواشون أنتِ حبيبة   إليّ وإن لم تصف منك الخلائق

(٨) التتيُّم: تيّمه الحبّ: أذهب عقله واستعبده فهو مُتَيَّم. قال لقيط بن زرارة:

تامت فؤادك لو يحزنك ما صنعت   إحدى نساء بني ذهل بن شيبانا

مع تزوّجها فيما وقعت فيه من السُّوء، ويوسف عليه السَّلام مع عزوبته، ومراودتها له، واستعانتها عليه بالنِّسوة، وعقوبتها له بالحبس علىٰ العفَّة: عصمه الله بإخلاصه لله، تحقيقاً لقوله: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٣٩ ـ ٤٠] قال تعالىٰ: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٤٢] و«الغيُّ» هو اتّباع الهوىٰ.

وهٰذا الباب من أعظم أبواب اتِّباع الهوىٰ، ومن أمر بعشق الصُّور من المتفلسفة ـ كابن سينا[١] وذويه، أو من الفرس، كما يذكر عن بعضهم من جُهَّال المتصوِّفة ـ فإنَّهم أهل ضلال، فهم مع مشاركة اليهود في الغيِّ، والنَّصارى في الضَّلال: زادوا علىٰ الأمتين في ذٰلك، فإن هٰذا وإن ظنَّ أنَّ فيه منفعة للعاشق كتلطيف نفسه، وتهذيب أخلاقه، أو للمعشوق من السَّعي في مصالحه، وتعليمه وتأديبه، وغير ذٰلك، فمضرَّة ذٰلك أضعاف منفعته، وأين إثم ذٰلك من نفعه؟!.

---

(١) ابن سينا: هو الحسين بن عبد اللّه بن سينا، أبو علي، شرف الملك، الفيلسوف الرئيس، صاحب التصانيف في الطبّ والمنطق والطبيعيات والإلهيات.

ولد ابن سينا في إحدى قرىٰ بخارى سنة ٣٧٠هـ الموافق ٩٨٠م؛ ونشأ في بخارى، وطاف البلاد، وناظر العلماء، واتسعت شهرته، وتقلّد الوزارة في همذان، وثار عليه عسكرها ونهبوا بيته، فتوارى، ثم صار إلىٰ أصفهان، وصنف بها أكثر كتبه، وعاد في أواخر أيامه إلى همذان، فمرض في الطريق ومات بها سنة ٤٢٨هـ الموافق ١٠٣٧م.

كان يقال: كان الطب معدوماً فأوجده بقراط، وكان ميتاً فأحياه جالينوس، وكان متفرقاً فجمعه الرازي، وكان ناقصاً فأكمله ابن سينا.

قال ابن قيم الجوزية: كان ابن سينا كما أخبر عن نفسه هو وأبوه من أهل دعوة الحاكم من القرامطة الباطنيين.

وقال ابن تيمية: تكلّم ابن سينا في أشياء من الإلهيات، والنبويات، والمعاد، والشرائع، لم يتكلّم بها سلفه، ولا وصلت إليها عقولهم، ولا بلغتها علومهم، فإنّه استفادها من المسلمين، وإن كان إنما يأخذ عن الملاحدة المنتسبين إلى المسلمين كالإسماعيلية، وكان أهل بيته من أهل دعوتهم، من أتباع الحاكم العبيدي الذي كان هو وأهل بيته معروفين عند المسلمين بالإلحاد.

صنّف ابن سينا نحو مائة كتاب بين مطوّل ومختصر، ونظم الشعر الفلسفي الجيد، ودرس اللّغة مدة طويلة حتى بارى كبار المنشئين.

من كتبه: القانون، والمعاد، والشفاء، والسياسة، وأسرار الحكمة المشرقية، وأرجوزة في المنطق، وحي بن يقظان، وأسباب حدوث الحروف، والإشارات، والطير، والإنصاف، وأسرار الصّلاة، والنبات والحيوان، والهيئة، وأسباب الرعد والبرق، والعشق، والخطب، وغيرها. انظر كتابنا: ديوان ابن سينا.

وإنَّما هٰذا كما يقال: إنَّ في الزِّنا منفعةٌ لكلٍّ منهما بما يحصل له من اللَّذَّة والسُّرور، ويحصل لها من الجعل وغير ذٰلك، وكما يقال: إنَّ في شرب الخمر منافع بدنيَّةٍ ونفسيَّةٍ.

وقال تعالىٰ في الخمر والميسر: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩]. وهٰذا قبل التَّحريم، دع ما قاله عند التحريم وبعده، فإنَّ التَّعبُّد بهٰذه الصُّور هو من جنس الفواحش، وباطنه من باطن الفواحش، وهو من باطن الإِثم.

قال الله تعالىٰ: ﴿وَذَرُوا۟ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ [الأنعام: ١٢٠].

وقال تعالىٰ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف: ٣٣].

وقال تعالىٰ: ﴿وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٨].

وليس بين أئمَّة الدِّين نزاعٌ في أنَّ هٰذا ليس بمستحبٍّ، كما أنَّه ليس بواجبٍ، فمن جعله ممدوحاً وأثنىٰ عليه فقد خرج عن إجماع المسلمين، واليهود والنَّصارىٰ؛ بل وعمَّا عليه عقلاء بني آدم من جميع الأُمم، وهو ممَّن اتَّبع هواه بغير هدىً من الله: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [القصص: ٥٠].

وقال تعالىٰ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠ و٤١].

وقال تعالىٰ: ﴿ٱلْهَوَىٰ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: ٢٦].

وأمَّا من نظر إلىٰ المردان ظانّاً أنَّه ينظر إلىٰ مظاهر الجمال الإِلهيّ، وجعل هٰذا طريقاً له إلى الله، كما يفعله طوائف من المدَّعين للمعرفة، فقوله هٰذا أعظم كُفراً من قول عُبَّاد الأصنام، ومن كفر قوم لوط. فهٰؤلاء من شرِّ الزَّنادقة المرتدِّين، الذين يجب قتلهم بإِجماع كلِّ أُمَّةٍ، فإنَّ عباد الأصنام قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

وهٰؤلاء يجعلون الله سبحانه موجوداً في نفس الأصنام، وحالا فيها؛ فإنَّهم لا يريدون بظهوره وتجلِّيه في المخلوقات أنَّها أدلَّة عليه، وآيات له، بل يريدون أنَّه سبحانه ظهر فيها، وتجلَّى فيها، ويشبهون ذٰلك بظهور الماء في الصُّوفة، والزبد في اللَّبن، والزَّيت في الزَّيتون، والدُّهن في السُّمسم، ونحو ذٰلك ممَّا يقتضي حلول نفس ذاته في مخلوقاته، أو اتِّحاده بها، فيقولون في جميع المخلوقات: نظير ما قاله النَّصارىٰ في المسيح خاصَّة، ثمَّ

يجعلون المردان مظاهر الجمال، فيقرُون هٰذا الشِّرك الأَعظم طريقاً إلىٰ استحلال الفواحش، بل إلىٰ استحلال كلّ محرم؛ كما قيل لأفضل مشايخهم التّلمساني: إذا كان قولكم بأنَّ الوجود واحدٌ هو الحقّ، فما الفرق بين أُمّي وأُختي وبنتي حتَّىٰ يكون هٰذا حلالٌ وهٰذا حرامٌ؟ قال: الجميع عندنا سواء، لكن هٰؤلاء المحجوبون قالوا حرامٌ فقلنا حرامٌ عليكم.

ومن هٰؤلاء الحلوليّة والاتّحاديّة من يخصُّ الحلول والاتِّحاد ببعض الأَشخاص، إمّا ببعض الأَنبياء كالمسيح، أَو ببعض الصَّحابة، كقول الغالية في عليّ، أَو ببعض الشُّيوخ، كالحلاَّجيَّة[١] ونحوهم، أَو ببعض الملوك، أَو ببعض الصُّور، كصور المردان.

ويقول أَحدهم: إنَّما أَنظر إلىٰ صفات خالقي، وأَشهدها في هٰذه الصُّورة، والكفر في هٰذا القول أَبين من أَن يخفىٰ علىٰ من يُؤمن بالله ورسوله.

ولو قال مثل هذا الكلام في نبيٍّ كريم لكان كافراً، فكيف إذا قاله في صبيٍّ أَمرد؟! فقبَّح الله طائفة يكون معبودها من جنس موطوئها!!.

---

(١) الحلاجيَة: نسبة إلى الحلاَّج. والحلاَّج هو الحسين بن منصور، أبو مغيث، فيلسوف، يُعَدُّ تارةً من كبار المتعبّدين والزُّهاد، وتارةً في زمرة الملحدين، أصله من بيضاء فارس، ونشأ بواسط العراق أو بتستر، وانتقل إلى البصرة، وحجّ، ودخل بغداد وعاد إلى تستر، وظهر أمره سنة ٢٩٩هـ الموافق ٩١٢م فاتبع بعض الناس طريقته في التوحيد والإيمان، ثمّ كان ينتقل في البلدان وينشر طريقته سراً، وقالوا: إنه كان يأكل يسيراً ويصلّي كثيراً، ويصوم الدهر. وإنه كان يظهر مذهب الشيعة للملوك (العباسيين) ومذهب الصوفية للعامّة، وهو في تضاعيف ذلك يدّعي حلول الإلهيّة فيه، وكثرت الوشايات به إلى المقتدر العباسي، فأمر بالقبض عليه، وسجن وعُذِّب وضُرب وهو صابر لا يتأوّه ولا يستغيث.
قال ابن خلكان: قطعت أطرافه الأربعة، ثمّ حزّ رأسه، وأُحرقت جثته، ولما صارت رماداً أُلقيت في دجلة ونصب الرأس على جسر بغداد، وادّعىٰ أصحابه أنه لم يُقتل، وإنما أُلقي شبهه علىٰ عدوٍّ له.
وقال ابن النديم في وصفه: كان محتالاً يتعاطى مذاهب الصُّوفيَّة ويدَّعي كلّ علم، جسوراً على السّلاطين، مرتكباً للعظائم، يروم إقلاب الدُّول، ويقول بالحلول، وأورد أسماء ستة وأربعين كتاباً له، غريبة الأسماء والأوضاع منها:
طاسين الأزل والجوهر الأكبر، والشجرة النُّوريّة، والظِّلُّ الممدود والماء المسكوب والحياة الباقية، وقرآن القرآن والفرقان، والسياسة والخلفاء والأمراء، وعلم البقاء والفناء، ومدح النَّبيّ والمثل الأعلى، والقيامة والقيامات، وهو هو، وكيف كان وكيف يكون، والكبريت الأحمر، والوجود الأول، والوجود الثاني، واليقين، والتوحيد.
انظر: روضات الجنان: (٢٢٦)، وطبقات الصوفية: (٣٠٧)، والبداية والنهاية: (١١/ ١٣٢)، ولسان الميزان: (٢/ ٣١٤)، وتاريخ الخميس: (٢/ ٣٤٧)، وفوات الوفيات: (١/ ١٤٦) وميزان الاعتدال: (١/ ٢٥٦)، ومرآة الجنان: (٢/ ٢٥٣). انظر كتابنا: ديوان الحلاج - من منشورات الدار -.

وقد قال تعالىٰ: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠] فإذا كان من اتَّخذ الملائكة والنَّبيِّين أرباباً مع اعترافهم بأنَّهم مخلوقون لله كفَّاراً فكيف بمن اتَّخذ بعض المخلوقات أرباباً؟ مع أَنَّ الله فيها، أو متَّحدٌ بها، فوجوده وجودها، ونحو ذٰلك من المقالات.

وأَمَّا الفائدة الثَّانية في غضِّ البصر: فهو نور القلب والفراسة، قال تعالىٰ عن قوم لوط: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢] فالتَّعلُّق بالصُّور يوجب فساد العقل، وعمىٰ البصيرة، وسكر القلب، بل جنونه، كما قيل:

سَكْرَانُ: سُكْرَ هَوى، وَسُكْر مَدَامةٍ   فمتىٰ يَفِيقُ مَنْ بِهِ سَكرانُ؟!

وقيل أيضاً:

قَالُوا جننتَ بِمَنْ تَهوَىٰ فَقُلْتُ لَهُمْ:   العِشقُ أَعْظَمُ مِمَّا بِالمَجَانِينِ

العِشْقُ لاَ يَسْتفيقُ الدَّهْرُ صَاحِبُهُ   وَإِنَّما يُصرعُ المَجْنُون في الحِينِ

وذكر الله سبحانه آية النُّور عقيب آيات غضِّ البصر، فقال: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ﴾ [النور: ٣٥] وكان شجاع بن شاه الكرماني لا تخطىء له فراسة، وكان يقول: من عمَّر ظاهره باتِّباع السُّنَّة، وباطنه بدوام المراقبة، وغضّ بصره عن المحارم، وكفّ نفسه عن الشَّهوات، وذكر خصلةً سادسةً أظنُّه هو أَكل الحلال: لم تخطىء له فراسة.

والله تعالىٰ يجزي العبد علىٰ عمله بما هو من جنس عمله، فيطلق نور بصيرته، ويفتح عليه باب العلم والمعرفة والكشوف، ونحو ذٰلك ممَّا ينال ببصيرة القلب.

الفائدة الثالثة: قوَّة القلب وثباته وشجاعته؛ فيجعل الله له سلطان البصيرة مع سلطان الحجَّة، فإِنَّ في الأَثر: الذي يخالف هواه يفرق الشَّيطان من ظلِّه؛ ولهٰذا يوجد في المتبع هواه من ذلِّ النَّفس وضعفها ومهانتها ما جعله الله لمن عصاه، فإِنَّ الله جعل العزَّة لمن أَطاعه، والذِّلَّة لمن عصاه.

قال تعالىٰ: ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

ولهٰذا كان في كلام الشُّيوخ: النَّاس يطلبون العزَّ بأبواب الملوك ولا يجدونه إلا في طاعة الله.

وكان الحسن البصري[1] يقول: وإن هملجت[2] بهم البراذين[3]، وطقطقت بهم ذلل البغال، فإنَّ ذلَّ المعصية في رقابهم، أبىٰ الله إلاَّ أن يذلَّ من عصاه! ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه، ومن عصاه ففيه قسط من فعل من عاداه بمعاصيه، وفي دعاء القنوت: «**إنَّهُ لاَ يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلاَ يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ**»[4].

ثمَّ الصُّوفية المشهورون عند الأُمَّة ـ الذين لهم لسان صدقٍ في الأُمَّة ـ لم يكونوا

---

(١) **الحسن البصري**: هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمّة في زمنه، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشُّجعان النّسّاك.

ولد الحسن البصري في المدينة المنوّرة سنة ٢١هـ الموافق ٦٤٢م، وشبَّ في كنف الإمام علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه، واستكتبه الربيع بن زياد ولي خراسان في عهد معاوية بن أبي سفيان، وسكن البصرة، وعظمت هيبته في القلوب، فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم، لا يخاف في الحقّ لومة، وكان أبوه من أهل ميسان، مولى لبعض الأنصار.

قال الإمام الغزالي: كان الحسن البصري أشبه النّاس كلاماً بكلام الأنبياء، وأقربهم هدياً من الصّحابة، وكان غاية في الفصاحة، تتصبّب الحكمة من فيه، وله مع الحجّاج بن يوسف الثّقفي مواقف، وقد سلم من أذاه.

ولما ولي الخليفة عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إليه: إنّي قد ابتليت بهذا الأمر، فانظر لي أعواناً يعينونني عليه. فأجابه الحسن: أما أبناء الدنيا فلا تريدهم، وأما أبناء الآخرة فلا يريدونك، فاستعن بالله.

وأخبار الحسن البصري كثيرةٌ، وله كلماتٌ سائرةٌ، وكتاب في فضائل مكة. توفي رحمه الله تعالى في البصرة سنة ١١٠هـ الموافق ٧٢٨م.

انظر: ميزان الاعتدال: (١/ ٢٥٤)، وحلية الأولياء: (٢/ ١٣١)، وذيل المذيل: (٩٣)، وأمالي المرتضى: (١/ ١٠٦)، والأعلام للزركلي: (٢/ ٢٢٦).

(٢) **هملجت**: أصدرت أصواتاً مختلفة.

(٣) **البراذين**: المفرد: البرذون: ما كان غير أصيل من الخيل والبغال، والبراذين: حيوانات عظيمة الخلقة جافيتها غليظة الأعضاء، قويّة الأرجل، كبيرة الحوافر، وهي جَلْدَةٌ على السّير في الشّعاب والوعر، والأنثىٰ: برذونة.

(٤) أخرج البخاري في صحيحه: (١٤٢٥)، والترمذي في سننه: (٤٦٤)، وابن ماجه في سننه: (١١٧٨)، والنسائي في سننه: (١٧٤٤): عن الحسن بن علي رضي الله عنهما قال: علمني جدّي رسول الله ﷺ كلمات أقولهنّ في قنوت الوتر: **«اللّهمّ عافني فيمن عافيت، وتولّني فيمن تولّيت، واهدني فيمن هديت، وقني شرّ ما قضيت، وبارك لي فيما أعطيت، إنك تقضي ولا يقض عليك، إنه لا يذلُّ من واليت، سبحانك ربنا تباركت وتعاليت»**.

يستحسنون مثل هٰذا؛ بل ينهون عنه، ولهم في الكلام في ذمّ صحبة الأَحداث، وفي الرَّدّ علىٰ أَهل الحلول، وبيان مباينة الخالق: ما لا يتَّسع هٰذا الموضع لذكره. وإِنَّما استحسنه من تشبَّه بهم ممَّن هو عاصٍ أَو فاسقٍ أَو كافرٍ، فيتظاهر بدعوىٰ الولاية لله، وتحقيق الإِيمان والعرفان، وهو من شرِّ أَهل العداوة لله، وأَهلِ النِّفاق والبهتان[1].

والله تعالىٰ يجمع لأَوليائه المتَّقين خير الدُّنيا والآخرة، ويجعل لأَعدائه الصَّفقة الخاسرة. والله سبحانه أَعلم.

❀ ❀ ❀

تمَّ كتاب
أحكام النّظر إلىٰ النّساء
لشيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه

ويليه

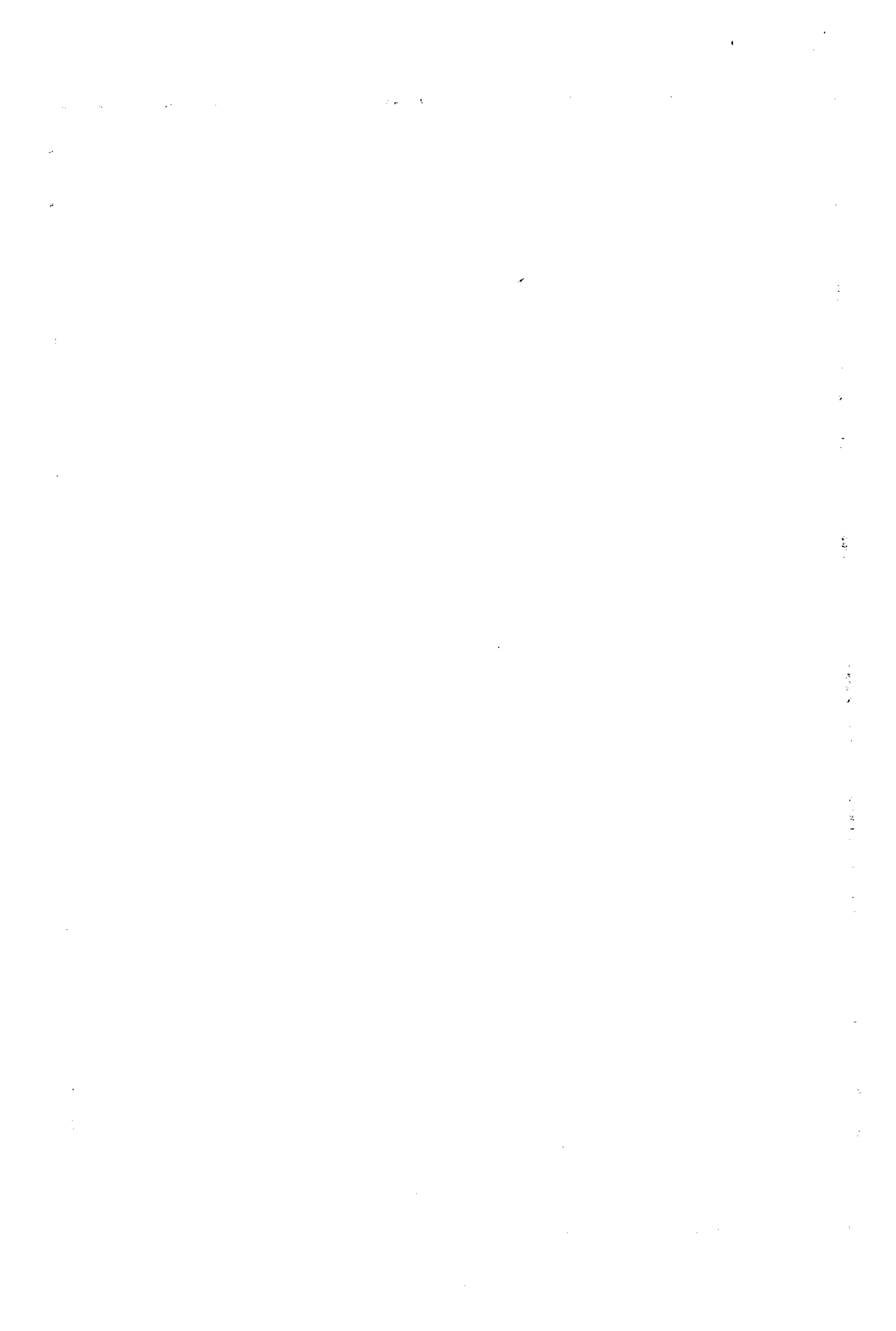
حكم النظر إلىٰ النّساء
لتلميذه
ابن قيّم الجوزية

(١) البهتان: الكذب المفترى.

حكم النَّظر

إلى النساء

لشمس الدِّين
محمد بن أبي بكر بن أيوب
ابن قيِّم الجوزية



الإمام ابن قيّم الجوزيّة

اسمه ونسبه:

هو الإِمام العالم العلاّمة، المتبحِّر، محمد بن أَبي بكر بن أَيُّوب بن سعد بن حريز الزَّرعيّ الدِّمشقيّ، أَبو عبد الله، شمس الدِّين، من أركان الإِصلاح الإِسلامي، وأَحد كبار العلماء.

ولادته:

ولد الإمام ابن قيِّم الجوزيَّة في دمشق سنة ٦٩١هـ الموافق ١٢٩٢م. في أَهل بيت علمٍ وتقوىٰ. إذ كان والده مشرفاً على الجوزيّة، وهي المدرسة التي بناها محيي الدين ابن الحافظ يحيىٰ بن الجوزي، يسوق القمح في دمشق، وقد فرغ من بنائها سنة ٦٥٢هـ الموافق ١٢٥٤م، ثمَّ تحوَّلت سنة ١٣٢٧هـ الموافق ١٩٠٩م إِلىٰ محكمةٍ، ثمَّ أُقفلت، حيث فتحتها جمعية الإسعاف الخيري، وجعلت منها مدرسة لتعليم الأطفال، ومن ثَمَّ احترقت بعد ذٰلك إِبّان الثّورة السُّورية، وقد أعمرت حوانيت، وجُعل فوقها مسجداً عامراً إِلىٰ الآن.

تتلمذ الإمام ابن القيّم لشيخ الإسلام ابن تيميّة رضي الله عنه، حتّىٰ كان لا يخرج عن شيءٍ من أَقواله، بل ينتصر له في جميع ما يصدر عنه، وهو الذي هذَّب كتبه، ونشر علمه، وسُجن معه في قلعة دمشق، وأُهين وعُذِّبَ بسببه، وطيف به علىٰ جملٍ مضروباً بالعصى، وأُطلق بعد موت ابن تيمية سنة ٧٢٨هـ الموافق ١٣٢٨م، وكان حسن الخلق، محبوباً عند النَّاس، أُغري بحبِّ الكتب، فجمع منها عدداً عظيماً، وكتب بخطِّه الحسن شيئاً كثيراً، وأَلَّف التَّصانيف الكثيرة.

مشايخه:

سمع ابن القيِّم رحمه الله تعالىٰ من أَبيه، وأخذ عنه علم الفرائض، وبرع فيه، وأَخذ الحديث من:

- الشّهاب النّابلسي العابر.

- والقاضي تقيّ الدين بن سليمان.

- وإسماعيل بن مكتوم.

- وعيسى المطعم.

- وأَبي بكر بن عبد الدائم.

- وفاطمة بنت جوهر. وغيرهم من أَهل العلم والفضل.

كما أَخذ العربية من:

- ابن أَبي الفتح البعلي.

- والشَّيخ مجد الدِّين التُّونسي.

أَما الفقه والأُصول، فقد أَخذها عن:

- الشَّيخ صفي الدِّين الهندي.

- وشيخ الإسلام تقيّ الدِّين ابن تيميّة.

- والشّيخ الفاضل إسماعيل بن محمَّد الحرّاني.

ومن شيوخه في مختلف العلوم:

- القاضي الشّيرازي.

- وابن مكتوم.

- وعلاء الدين الكندي.

- ومحمد بن أبي الفتح.

- وأيوب بن الكمال.

- والقاضي بدر الدِّين بن جماعة.

- وأَبو الفتح البعلبكي.

رحمهم الله تعالى رحمةً واسعةً، وأَسكنهم فردوسه الأعلىٰ.

تلامذته:

تتلمذ علىٰ يديه رحمه الله تعالىٰ العدد الغفير من العلماء الأفاضل، فقد درَّس بالمدرسة الصَّدريّة، وأَمَّ بالجوزيّة مدَّةً طويلة، ومن أشهر وأبرز المنتفعين بعلمه:

ـ زين الدِّين أَبو الفرج عبد الرَّحمٰن بن أَحمد بن رجب البغدادي الدمشقي الحنبلي، صاحب التَّصانيف المشهورة.

ـ عماد الدِّين إسماعيل بن عمر بن كثير البصروي الدّمشقي الحافظ الإمام الورع، صاحب التّفسير والتّصانيف الكثيرة المشهورة.

ـ الحافظ شمس الدِّين عبد اللّه محمد بن أَحمد بن عبد الهادي بن عبد الحميد بن عبد الهادي بن يوسف بن محمد بن قدامة المقدسي الجماعيلي الصالحي.

ـ شمس الدِّين أَبو عبد اللّه محمد بن عبد القادر بن يحيىٰ الدين عثمان بن عبد الرَّحمٰن النَّابلسي.

ـ وولداه إبراهيم ومشرف الدِّين عبد اللّه.

مصنّفاته:

للإمام ابن القيم رحمه الله تصانيف كثيرة غنيّة في شتّى العلوم منها المطبوع، ومنها ما زال مخطوطاً، وهي:

١ ـ اجتماع الجيوش الإِسلاميَّة علىٰ غزو المعطّلة والجهميّة ـ مطبوع.

٢ ـ أَحكام أهل الذمة ـ مطبوع.

٣ ـ أَخبار النساء (في نسبته إليه شك) مطبوع ـ من تحقيقنا ومن منشورات الدار -.

٤ ـ أعلام الموقعين ـ مطبوع.

٥ ـ إغاثة اللَّهفان في مصائد الشّيطان ـ مطبوع.

٦ ـ أمثال القرآن.

٧ ـ بطلان الكيمياء.

٨ - بيان الدَّليل علىٰ استغناء المسابقة عن التّحليل.

٩ - التّبيان في أقسام القرآن - مطبوع.

١٠ - التّحرير فيما يحلّ ويحرَّم من لباس الحرير.

١١ - التُّحفة المكِّيَّة.

١٢ - التفسير القيِّم (استخرجه محمد أويس النّدوي من مؤلفاته) - مطبوع - دار الفكر.

١٣ - تفسير المعوّذتين - مطبوع.

١٤ - تحفة المودود بأحكام المولود - مطبوع.

١٥ - تفضيل مكَّة على المدينة.

١٦ - تهذيب سنن أبي داود - مخطوط.

١٧ - جلاء الأفهام في فضل الصَّلاة والسَّلام على خير الأنام - مطبوع.

١٨ - الجواب الكافي - مطبوع.

١٩ - جوابات عابدي الصُّلبان.

٢٠ - حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (في ذكر الجنة) مطبوع - من منشورات الدار -.

٢١ - حكم إغمام هلال رمضان.

٢٢ - حكم تارك الصَّلاة.

٢٣ - الحكم الطَّيِّب والعمل الصَّالح.

٢٤ - الدّاء والدَّواء - مطبوع.

٢٥ - رسالة في اختيارات تقي الدين ابن تيمية - مخطوط.

٢٦ - رفع اليدين في الصَّلاة.

٢٧ - رفع التنزيل.

٢٨ - الروح - مطبوع.

٢٩ ـ روضة المحبّين ـ مطبوع.

٣٠ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد ـ مطبوع ـ دار الفكر.

٣١ ـ السُّنَّة والبدعة.

٣٢ ـ الشّافية الكافية في الانتصار للفرقة النّاجية ـ مطبوع.

٣٣ ـ شرح الأسماء الحسنى.

٣٤ ـ شرح أَسماء الكتاب العزيز.

٣٥ ـ شرح الشُّروط العمريّة ـ مطبوع.

٣٦ ـ شرح نونيّة ابن القيم ـ مطبوع.

٣٧ ـ شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتَّعليل ـ مطبوع.

٣٨ ـ الصّبر والسّكن.

٣٩ ـ الصّراط المستقيم في أحكام أهل الجحيم.

٤٠ ـ الصَّواعق المرسلة على الجهميّة والمعطّلة (طبع مختصره محمد الموصلي).

٤١ ـ الطّاعون.

٤٢ ـ طبّ القلوب ـ مخطوط.

٤٣ ـ الطب النبوي ـ (من كتاب زاد المعاد) مطبوع ـ دار الفكر ـ بيروت.

٤٤ ـ الطُّرق الحكميّة في السّياسة الشَّرعية ـ مطبوع.

٤٥ ـ طريق الهجرتين ـ مطبوع.

٤٦ ـ عدَّة الصّابرين وذخيرة الشّاكرين ـ مطبوع.

٤٧ ـ عقد محكم الأحياء بين الكلم الطَّيّب والعمل الصَّالح المرفوع إلىٰ ربِّ السّماء.

٤٨ ـ الفتح القدسي.

٤٩ ـ الفروسيّة ـ مطبوع.

٥٠ - الفوائد ـ مطبوع.

٥١ - الفرق بين الخلّة والمحبّة.

٥٢ - فضل العلماء.

٥٣ - الكافية الشافية (منظومة في العقائد) ـ مطبوع.

٥٤ - الكبائر.

٥٥ - كشف الغطاء عن حكم سماع الغناء ـ مخطوط.

٥٦ - مدارج السّالكين ـ مطبوع.

٥٧ - المسائل الطرابلسية.

٥٨ - معاني الأدوات والحروف.

٥٩ - مفتاح دار السَّعادة ـ مطبوع.

٦٠ - المهدي.

٦١ - المهذّب.

٦٢ - نزهة المشتاقين وروضة المحبين.

٦٣ - نقد المنقول والمحلّ المميّز بين المردود والمقبول.

٦٤ - نكاح المحرم.

٦٥ - نور المؤمن وحياته.

٦٦ - هداية الحيارى في أَجوبة النَّصارىٰ.

٦٧ - الوابل الصَّيب من الكلم الطيب ـ مطبوع.

من شعره:

يقول ابن عباس رضي الله عنهما: إِذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشِّعر، فإِنَّ الشِّعر ديوان العرب.

من هٰذا المنطلق اهتم العلماء بنظم الشِّعر وأبدعوا فيه، فمنهم من انتهجه طريقاً

ومسلكاً في خطبه وكتبه، ومنهم من نظمه عرضاً لذكر فائدةٍ ما ونصيحةٍ في وقتها.

فالإمام ابن القيم له من الشِّعر ما يربو على ديوان كامل، ولا يتسع المجال بذكر أَشعاره، إِنَّما سأستعرض لعدد من الأبيات قالها في موضوع كتابنا: فها هو يقول:

يَا رَامياً بِسِهَامِ اللَّحْظِ مُجْتَهِداً أَنْتَ القَتِيلُ بِمَا تَرْمِي فلا تصبِ
وَبَاعِث الطَّرْف يَرْتَادُ الشِّفَاء له تَوَقَّهْ إِنَّهُ يَأْتِيكَ بِالعَطَبِ

ويقول في مناسبة أُخرىٰ:

أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لاَ تَسْرُقْ مُلاَحَظَة فَسَارِقُ اللَّحْظِ لاَ يَنْجُو من الدَّرْكِ
نَصَبْتُ طَرْفِي لَهُ لَمَّا بَدَا شِرْكاً فكَانَ قَلْبِي أَوْلَىٰ مِنْهُ بِالشِّرْكِ

آراء العلماء فيه رضي الله عنه:

● قال الإمام ابن رجب الحنبليّ رحمه الله تعالىٰ:

لازم الشيخ تقي الدّين بن تيمية وأَخذ عنه، وتفنَّن في كافّة علوم الإِسلام، وكان عارفاً في التّفسير لا يُجارىٰ فيه، وبأُصول الدِّين، وإليه المنتهىٰ، وبالحديث ومعانيه وفقهه ودقائق الاستنباط منه لا يُلحق في ذٰلك، وبالفقه وبأُصول العربيّة، وله فيها اليد الطُّولىٰ وبعلم الكلام والتَّصوُّف.

حُبِسَ مدَّةً لإنكاره الرّحيل إِلىٰ قبر الخليل، وكان ذا عبادةٍ وتهجُّد وطول صلاة إِلىٰ الغاية القصوىٰ، ولم أُشاهد مثله في عبادته وعلمه بالقرآن والحديث وحقائق الإيمان، وليس هو بالمعصوم ولكن لم أَر في معناه مثله.

● وقال القاضي برهان الدِّين الزَّرعي:

وما تحت أَديم السّماء أَوسع علماً منه، ودرَّس بالصَّدريَّة وأَم بالجوزيّة، وكتب بخطّه ما لا يوصف كثرة، وصنّف تصانيف كثيرة جدّاً في أنواع العلوم، وحصل له من الكتب ما لم يحصل لغيره.

● وقال تلميذه الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالىٰ:

برع في علوم متعدِّدةٍ لا سيّما علم التّفسير والحديث والأصلين. ولمّا عاد الشَّيخ تقيّ الدِّين بن تيمية منَ الدِّيار المصريّة في سنة ٧١٢هـ لازمه إِلىٰ أن مات الشّيخ، فأخذ عنه

علماً جمّاً، مع ما سلف له من الاشتغال، فصار فريداً في بابه في فنون كثيرة، مع كثرة الطَّلب ليلاً ونهاراً، وكثرة الابتهال.

وكان حسن القراءة، والخلق، وكثير التَّودُّد، لا يحسد أحداً ولا يؤذيه، ولا يستعيبه، ولا يحقد علىٰ أَحدٍ، وكنت من أَصحب النّاس له، وأَحب الناس إليه. ولا أعرف في هٰذا العالم في زماننا أَكثر عبادة منه، وكَانت له طريقة في الصَّلاة يُطيلها جدّاً، ويمدُّ ركوعها وسجودها، ويلومه كثيرٌ من أَصحابه في بعض الأَحيان، فلا يرجع ولا ينزع عن ذٰلك شيء رحمه الله.

وله من التّصانيف الكبار والصّغار شيءٌ كثيرٌ، وكتب بخطّه الحسن شيئاً كثيراً، واقتنى من الكتب ما لا يتهيّأ لغيره تحصيل عُشره من كتب السَّلف والخلف، وبالجملة، كان قليل النظير في مجموعه وأُموره وأَحواله، والغالب عليه الخير والأخلاق الصَّالحة، سامحه الله ورحمه، وقد كان متصدّياً للإفتاء بمسألة الطّلاق التي اختارها الشّيخ تقيّ الدِّين بن تيميّة، وجرت بسببها فصولٌ يطول بسطها مع قاضي القضاة تقي الدّين السَّبكي وغيره.

● وقال الشيخ جمال الدين تغرى بردى رحمه الله تعالىٰ:

كان بارعاً في عدَّة علومٍ، ما بين تفسيرٍ، وفقهٍ، وعربيَّةٍ، ونحوٍ، وحديثٍ، وأُصولٍ، وفروعٍ.

وفاته رضي الله عنه:

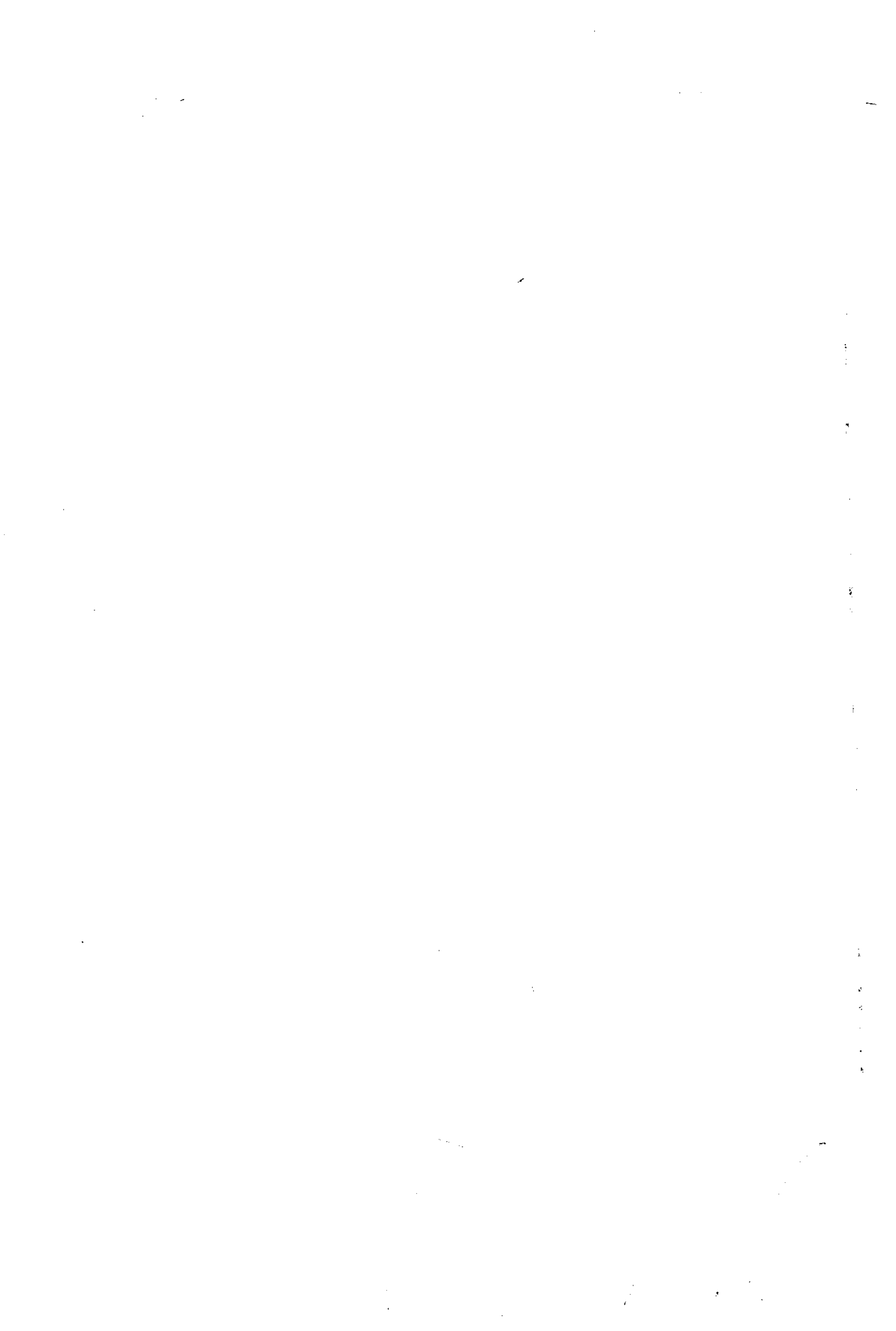
توفي الشَّيخ الإمام العلاّمة شمس الدِّين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزّرعي الدِّمشقي الحنبلي المعروف بابن قيِّم الجوزية بدمشق في ثالث عشر شهر رجب سنة ٧٥١هـ الموافق ١٣٥٠م.

وكانت جنازته حافلةً رحمه الله تعالىٰ، شهدها القضاة والأعيان والصّالحون من الخاصّة والعامّة، وتزاحم النّاس علىٰ حمل نعشه.



الباب الأَوَّل

في أَحكام النَّظر وغائلته
وما يجني على صاحبه



أحكام النظر وغائلته

قال الله تعالىٰ: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَٰلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ۝ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣٠ و٣١] الآية.

فلما كان غضُّ البصر أصلاً لحفظ الفرج بدأ بذكره، ولمَّا كان تحريمه تحريم الوسائل فيباح للمصلحة الرَّاجحة ويُحرم إذا خيف منه الفساد ولم يعارضه مصلحة أرجح من تلك المفسدة لم يأمر سبحانه بغضه مطلقاً، بل أمر بالغضِّ منه، وأمَّا حفظ الفرج فواجبٌ بكلِّ حالٍ لا يباح إلاَّ بحقِّه، فلذلك عمَّ الأمر بحفظه.

وقد جعل الله سبحانه العين مرآة القلب، فإذا غضَّ العبد بصره غضَّ القلب شهوته وإرادته، وإذا أطلق بصره أطلق القلب شهوته.

وفي الصَّحيح أن الفضل بن عباس[١] رضي الله عنهما كان رديف[٢] رسول الله ﷺ يوم النحر[٣] من مزدلفة[٤] ....

(١) الفضل بن عباس: بن عبد المطلب الهاشمي القرشي، من شجعان الصحابة ووجوههم، كان أسنّ ولد العبّاس، ثبت يوم حنين، وأردفه رسول الله ﷺ وراءه في حجّة الوداع، فَلُقِّب ردف رسول الله ﷺ، وخرج بعد وفاة رسول الله ﷺ مجاهداً إلىٰ الشام، فاستشهد في وقعة أجنادين (بفلسطين) سنة ١٣هـ الموافق ٦٣٤م. وقيل: مات بناحية الأردن في طاعون عمواس. وفي مدينة الرملة (بفلسطين) قبرٌ قديمٌ يُقال: إنَّه مدفونٌ فيه. روى الفضل بن العباس رضي الله عنه ٢٤ حديثاً عن رسول الله ﷺ. انظر: طبقات ابن سعد: (٤/ ٣٧)، وتاريخ الخميس: (١/ ١٦٦)، والإصابة في تمييز الصحابة الترجمة رقم: (٧٠٠٥)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ طبعة دار الفَكر ـ: (١٥/ ٨٠) الترجمة رقم: (٥٢٢٤)، وسير أعلام النبلاء ـ طبعة دار الفكر ـ: (٤/ ٥١٧) الترجمة رقم: (٣٠٨).

(٢) رديف: الرّاكب خلف الرّاكب.

(٣) يوم النحر: أي يوم عيد الأضحى.

(٤) مزدلفة: مبيت للحجاج ومجمع الصّلاة، إذا صدروا من عرفات، وهو مكان بين بطن محسر والمأزمين. معجم البلدان: (٥/ ١٢١).

إلى منىً[١]، فمرَّت ظعن[٢] يجرين، فطفق الفضل ينظر إليهنَّ فَحَوّلَ رسول الله ﷺ رأسه إلى الشِّقِّ الآخر[٣]، وهٰذا منعٌ وإنكارٌ بالفعل. فلو كان النَّظر جائزاً لأقرّه عليه.

وفي الصَّحيح عنه ﷺ أنَّه قال: **«إنَّ اللّهَ عَزَّ وَجلَّ كَتَبَ عَلَىٰ ابنِ آدمَ حَظَّهُ مِنَ الزِّنَىٰ أَدْرَكَ ذٰلكَ لاَ مَحَالَة، فَالْعَيْنُ تَزْنِي وَزِنَاهَا النَّظَرُ، وَاللِّسَانُ يَزْنِي وَزِنَاهُ النُّطْقُ، وَالرِّجْلُ تَزْنِي وَزِنَاهَا الخُطَىٰ، واليَدُ تَزْني وَزِنَاهَا البَطْشُ، والقَلْبُ يَهْوىٰ وَيَتَمَنَّىٰ وَالفَرْجُ يُصَدِّقُ ذٰلِكَ أَوْ يُكَذِّبُهُ»**[٤]. فبدأ بزني العين لأنَّه أَصل زنىٰ اليد والرِّجل والقلب والفرج، ونبَّه بزنىٰ اللِّسان بالكلام علىٰ زنىٰ الفم بالقُبَل، وجعل الفرج مصدِّقاً لذٰلك إن حَقَّق الفعل أو مكذِّباً له إن لم يُحقِّقه. وهٰذا الحديث من أَبين الأَشياء علىٰ أَنَّ العين تعصي بالنَّظر وأَنَّ ذٰلك زناها، ففيه ردٌّ علىٰ من أَباح النَّظر مطلقاً.

وثبت عنه ﷺ أَنه قال: **«يَا عَلِيّ لاَ تُتْبِع النَّظْرَةَ النَّظْرَة فإنَّ لَكَ الأُولَىٰ وَلَيسَتْ لَكَ الثَّانِيَة»**[٥].

ووقعت مسأَلة ما تقول السَّادة العلماء في رجلٍ نظر إلىٰ امرأَةٍ نظرةً فعلق حبُّها بقلبه، واشتدَّ عليه الأَمر، فقالت له نفسه: هٰذا كلُّه من أَوَّل نظرةٍ فلو أَعدت النَّظر إليها لرأَيتها دون ما في نفسك فسلوت عنها[٦]، فهل يجوز له تعمُّد النَّظر ثانياً لهٰذا المعنىٰ؟.

فكان الجواب: الحمد لله.. لا يجوز هٰذا لعشرة أَوجهٍ:

أَحدها: أَنَّ الله سبحانه أَمر بغضِّ البصر ولم يجعل شفاء القلب فيما حرَّمه علىٰ العبد[٧].

---

(١) منى: درج الوادي الذي ينزله الحاج ويرمي فيه الجمار من الحرم. وهي بليدة على فرسخ من مكة طولها ميلان، تعمر أيام الموسم وتخلو بقية السَّنة إلا ممن يحفظها. معجم البلدان: (١٩٨/٥).

(٢) الظعن: المفرد: الظعينة؛ أي: المرأة في الهودج، والزوجة.

(٣) حول رأسه إلى الشق الآخر: أي جعله ينظر إلى المكان الذي لا توجد فيه النساء.

(٤) سبق تخريجه في الفصل الأول.

(٥) سبق تخريجه في الفصل الأول من الكتاب.

(٦) سلوت عنها: سلاه وسلا عنه سلواً وسلواناً وسلياً: نسيه وطابت نفسه بعد فراقه.

(٧) أورد الله جلَّ جلاله كلمة غض البصر في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع: في سورة النور في الآية: (٣٠ و٣١)، وفي سورة الحجرات في الآية: (٣).

الثاني: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ سُئل عن نظر الفجأة وقد علم أنَّه يؤثِّر في القلب فأمر بمداواته بصرف البصر لا بتكرار النَّظر[١].

الثالث: أَنَّه صرَّح بأَنَّ الأُولىٰ له وليست له الثَّانية، ومحال أَن يكون [داؤه مما له و][٢] دواؤه فيما ليس له[٣].

الرابع: أَنَّ الظَّاهر قوَّة الأَمر بالنَّظرة الثَّانية لا تناقصه، والتَّجربة شاهدةٌ به، والظَّاهر أَنَّ الأَمر كما رآه أَوَّل مرَّة فلا تحسن المخاطرة بالإِعادة.

الخامس: أَنَّه ربَّما رأىٰ ما هو فوق الذي في نفسه فزاد عذابه.

السَّادس: أَنَّ إبليس عند قصده للنَّظرة الثَّانية يقوم في ركائبه فيزيِّن له ما ليس بحسن لتتم البلية[٤].

السَّابع: أَنه لا يُعان علىٰ بليَّته إِذا أَعرض عن امتثال أَوامر الشَّرع وتداوىٰ بما حرَّمه عليه، بل هو جديرٌ أَن تتخلَّف عنه المعونة.

الثَّامن: أَنَّ النَّظرة الأُولىٰ سهمٌ مسمومٌ من سهام إِبليس[٥]، ومعلومٌ أَنَّ الثَّانية أَشدُّ سُمّاً، فكيف يتداوىٰ من السُّمّ بالسُّمّ؟.

التَّاسع: أَنَّ صاحب هٰذا المقام في مقام معاملة الحقِّ عزَّ وجلَّ في ترك محبوبٍ كما زعم، وهو يريد بالنَّظرة الثَّانية أَن يتبيَّن حال المنظور إِليه، فإِن لم يكن مرضياً تركه، فإِذاً يكون تركه لأَنَّه لا يلائم غرضه لا لله تعالىٰ، فأَين معاملة الله سبحانه بترك المحبوب لأَجله؟.

العاشر: يتبيَّن بضرب مثلٍ مطابقٍ للحال وهو أَنَّك إِذا ركبت فرساً حديداً فمالت بك إِلىٰ دربٍ ضيِّقٍ لا ينفذ ولا يمكنها أَن تستدير فيه للخروج، فإِذا همَّت بالدُّخول فيه فاكبحها لئلا تدخل، فإِذا دخلت خطوةً أَو خطوتين فصحّ بها وردّها إِلىٰ وراء عاجلاً قبل أَن يتمكَّن

---

(١) سبق تخريج الحديث بلفظ: «اصْرِفْ بَصَرَكَ».

(٢) إضافة من المحقق.

(٣) كما هو في حديث رسول الله ﷺ إلى عليّ كرّم الله وجهه.

(٤) البلية: المصيبة والمحنة تنزل بالمرء، الجمع: بلايا.

(٥) إشارة إلى الحديث النبوي الشريف: «النَّظرة سهمٌ من سهام إبليس».

دخولها، فإن رددتها إلىٰ ورائها سهل الأمر، وإن توانيت حتَّىٰ ولجت وسُقتها داخلاً ثمَّ قمت تجذبها بذنبها عسر عليك أو تعذر خروجها، فهل يقول عاقلٌ إنَّ طريق تخليصها سوقها إلىٰ داخل؟.

فكذٰلك النَّظرة إذا أثرت في القلب، فإن عجَّل الحازم وحسم المادَّة من أولِّها سهل علاجه، وإن كرَّر النَّظر ونقب عن محاسن الصُّورة ونقلها إلىٰ قلبٍ فارغ فنقشها فيه تمكَّنت المحبّة، وكلَّما تواصلت النَّظرات كانت كالماء يسقي الشَّجرة فلا تزال [شجرة الحبّ](١) تنمىٰ حتَّىٰ يفسد القلب ويعرض عن الفكر فيما أمر به فيخرج بصاحبه إلىٰ المحن ويوجب ارتكاب المحظورات [والفتن](٢) ويلقىٰ القلب في التَّلف. والسَّبب في هٰذا أنَّ النَّاظر التذَّت عينه بأوَّل نظرةٍ فطلبت المعاودة، كأكل الطَّعام اللَّذيذ إذا تناول منه لقمةً، ولو أنَّه غضَّ أوَّلاً لاستراح قلبه وسلم، وتأمَّل قول النَّبيِّ ﷺ: **«النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ»**(٣). فإنَّ السَّهم شأنه أن يسري في القلب فيعمل فيه عمل السُّمِّ الذي يسقاه المسموم، فإنْ بادر واستفرغه(٤) وإلاَّ قتله ولا بدَّ.

قال المَرْوَزي(٥): قلت لأحمد(٦): الرَّجل ينظر إلىٰ المملوكة.

قال: أخاف عليه الفتنة، كم نظرة قد ألقت في قلب صاحبها البلابل(٧).

وقال ابن عباس: الشَّيطان من الرَّجل في ثلاثةٍ: في نظره، وقلبه، وذَكَره(٨).

وهو من المرأة في ثلاثة: في بصرها، وقلبها، وعجزها(٩).

---

(١) إضافة من المحقق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) سبق تخريجه.

(٤) استفرغه، استفرغ: تقيّأ، أو تكلّف القيء.

(٥) المروزي: هو عبد اللّه بن عثمان بن جبلة الأزدي العتكي، مولاهم، المروزي، ويقال له: عبدان. حافظٌ للحديث، ثقة، كانت الرّحلة إليه في خراسان. ولد المروزي سنة ١٤٥هـ الموافق ٧٦٢م، وولاه عبد اللّه بن طاهر قضاء الجوزجان، فاستعفى، قال ابن ناصر الدين: تصدق بألف ألف درهم في حياته. وتوفي سنة ٢٢١هـ الموافق ٨٣٦م. انظر: تهذيب التهذيب: (٥/ ٣١٣).

(٦) أحمد: أي أحمد بن حنبل.

(٧) البلابل: المفرد: البلبال؛ أي: شدّة الهمّ والوسواس.

(٨) الذّكر: من الإنسان: عضو التّذكير، الجمع: ذكور، ومذاكير.

(٩) العجز: مؤخر الشيء أو الجسم، الجمع: أعجاز، وهو عظمٌ مؤلّفٌ من تلاحم خمس فقرات عجزيّة متمعضلات بالعظام الحرقفيّة ممّا تكوّنت عنه الحَوْضَةُ.

موقف الشَّريعة من النَّظر

ولمّا كان النّظر من أقرب الوسائل إلىٰ المحرم اقتضت الشّريعة تحريمه، وأباحته في موضع الحاجة، وهٰذا شأن كلّ ما حرَّم تحريم الوسائل، فإنَّه يباح للمصلحة الرَّاجحة، كما حرّمت الصَّلاة في أوقات النَّهي[(١)] لئلاً تكون وسيلةً إلىٰ التَّشبُّه بالكفَّار في سجودهم للشَّمس، أُبيحت للمصلحة الرَّاجحة كقضاء الفوائت، وصلاة الجنازة، وفعل ذوات الأَسباب علىٰ الصَّحيح.

وفي مسند الإمام أَحمد بن حنبل عن النَّبيِّ ﷺ أَنه قال: **«النَّظْرَةُ سَهْمٌ مَسْمُومٌ مِنْ سِهَامِ إِبْلِيسَ فَمَنْ غَضَّ بَصَرَهُ عَنْ مَحَاسِنِ امْرَأَةٍ أَوْرَثَ اللهُ قَلْبَهُ حَلاوَةً يَجِدُهَا إِلىٰ يَوْمِ يَلْقَاهُ»**[(٢)] أو كما قال.

وقال جرير بن عبد اللّه رضي الله عنهما: سألت رسول الله ﷺ عن نظر الفجأَة فأَمرني أَن أَصرف بصري[(٣)].

ونظرة الفجأَة هي النَّظرة الأُولىٰ التي تقع بغير قصدٍ من النَّاظر، فما لم يعتمده القلب لا يعاقب عليه، فإذا نظر الثَّانية تعمُّداً أَثم، فأَمره النَّبيُّ ﷺ عند نظرة الفجأَة أَن يصرف بصره ولا يستديم النَّظر فإن استدامته كتكريره.

---

(١) أخرج النسائي في سننه: (٥٠٧)، ومسلم في صحيحه: (١٩٥)، وأبو داود في سننه: (٤١٣)، والترمذي في سننه: (١٦٠)، عن العلاء: أنّه دخل على أنس بن مالك في داره بالبصرة حين انصرف من الظُّهر وداره بجنب المسجد، فلمّا دخلنا عليه قال: أصليتم العصر؟ قلنا: لا إنّما انصرفنا الساعة من الظّهر، قال: فصلُّوا العصر، قال: فقمنا فصلّينا فلمّا انصرفنا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«تلك صلاة المنافق جلس يرقب صلاة العصر حتى إذا كانت بين قرني الشّيطان قام فنقر أربعاً لا يذكر الله عزَّ وجلَّ فيها إلاَّ قليلاً»**.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه.

وأَرشد من ابتلي بنظرة الفجأة أَن يداويه بإِتيان امرأته، وقال: «**إِنَّ مَعَهَا مِثْلَ الَّذي مَعَها**».

فإِنَّ في ذٰلك التَّسلِّي عن المطلوب بجنسه.

والثَّاني: أَنَّ النَّظر يثير قوَّة الشَّهوة، فأَمره بتنقيصها بإِتيان أَهله.

ففتنة النَّظر أَصل كلِّ فتنة كما ثبت في الصَّحيحين من حديث أُسامة بن زيد[1] رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبيَّ ﷺ قال:

«**مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَىٰ الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ**»[2].

وفي صحيح مسلم من حديث أَبي سعيد الخدريِّ[3] رضي الله عنه عن النَّبيِّ ﷺ: «**اتَّقُوا الدُّنْيَا واتَّقُوا النِّسَاء**»[4].

---

(١) **أُسامة بن زيد**: بن حارثة، من كنانة عوف، أبو محمد، صحابي جليل، ولد أُسامة بن زيد في مكة سنة ٧ ق.هـ الموافق ٦١٥م، ونشأ على الإسلام، لأنَّ أباه كان من أول الناس إسلاماً، وكان رسول الله ﷺ يحبُّه حبّاً جمّاً وينظر إليه نظره إلى سبطيه الحسن والحسين، وهاجر مع النَّبيّ ﷺ إلى المدينة، وأَمَّره رسول الله ﷺ قبل أن يبلغ العشرين من عمره، فكان مظفراً موفقاً. ولما توفي رسول الله ﷺ رحل أُسامة إلى وادي القرى فسكنه، ثمَّ انتقل إلى دمشق في أيام معاوية، فسكن المزة، وعاد بعد إلى المدينة فأقام إلىٰ أن مات بالجرف سنة ٥٤هـ الموافق ٦٧٤م في آخر خلافة معاوية. روى أُسامة بن زيد ١٢٨ حديثاً عن رسول الله ﷺ. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ طبعة دار الفكر ـ: (١/ ٥١٤) الترجمة رقم: (٣١١)، وسير أعلام النبلاء: (٤/ ١١٩) الترجمة رقم: (٢٠٠)، وطبقات ابن سعد: (٤/ ٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: (٥٠٩٦)، ومسلم في صحيحه: (٢٧٤١)، والترمذي في سننه: (٢٧٨٠)، وأحمد في المسند: (٥/ ٢٠٠) وهو في مسند أحمد ـ طبعة دار الفكر ـ: (٢١٨٠٥)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٧/ ٩١)، والطبراني في المعجم الكبير: (١/ ١٣٣)، وعبد الرزاق في المصنف: (٢٠٦٠٨)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: (٧/ ٤٣٣)، وابن حجر في فتح الباري: (٩/ ١٣٧)، والتبريزي في المشكاة: (٣٠٨٥)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار: (٣/ ٩٨)، والخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: (١٢/ ٣٢٩)، وأبو نعيم في الحلية: (٣/ ٣٥).

(٣) **أبو سعيد الخدري**: هو سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري الخزرجي أبو سعيد، صحابي. ولد أبو سعيد الخدري سنة ١٠ق.هـ الموافق ٦١٣م، وكان من ملازمي النَّبيّ ﷺ، وروى عنه أحاديث كثيرة، وغزا اثنتي عشرة غزوة. وتوفي في المدينة سنة ٧٤هـ الموافق ٦٩٣م. روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه ١١٧٠ حديثاً عن رسول الله ﷺ. انظر: سير أعلام النبلاء ـ طبعة دار الفكر ـ: (٤/ ٣٢٠) الترجمة رقم: (٢٥٠)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال: (٧/ ١٠٣) الترجمة رقم: (٢٢٠٦)، وصفة الصفوة: (١/ ٢٩٩)، وحلية الأولياء: (١/ ٣٦٩)، وذيل المذيل: (٢٢)، وتهذيب التهذيب: (٣/ ٤٧٩).

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه: (٢٧٤٢)، وابن ماجه في سننه: (٤٠٠٠)، وأحمد في المسند: (٣/ ١٩ و٢٢ و٦١ و٨٤)، وهو في مسند أحمد ـ طبعة دار الفكر ـ: (١١١٤٣) و(١١١٦٩) و(١١٥٨٧) و(١١٧٩٦)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٧/ ٩١)، والهندي في كنز العمال: (٤٤٤٨١).

وفي مسند محمد بن إِسحاق السَّرّاج[1] من حديث عليّ بن أَبي طالب رضي الله عنه، عن النَّبيِّ ﷺ:

«أَخوَف مَا أَخَافُ عَلَىٰ أُمَّتِي النِّسَاءُ وَالخَمْرُ»[2].

وقال ابن عبَّاس رضي الله عنهما: لم يكفر من كفر ممن مضىٰ إِلاَّ من قِبل النِّساء، وكفر من بقي من قبل النِّساء.

❀ ❀ ❀

(١) **محمد بن إِسحاق السَّراج**: بن إبراهيم بن مهران الثقفي، مولاهم النيسابوري، أبو العباس، حافظ للحديث ثقة. ولد محمد بن إِسحاق السراج سنة ٢١٦هـ الموافق ٨٣١م، وكان شيخ خراسان، له (المسند) أربعة عشر جزءاً، والتاريخ، ونسبة السّرّاج إلى عمل السُّروج، توفي سنة ٣١٣هـ الموافق ٩٢٥م. انظر: تذكرة الحفاظ: (٢/١٦٨)، وتاريخ بغداد: (١/٢٤٨)، وسير أعلام النبلاء ـ طبعة دار الفكر ـ: (١١/ ٣٧٢) الترجمة رقم: (٢٧٣٧).

(٢) أخرج الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: (١٤/ ٧٩): **«إِنَّ أخوف ما أخاف على أُمتي النِّساء»**.

فوائد غضّ البصر

وفي غضّ البصر عدّة فوائد:

أحدها: تخليص القلب من أَلم الحسرة، فإن من أَطلق نظره دامت حسرته، فأَضرُّ شيءٍ علىٰ القلب إِرسال البصر، فإِنَّه يريه ما يشتدُّ طلبه ولا صبر له عنه ولا وصول له إِليه، وذٰلك غاية أَلمه وعذابه.

قال الأَصمعي[1]: رأَيتُ جارية في الطَّواف كأَنها مهاة[2]، فجعلت أَنظر إِليها وأَملأُ عيني من محاسنها.

فقالت لي: يا هٰذا ما شأْنك؟. قلت: وما عليك من النَّظر؟.

فأَنشأَت تقول:

وَكُنْتَ متىٰ أَرْسَلْتَ طَرْفَكَ رَائِداً ... لِقَلْبِكَ يَوْماً أَتْعَبَتْكَ المَنَاظِرُ
رَأَيْتُ الذي لاَ كُلُّهُ أَنْتَ قَادِرٌ ... عَلَيْهِ وَلاَ عَنْ بَعْضِهِ أَنْتَ صَابِرُ

---

(١) الأصمعي: هو عبد الملك بن قُريب بن علي بن أصمع الباهلي، أبو سعيد الأصمعي، راوية العرب، وأحد أئمة العلم باللُّغة والشعر والبلدان، نسبته إلى جدّه أصمع. ولد الأصمعي في البصرة سنة ١٢٢هـ الموافق ٧٤٠م وتوفي فيها سنة ٢١٦هـ الموافق ٨٣١م. وكان كثير التطواف في البوادي، يقتبس علومها ويتلقى أخبارها، ويُتحف بها الخلفاء، فيكافأ عليها بالعطايا الوافرة، وأخباره كثيرة جداً، وكان هارون الرشيد يسميه (شيطان الشعر). قال الأخفش: ما رأينا أحداً أعلم بالشعر من الأصمعيّ. وقال أبو الطيب اللغوي: كان أتقن القوم للّغة، وأعلمهم بالشِّعر، وأحضرهم حفظاً. وكان الأصمعي يقول: أحفظ عشرة آلاف أرجوزة، وتصانيفه كثيرة منها: الإبل، والأضداد، وخلق الإنسان، والمترادف، والفَرَق، والخيل، والنساء، والدارات، وشرح ديوان ذي الرمة. انظر: جمهرة الأنساب: (٢٣٤)، وتاريخ بغداد: (١٠/ ١١٠)، ونزهة الألباب: (١٥٠)، وإنباه الرواة: (٢/١٩٧ ـ ٢٠٥)؛ وسير أعلام النبلاء ـ طبعة دار الفكر ـ: (٨/ ٤٦٩) الترجمة رقم: (١٥٧٠).

(٢) مهاة: البقرة الوحشية، وسميت بها الأُنثى لاتساع عينيها وجمالهما، قال الشاعر علي بن الجهم:

عيون المها بين الرّصافة والجسر ... جَلَبْنَ الهوىٰ من حيث أدري ولا أدري

والنَّظرة تفعل في القلب ما يفعل السَّهم في الرَّمية، فإن لم تقتله جرحته، وهي بمنزلة الشَّرارة من النَّار ترمىٰ في الحشيش اليابس فإن لم تحرقه كلّه أحرقت بعضه كما قيل:

كُلُّ الحَوادِثِ مَبْدَاهَا مِنَ النَّظَرِ ... وَمُعْظَمُ النَّارِ مِنْ مُسْتَصْغَرِ الشَّرَرِ

كَمْ نَظْرَة فَتَكَتْ فِي قَلْبِ صَاحِبِهَا ... فَتْكَ السِّهَامِ بِلاَ قَوْسٍ وَلا وَتَرِ

والمَرْءُ مَا دَامَ ذَا عَيْنٍ يُقَلِّبُهَا ... فِي أَعْيُنِ الغِيدِ مَوْقُوف عَلَىٰ الخَطَرِ

يَسُرُّ مُقْلَتَهُ مَا ضَرَّ مُهْجَتَهُ ... لاَ مَرْحَباً بِسُرُورٍ عَادَ بِالضَّرَرِ

والنّاظر يرمي من نظره بسهامٍ غرضها قلبه وهو لا يشعر، فهو إنَّما يرمي قلبه ولي من أبيات:

يَا رَامِياً بِسِهَامِ اللَّحْظ مُجْتَهِداً ... أَنْتَ القَتِيلُ بِمَا تَرْمِي فَلاَ تصبِ

وَبَاعث الطَّرف يَرْتَادُ الشِّفَاء لَهُ ... تَوَقَّه إنَّه يَأْتِيكَ بِالعَطَبِ

وقال الفرزدق[1]:

تَزَوَّد مِنْهَا نَظْرَةً لَمْ تَدع لَهُ ... فُؤاداً وَلَمْ يَشْعُرْ بِمَا قَدْ تَزَوَّدا

فَلَمْ أَرَ مَقْتُولاً وَلَمْ أَرَ قَاتِلاً ... بِغَيْرِ سِلاَحِ مِثْلهَا حِينَ أَقْصدَا

وقال آخر:

وَمَنْ كَانَ يُؤْتَىٰ مِنْ عَدُوٍّ وَحَاسِدِ ... فَإِنِّي مِنْ عَيْنِي أتيتُ وَمِنْ قَلْبِي

---

(١) الفرزدق: هو همّام بن غالب بن صعصعة التميمي الدارمي، أبو فراس، الشاعر، من النبلاء، من أهل البصرة، عظيم الأثر في اللغة، كان يُقال: لولا شعر الفرزدق لذهب ثلث لغة العرب، ولولا شعر الفرزدق لذهب نصف أخبار الناس، يُشبّه بزهير بن أبي سُلمى، وكلاهما من شعراء الطبقة الأولى، زهير في الجاهليين، والفرزدق في الإسلاميين، وهو صاحب الأخبار مع جرير والأخطل، ومهاجاته لهما أشهر من أن تذكر، كان شريفاً في قومه، عزيز الجانب، يحمي من يستجير بقبر أبيه، وكان أبوه من الأجواد الأشراف، وكذلك جدّه. وكان الفرزدق لا ينشد بين يدي الخلفاء والأمراء إلاَّ قاعداً، وأراد سليمان بن عبد الملك أن يقيمه فثارت طائفة من تميم، فأذن له بالجلوس. وكان الفرزدق يكنى في شبابه بأبي مكية، وهي ابنة له، ولُقِّب بالفرزدق لجهامة وجهه وغلظه، وتوفي في البادية بالبصرة سنة ١١٠هـ الموافق ٧٢٨م. انظر: سير أعلام النبلاء ـ طبعة دار الفكر ـ: (٥/ ٤٧٤) الترجمة رقم: (٥٩٣)، ورغبة الآمل من كتاب الكامل: (١/ ١١٤) و(٢/ ٧٨ و٧٩ و٨٣ و٢١٧ و٢٣٧) و(٣/ ٥٥ و٥٦)، ومعاهد التنصيص: (١/ ٤٥)، والشعر والشعراء: (٤٤٢)، وأمالي المرتضى: (١/ ٤٣ ـ ٤٩) ومفتاح السعادة: (١/ ١٩٥)، وجمهرة أشعار العرب: (١٦٣).

هُمَا اعْتَوَرَانِي نَظْرَةً ثُمَّ فِكْرَةً فَمَا أَبْقَيَا لِي مِنْ رِقَادٍ وَلاَ لُبِّ[1]

وقال آخر:

رَمَانِي بِهَا طَرْفِي فَلَمْ تخط مُقْلَتِي وَمَا كُلُّ مَنْ يَرْمِي تُصَابُ مَقَاتِلُه[2]

إِذَا مِتُّ فَابْكُونِي قَتِيلاً لِطَرْفِهِ قَتِيلَ صَدِيقٍ حَاضِرٍ مَا يُزَايِلُه

وقال ابن المعتز[3]:

مُتَيَّمٌ يَرْعَىٰ نُجُومَ الدُّجَىٰ يَبْكِي عَلَيْهِ رَحْمَةً عَاذِلُه

عَيْنِي أَشَاطَتْ بِدَمِي فِي الهَوَىٰ فَابْكُوا قَتِيلاً بَعْضُهُ قَاتِلُه

ومثله للمتنبي[4]:

---

(١) **[اعتوراني]**: اعتور القوم الشيء، وتعاوروه: تداولوه فيما بينهم.

(٢) **[مقلتي]**: المقلة: العين كلّها، أو سوادها وبياضها، الجمع مقل. قال قيس بن الملوح:

مُقَلَّةٌ دَمْعُهَا خَشِيتُ وأُخرىٰ كلَّما جَفَّ دَمْعُهَا أَسْعَدَتْهَا

(٣) **ابن المعتز**: هو عبد اللّه بن محمد المعتز باللّه ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي، أبو العباس، الشاعر المبدع، خليفة يوم وليلة. ولد ابن المعتز في بغداد سنة ٢٤٧هـ الموافق ٨٦١م، وأولع بالأدب، فكان يقصد فصحاء الأعراب ويأخذ عنهم، وصنّف كتباً منها: الزّهر والرّياض، والبديع، والآداب، والجامع في الغناء، والجوارح والصّيد، وفصول التماثيل، وحلى الأخبار، وأشعار الملوك، وطبقات الشعراء. وجاءته النكبة من حيث يسعد النّاس، آلت الخلافة في أيامه إلىٰ المقتدر العباسي، واستصغره القواد فخلعوه، وأقبلوا على ابن المعتز فلقبوه (المرتضي باللّه) وبايعوه بالخلافة، فأقام يوماً وليلةً، ووثب عليه غلمان المقتدر فخلعوه، وعاد المقتدر، فقبض عليه وسلّمه إلىٰ خادم له اسمه مؤنس فخنقه سنة ٢٩٦هـ الموافق ٩٠٩م. وللشعراء مراثٍ كثيرة فيه. انظر: ثمار القلوب: (١٥٠)، وتاريخ الخميس: (٢/٣٤٦).

(٤) **المتنبي**: هو أحمد بن الحسين بن الحسن بن عبد الصمد الجعفي الكوفي الكندي، أبو الطيب المتنبي، الشاعر الحكيم، وأحد مفاخر الأدب العرب، له الأمثال السائرة والحكم البالغة والمعاني المبتكرة، وفي علماء الأدب من يعدّه أشعر الإسلاميين. ولد المتنبي في الكوفة سنة ٣٠٣هـ الموافق ٩١٥م في محلّة تُسمّى (كندة) وإليها نسبته. ونشأ بالشام، ثمّ تنقّل في البادية يطلب الأدب وعلم العربية وأيام النّاس، وقال الشّعر صبيّاً، وتنبّأ في بادية السّماوية (بين الكوفة والشام) فتبعه كثيرون، وقبل أن يستفحل أمره خرج إليه لؤلؤ (أمير حمص ونائب الإخشيد)، فأسره وسجنه حتى تاب ورجع عن دعواه، ووفد على سيف الدولة ابن حمدان (صاحب حلب) سنة ٣٣٧هـ فمدحه وحظي عنده، ومضى إلى مصر فمدح كافور الإخشيدي، وطلب منه أن يوليه، فلم يولّه كافور. فغضب أبو الطيب وانصرف يهجوه، وقصد العراق. وقرىء عليه ديوانه، وزار بلاد فارس، فمرَّ بأرجان ومدح فيها ابن العميد، وكانت له معه مساجلات، ورحل إلى شيراز، فمدح عضد الدولة ابن بويه الديلمي، وعاد يريد بغداد فالكوفة، فعرض له فاتك بن أبي جهل الأسدي في=

وَأَنَا الَّذي اجْتَلَبَ الْمَنِيَّةَ طرفه فَمنِ الْمُطَالَب والقَتِيلُ القَاتِلُ[1]

وقال أيضاً:

يَا نَظْرَةً نَفَتِ الرُّقَادَ وَغَادَرَتْ فِي حَدِّ قَلْبِي مَا بقيت فُلُولا[2]
كَانَتْ مِنَ الكَحْلاءِ سُؤْلِي إِنَّمَا أَجَلِي تَمَثَّل فِي فُؤَادِي سُولا[3]

وقال أيضاً:

وقَىٰ الأَمِيرَ مِنَ العُيُونِ فَإِنَّه مَا لاَ يَزُولُ بِبَأْسِهِ وَسَخَائِهِ[4]
يُسْتَأْسَرُ البَطَل الكَمِيّ بِنَظْرَةٍ وَيَحُولُ بَيْنَ فُؤَادِهِ وَعَزَائِهِ[5]

وقال الصُّوري[6]:

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْعَ البُروقَ اللَّوامِحَا وَنِمْتَ جَرَىٰ مِنْ تَحْتِكَ السَّيْل سَائِحَا[7]
غَرَسْتَ الهَوَىٰ باللَّحْظِ ثُمَّ احْتَقَرْتَهُ وَأَهْمَلْتَهُ مُسْتَأْنِساً مُتَسَامِحَا[8]
وَلَمْ تَدْرِ حَتَّىٰ أَيْنَعَتْ شَجَرَاتُهُ وَهَبَّتْ رِيَاحُ الوَجْدِ فِيهِ لَوَاقِحَا[9]

= الطريق بجماعةٍ من أصحابه، ومع المتنبي جماعة أيضاً، فاقتتل الفريقان، فقتل أبو الطيب وابنه محمد وغلامه مفلح بالنعمانيّة بالقرب من دير العاقول (في الجانب الغربي سواد بغداد) سنة ٣٥٤هـ الموافق ٩٦٥م. انظر: لسان الميزان: (١/ ١٥٩)، وتاريخ بغداد: (٤/ ١٠٢)، ودائرة المعارف الإسلامية: (١/ ٣٦٣ ـ ٣٧١)، وسير أعلام النبلاء ـ طبعة دار الفكر ـ: (١٢/ ٣١٧) الترجمة رقم: (٣٣٣٧).

(١) **[اجتلب]**: اجتلب فلان الشيء: جلبه، وساقه من موضع إلى آخر.

(٢) **[فلولا]**: فل السيف: انثلامه، والفلل: انثلام حدّ السيف.

(٣) **[الكحلاء]**: الشديدة سواد العين، أو التي كأنّها مكحولة وإن لم تكحل.

(٤) **[وقى الأمير]**: حفظ الأمير.

(٥) **[الكميّ]**: الشّجاع المقدام الجريء، والكمي أيضاً: لابس السّلاح، الجمع: كماة، وأكماء.

(٦) **الصوري**: هو عبد المحسن بن محمد بن أحمد بن غالب الصُّوري، أبو محمد، ويُلَقَّب بابن غلبون، شاعر، حسن المعاني. ولد الصوري في مدينة صور على الساحل اللبناني سنة ٣٣٩هـ الموافق ٩٥٠م، وتوفي فيها سنة ٤١٩هـ الموافق ١٠٢٨م. له ديوان شعر. انظر: وفيات الأعيان: (١/ ٣٠٨)، والنجوم الزاهرة: (٤/ ٢٦٩)، ويتيمة الدهر: (١/ ٢٢٥) وشذرات الذهب: (٣/ ٢١١)، وسير أعلام النبلاء ـ طبعة دار الفكر ـ: (١٣/ ٢٥٦) الترجمة رقم: (٣٨٧٦).

(٧) **[البروق]**: المفرد: البرق، شرارات كهربائية بين الغيوم ويتولد من احتكاك الغيوم المشحونة بالكهرباء.

(٨) **[اللحظ]**: باطن العين، الجمع: لحاظ، وألحاظ.

(٩) **[الوَجد]**: الحبُّ الشّديد. **[لواقحا]**: ألقح الفحل الناقة: أحبلها، وألقحت الرّيح الشجر والنبات: نقلت اللقاح من عضو التذكير إلى عضو التأنيث، وألقح فلان بينهم شرّاً، تَسَبَّب به. وألقحت الرّيح السّحابة: =

فَأَمْسَيْتَ تَسْتَدْعِي مِنَ الصَّبْرِ عَازِباً عَلَيْكَ وَتَسْتَدْنِي مِنَ النَّوْمِ نَازِحَا[١]

ودخل أَصبهان[٢] مغنّ فكان يتغنّىٰ بهٰذين البيتين:

سَمَاعاً يَا عِبَادَ اللّٰهِ مِنِّي وَكُفُّوا عَنْ مُلاَحَظَةِ المِلاَحِ
فَإِنَّ الحُبَّ آخِرُهُ المَنَايَا وَأَوَّلُهُ شَبِيهٌ بِالمِزَاحِ

وقال آخر:

وَشَادِنٍ لَمَّا بَدَا أَسْلَمَنِي إِلَىٰ الرَّدَىٰ[٣]
بِطَرْفِهِ وَلُطْفِهِ وَطَرْفِهِ لَمَّا بَدَا
أَرَدْتُ أَنْ أَصِيدَهُ فَصَادَ قَلْبِي وَغَدَا

وقال آخر يعاتب عينه:

والله يَا بَصَرِي الجَانِي عَلَىٰ جَسَدِي لأُطْفِئَنَّ بِدَمْعِي لَوْعَةَ الحُزْنِ
تَاللهِ تَطْمَعُ أَنْ أَبْكِي هَوىً وَضَنىً وَأَنْتَ تَشْبَعُ مِنْ غَمْضٍ وَمِنْ وَسَنِ[٤]
هَيْهَاتَ حَتَّىٰ تَرَىٰ طَرْفاً بِلاَ نَظَرٍ كَمَا أَرَىٰ فِي الهَوَىٰ شَخْصاً بِلاَ بَدَنِ

وقال آخر:

يَا مَنْ سَقَمِي يَزِيدُ وَعِلَّتِي أَعْيَتْ طَبِيبِي
لاَ تَعْجَبَنَّ فَهٰكَذَا تَجْنِي العُيُونُ عَلَىٰ القُلُوبِ

وقال آخر:

لَوَاحِظُنَا تَجْنِي وَلاَ عِلْمَ عِنْدَنَا وَأَنْفُسُنَا مَأْخُوذَةٌ بِالجَرَائِرِ[٥]

= خالطتها ببرودتها فأمطرت، فهي ملقحة ولاقحٌ. قال الله تعالىٰ في سورة الحجر، الآية: (٢٢): ﴿وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ﴾.

(١) [نازحاً]: النازح: البعيد.

(٢) أصبهان: مدينة في إيران بين شيراز وطهران.

(٣) [شادن]: ولد الظبية خصوصاً، الجمع: شوادن. [الردى]: الهلاك.

(٤) [ضنى]: الضنا: المرض والهزال. [غمض]: الغمض: النوم. [وسن]: النعاس، وأول النوم أو ثقله.

(٥) [الجرائر]: المفرد: الجريرة؛ أي: الجناية والذَّنب.

وَلَمْ أر أَغْبَىٰ مِنْ نُفُوسٍ عَفَائِفٍ ... تصدقُ أَخْبَار العُيونِ الفَوَاجِرِ[١]
وَمَنْ كَانَتِ الأَجْفَانُ حِجَابَ قَلْبِهِ ... أذن عَلَىٰ أَحْشَائِهِ بِالفَوَاقِرِ[٢]

وقال آخر:

وَمُسْتَفْتِحٍ باب البَلاَءِ بِنَظْرَةٍ ... تَزَوَّدْ مِنْهَا قَلْبُهُ حَسْرَةَ الدَّهْرِ
فَوالله مَا تَدْرِي أَيَدْرِي بِمَا جَنَتْ ... عَلَىٰ قَلْبِهِ أَمْ أَهْلَكَتْهُ وَمَا يَدْرِي

وقال آخر:

أَنَا مَا بَيْنَ عَدُوَّيْـ ... ـنِ هُمَا قَلْبِي وَطَرْفِي
يَنْظُرُ الطَّرْفُ وَيَهْوَىٰ الـ ... ـقَلْبُ والمَقْصُودُ حَتْفِي

وقال الخفاجي:[٣]

رمت عَيْنُها عَيْني وَرَاحَتْ سَلِيمَة ... فَمن حَاكمٌ بَيْنَ الكَحِيلَةِ وَالعِبرَىٰ
فَيَا طَرْف قَدْ حَذَّرْتُكَ النَّظْرَةَ الَّتي ... خلستَ فَمَا رَاقَبْتَ نَهْياً وَلاَ زَجْرَا[٤]
وَيَا قَلْب قَدْ أَرْدَاكَ طَرْفِي مَرَّةً ... فَوَيْحَكَ لِمَ طَاوَعْتَهُ مَرَّةً أُخْرَىٰ

ولي من أبيات لعلَّ معناها مبتكر:

أَلَمْ أَقُلْ لَكَ لاَ تَسْرُقْ مُلاَحَظَة ... فَسَارِقُ اللَّحْظِ لاَ يَنْجُو مِنَ الدَّرْكِ
نَصَبْتُ طَرْفِي لَهُ لَمَّا بَدَا شَرَكاً ... فَكَانَ قَلْبِي أولَىٰ مِنْهُ بِالشَّرَكِ

الفائدة الثانية: أنَّه يورث القلب نوراً وإشراقاً يظهر في العين وفي الوجه وفي الجوارح، كما أنَّ إطلاق البصر يورثه ظلمة تظهر في وجهه وجوارحه.

---

(١) [الفواجر]: الفواسق.

(٢) [أحشائه]: الحشا: ما دون الحجاب مما في البطن كله من الكبد والطّحال والكرش وغيرها.

(٣) الخفاجي: هو عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان، أبو محمد الخفاجي الحلبي، شاعر، أخذ الأدب عن أبي العلاء المعري وغيره، وكانت له ولاية بقلعة (عزاز) من أعمال حلب، وعصي بها، فاحتيل عليه بإطعامه (خشكناجة) مسمومة، فمات سنة ٤٦٦هـ الموافق ١٠٧٣م، وحُمل إلى حلب، له ديوان شعر، وكتاب سر الفصاحة.
انظر: فوات الوفيات: (٢٣٣/١)، وبنو خفاجة وتاريخهم: (٢/٩ ـ ٥٦)، والنجوم الزاهرة: (٩٦/٥).

(٤) [طرف]: الطرف: العين. قال تعالى في سورة الصافات، الآية: (٤٨): ﴿قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ﴾. [خلست]: استلبت. [زجراً]: الزجر: المنع والنهي.

ولهٰذا والله أعلم ذكر الله سبحانه آية النُّور في قوله تعالىٰ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] عقيب قوله: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠].

وجاء الحديث مطابقاً لهٰذا حتَّى كأنَّه مشتقٌّ منه وهو قوله: «**النَّظْرَةُ سَهْمٌ مسْمُومٌ من سِهَامِ إِبْلِيس، فَمَنْ غَضَّ بَصَرَهُ عَنْ مَحَاسِنِ امْرَأَةٍ أَوْرَثَ الله قَلْبَهُ نُوراً**»[١]. الحديث.

الفائدة الثالثة: أنَّه يورث صحَّة الفراسة فإنَّها من النُّور وثمراته، وإذا استنار القلب صحَّت الفراسة لأنَّه يصير بمنزلة المرآة المجلوة[٢] تظهر فيها المعلومات كما هي، والنَّظر بمنزلة التَّنفُّس فيها، فإذا أطلق العبد نظره تنفَّست نفسه الصّعداء[٣] في مرآة قلبه فطمست نورها كما قيل:

مِرْآةُ قَلْبِكَ لاَ تُرِيكَ صَلاَحَهُ وَالنَّفْسُ فِيهَا دَائِماً تَتَنَفَّسُ

وقال شجاع الكرماني: من عمَّر ظاهره باتِّباع السُّنَّة، وباطنه بدوام المراقبة، وغضَّ بصره عن المحارم، وكفَّ نفسه عن الشَّهوات، وأكل من الحلال لم تخطىء فراسته[٤].

وكان شجاعاً لا تخطىء له فراسة والله سبحانه وتعالىٰ يجزي العبد علىٰ عمله بما هو من جنسه، فمن غضَّ بصره عن المحارم عوَّضه الله سبحانه وتعالىٰ إطلاق نور بصيرته، فلمَّا حبس بصره لله أطلق الله نور بصيرته، ومن أطلق بصره في المحارم حبس الله عنه بصيرته.

الفائدة الرابعة: أنَّه يفتح له طرق العلم وأبوابه، ويُسهِّل عليه أسبابه، وذٰلك بسبب نور القلب، فإنَّه إذا استنار ظهرت فيه حقائق المعلومات، وانكشفت له بسرعة ونفذ من بعضها إلىٰ بعضٍ. ومن أرسل بصره تكدَّر عليه قلبه وأظلم، وانسدَّ عليه باب العلم وطرقه.

الفائدة الخامسة: أنَّه يورث قوَّة القلب وثباته وشجاعته، فيجعل له سلطان البصيرة مع سلطان الحجَّة.

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) **المجلوة**: جلا السَّيف والفضّة والمرآة ونحوها جلواً وجلاءً: كشف صدأها وصقلها.

(٣) **الصّعداء**: التَّنفُّس الشَّاقُّ الممدود بعمقٍ من هَمٍّ أو توجُّع.

(٤) أورد هذا القول الإمام ابن تيمية في الجزء المختصّ به.

وفي الأَثر: إِنَّ الذي يخالف هواه يفرق الشَّيْطان من ظلِّه[١]، ولهٰذا يوجد في المتّبع لهواه من ذلّ القلب وضعفه ومهانة النَّفس وحقارتها ما جعله الله لمن آثر هواه علىٰ رضاه. .

قال الحسن: إِنَّهم وإِن هملجت بهم البغال وطقطقت بهم البراذين إِن ذلّ المعصية لفي قلوبهم. أَبىٰ الله إِلاَّ أَن يذلَّ من عصاه[٢].

وقال بعض الشُّيوخ: النَّاس يطلبون العزَّ بأَبواب الملوك، ولا يجدونه إِلاَّ في طاعة الله. ومن أَطاع الله فقد والاه فيما أَطاعه فيه، ومن عصاه فقد عاداه فيما عصاه فيه، وفيه قسطٌ ونصيبٌ من فعل من عاداه بمعاصيه، وفي دعاء القنوت: «**إِنَّهُ لاَ يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلاَ يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ**»[٣].

الفائدة السادسة: أَنَّه يورث القلب سروراً وفرحةً وانشراحاً أَعظم اللَّذَّة والسُّرور الحاصل بالنَّظر، وذٰلك لقهره عدوّه بمخالفته ومخالفة نفسه وهواه، وأَيضاً فإِنَّه لمَّا كفَّ لذَّته، وحبس شهوته لله وفيها مسرَّة نفسه الأَمَّارة بالسُّوء أَعاضه[٤] الله سبحانه مسَّرةً ولذَّةً أَكمل منها، كما قال بعضهم:

والله للذَّة العفَّة أَعظم من لذَّة الذَّنب، ولا ريب أَن النَّفس إِذا خالفت هواها أَعقبها ذٰلك فرحاً وسروراً ولذَّةً أَكمل من لذَّة موافقة الهوىٰ بما لا نسبة بينهما، وهاهنا يمتاز العقل من الهوىٰ.

الفائدة السابعة: أَنَّه يخاص القلب من أَسر الشَّهوة فإِنَّ الأَسير هو أَسير شهوته وهواه فهو كما قيل:

طـلـيـقٌ بـرأي الـعـيـن وهـو أسـيـر

---

(١) المرجع السابق.

(٢) رحم الله الإمام ابن القيم، فقد كان متأثراً بكلام شيخه ومربيه الإمام ابن تيمية، فغالباً ما يستشهد بأقواله التي مرّت معنا في القسم الأول. فلقد لازم ابن القيم شيخه ابنَ تيمية وسجن معه، وجاهد معه، ولم يفارقه إلى أن انتقل إلى رحمة ربه، فأخذ عنه العديد من آرائه، والكثير من أفكاره، واقتدى به في مذهبه الحرّ وهو مذهب أهل الحديث، ونقم مثله على الجمود والتّعصُّب المذهبي، ولقد استوعب ابن القيّم رحمه الله تعالى تراث شيخه أعظم استيعاب، وانتفع ونفع به فجزاهما الله عن العباد والبلاد خير جزاء.

(٣) سبق تخريجه في فصل شيخه ابن تيمية.

(٤) **أعاضه**: عوّضه من خسارته خيراً؛ أي: أبدله خيراً منها.

ومتى أَسرت الشَّهوة والهوىٰ القلب تمكَّن منه عدوُّه وسامه سوء العذاب وصار.

كَعُصْفورَةٍ فِي كَفِّ طِفْلٍ يَسُومُهَا حياض الرَّدَىٰ والطِّفلُ يَلْهُو وَيَلْعَبُ[١]

الفائدة الثامنة: أَنَّه يسدُّ عنه باباً من أبواب جهنَّم، فإِنَّ النَّظر باب الشَّهوة الحاملة علىٰ مواقعة الفعل، وتحريم الرَّبِّ تعالىٰ وشرعه حجاب مانع من الوصول، فمتىٰ هتك الحجاب[٢] ضرى علىٰ المحظور، ولم تقف نفسه منه عند غاية، فإِنَّ النَّفس في هٰذا الباب لا تقنع بغاية تقف عندها، وذٰلك أن لذَّتها في الشَّيء الجديد، فصاحب الطَّارف[٣] لا يقنعه التَّليد[٤]، وإِن كان أَحسن منه منظراً وأَطيب مخبراً، فغضُّ البصر يسدُّ عنه هٰذا الباب الذي عجزت الملوك عن استيفاء أَغراضهم فيه.

الفائدة التاسعة: أَنَّه يقوِّي عقله ويزيده ويثبِّته، فإِنَّ إطلاق البصر وإِرساله لا يحصل إِلاَّ من خفَّة العقل وطيشه وعدم ملاحظته للعواقب، فإِنَّ خاصَّة العقل ملاحظة العواقب، ومرسل النَّظر لو علم ما تجني عواقب نظره عليه لما أطلق بصره، قال الشَّاعر:

وَأَعْقَلُ النَّاسِ مَنْ لَمْ يَرْتَكِبْ سَبَباً حَتَّى يُفَكِّر مَا تَجْنِي عَوَاقِبُهُ

الفائدة العاشرة: أَنَّه يخلِّص القلب من سُكر الشَّهوة ورقدة الغفلة، فإِنَّ إِطلاق البصر يوجب استحكام الغفلة عن الله والدَّار الآخرة، ويوقع في سكرة العشق، كما قال الله تعالىٰ عن عشاق الصُّور ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢].

فالنَّظرة كأْسٌ من خمرٍ، والعشق هو سُكر ذٰلك الشَّراب، وسُكر العشق أَعظم من سُكر الخمر، فإِنَّ سكران الخمر، يفيق، وسَكران العشق قلَّما يفيق إِلاَّ وهو في عسكر الأَموات، كما قيل:

سَكْرَان سُكْرَ هَوَىٰ وَسُكْرَ مَدَامَةٍ وَمَتَىٰ إِفَاقَةُ مَنْ بِهِ سَكْرَانُ؟

وفوائد غضِّ البصر وآفات إِرساله أَضعاف أَضعاف ما ذكرنا، وإِنما نَبهَّنا عليه تنبيهاً ولا سيَّما النَّظر إِلىٰ من لم يجعل الله سبيلاً إِلىٰ قضاء الوطر[٥] منه شرعاً، كالمردان

(١) [يسومها]: يرسلها. [حياض]: المفرد: الحوض. [الردى]: الهلاك.
(٢) هتك الحجاب: فضح الستر.
(٣) الطارف: المستفاد حديثاً من المال ونحوه، ويقابله التَّالد.
(٤) التليد: كل قديم من حيوان وغيره يورث عن الآباء، وهو التَّالد، وضد الطريف والطارف.
(٥) الوطر: قضى منه وطره؛ أي: نال منه بغيته وحاجته وقضىٰ أَرَبَهُ.

الحِسان، فإنَّ إطلاق النَّظر إليهم السُّمّ النَّاقع [(١)] والدَّاء العضال [(٢)].

وقد روىٰ الحافظ محمد بن ناصر [(٣)] من حديث الشَّعبي مرسلاً قال: قدم وفد عبد القيس علىٰ النَّبيِّ ﷺ وفيهم غلامٌ أمردُ ظاهر الوضاءة، فأَجلسه النَّبيُّ ﷺ وراء ظهره وقال:

«كَانَتْ خَطِيئَةُ مَنْ مَضَىٰ مِنَ النَّظَرِ» [(٤)].

وقال سعيد بن المسيَّب: إذا رأيتم الرَّجل يحدُّ النَّظر إِلى الغلام الأَمرد فاتهموه.

وقد ذكر ابن عديّ [(٥)] في كامله [(٦)] من حديث بقية [(٧)] ....

---

(١) الناقع: نقع السُّمُّ في أَنياب الحيّة نقوعاً: اجتمع، فهو ناقع، أي: شديدٌ قاتلٌ.

(٢) العضال: الشديد المعجز، يقال: داء عضال؛ أي: شديد أعيا الأَطبّاء.

(٣) محمد بن ناصر: بن محمد بن علي، أبو الفضل السَّلاَّمي، ويقال له: ابن ناصر، محدِّث العراق في عصره، نسبته إلى مدينة السّلام (بغداد).
ولد في بغداد سنة ٤٦٧هـ الموافق ١٧٠٥م، وتوفي فيها سنة ٥٥٠هـ الموافق ١١٥٥م. له الأمالي في الحديث، والتنبيه على ألفاظ الغريبين.
انظر: الرسالة المستطرفة: (١٢٠)، والمنتظم: (١٠/١٦٢).

(٤) أورد الألباني في الأحاديث الضعيفة: (٢١٣): **«كان خطيئة داود عليه السَّلام النَّظر»**.

(٥) ابن عديّ: هو عبد الله بن عبد الله بن عديّ بن عبد الله بن محمد بن مبارك بن القطّان الجرجاني، أَبو أحمد، علاَّمة بالحديث ورجاله، أخذ عن أكثر من ألف شيخ، كان يُعرف في بلده بابن القطان، واشتهر بين علماء الحديث بابن عدي.
ولد ابن عدي سنة ٢٧٧هـ الموافق ٨٩٠م، وتوفي سنة ٣٦٥هـ الموافق ٩٧٦م.
له: الكامل في معرفة الضعفاء والمتروكين من الرواة، وعلل الحديث، ومعجم في أسماء شيوخه، وأسامي من روى عنهم البخاري، وأسماء الصحابة.
انظر: سير أعلام النبلاء ـ طبعة دار الفكر ـ: (١٢/٢٨٦) الترجمة رقم: (٣٣٠٩).

(٦) كامله: أي الكامل في معرفة الضعفاء والمتروكين من الرواة، وقد قامت بطباعته دار الفكر في بيروت.

(٧) بقية: هو بقية بن الوليد بن صائد الحميري الكلاعي، أبو يحمد، حافظ، من أهل حمص، ولد سنة ١١٠هـ الموافق ٧٢٨م، وكان محدّث الشام في عصره، يُنعت بالكياسة والظّرف، له كتاب في الحديث رواه عن شعبة، قيل فيه غرائب انفرد بها.
وفي التبيان: قال أبو مسهر: أحاديث بقية غير نقية. توفي سنة ١٩٧هـ الموافق ٨١٢م.
انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ طبعة دار الفكر ـ: (٣/١٢٥) الترجمة رقم: (٧٢٦)، وسير أعلام النبلاء: (٧/٦٩٦) الترجمة رقم: (١٣١١)، وتذكرة الحفاظ (١/٢٦٦)، وميزان الاعتدال: (١/١٥٤)، وتاريخ بغداد: (٧/١٢٣).

عن الوازع[١] عن أَبي سلمة[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال:

نهىٰ رسول الله ﷺ أَن يحدَّ الرَّجل النَّظر إِلىٰ الغلام الأمرد[٣].

وكان إِبراهيم النُّخعيّ[٤] وسفيان الثوريّ وغيرهما من السَّلف ينهون عن مجالسة المردان.

قال النُّخعي: مجالستهم فتنةٌ وإِنما هم بمنزلة النِّساء.

وبالجملة فكم من مرسل لحظاته رجع بجيش صبره مغلولاً، ولم يقلع حتَّىٰ تشحَّط[٥] بينهم قتيلاً:

يَـا نَـاظِـراً مَـا أَقْـلَـعَـتْ لَـحَـظَـاتُـهُ   حَـتَّـىٰ تَـشَـحَّـطَ بَـيْـنَـهُـنَّ قَـتِـيـلاَ

---

(١) **الوازع**: روت عنه ابنته هند.
انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال: (١٩/ ٣٥٤) الترجمة رقم: (٧٥٢٤م)، وقال محقق الكتاب: ممن استدركه الحسيني في الإكمال.

(٢) **أبو سلمة**: هو موسىٰ بن إسماعيل المنقري بالولاء، التبوذكي، حافظ للحديث، ثقة، من أهل البصرة.
قال عباس الدوري: عددت ما كتبنا عنه خمسة وثلاثين ألف حديث.
انظر: شذرات الذهب: (٢/ ٥٢)، واللباب: (١/ ١٦٩).

(٣) أخرجه ابن عدي في الكامل: (٧/ ٢٥٥٨).

(٤) **إبراهيم النخعي**: هو إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود، أبو عمران النخعي، من مذحج، من أكابر التابعين صلاحاً وصدق رواية وحفظاً للحديث، ولد إبراهيم النخعي في الكوفة سنة ٤٦هـ الموافق ٦٦٦م، ومات مختفياً من الحجاج بن يوسف سنة ٩٦هـ الموافق ٨١٥م.
قال فيه الصلاح الصفدي: فقيه العراق، كان إماماً مجتهداً له مذهب.
ولما بلغ الشَّعبيّ موته قال: والله ما ترك بعده مثله.
انظر: سير أعلام النبلاء ـ طبعة دار الفكر ـ: (٥/ ٤٢٦) الترجمة رقم: (٥٨٠)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ طبعة دار الفكر ـ: (١/ ٤٤٧) الترجمة رقم: (٢٦١)، وطبقات ابن سعد: (٦/ ١٨٨ ـ ١٩٩)، وحلية الأولياء: (٤/ ٢١٩)، وطبقات القراء: (١/ ٢٩)، وتاريخ الإسلام: (٣/ ٣٣٥).

(٥) **تشحّط**: تشحط في دمه: تخبّط فيه وتضرّج.

الباب الثَّاني

في ذكر الشبه التي احتجَّ بها من أَباح النَّظر إِلى من لا يحلّ له الاستمتاع به وأَباح عشقه

الشّبه التي احتجَّ بها من أباح النظر

قالت هٰذه الطَّائفة: بيننا وبينكم الكتاب، والسُّنَّة، وأقوال أئمَّة الإسلام، والمعقول الصَّحيح.

أمَّا الكتاب، فقوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥] وهٰذا يعمُّ جميع ما خلق الله فما الذي أخرج من عمومه الوجه المليح؟ وهو من أحسن ما خلق وموضع الاستدلال به والاعتبار أقوىٰ، ولذٰلك يسبِّح الخالق سبحانه عند رؤيته، كما قال بعض النَّاظرين إلىٰ جميل الصُّورة:

ذِي طَلْعَةٍ سُبْحَانَ فَالِق صُبْحِهِ   وَمَعَاطِف جَلَّتْ يَمِينِ الغَارِسِ
مَرَّتْ بِأَرْجَاءِ الخَيَالِ طُيُوفُهُ   فَبَكَتْ عَلَىٰ رَسْمِ السّلو الدَّارِسِ

ورؤية الجمال البديع تُنطق أَلسنة النَّاظرين بقولهم: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [النمل: ٨] و﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] والله تعالىٰ لم يخلق هٰذه المحاسن عبثاً، وإنَّما أظهرها ليستدلَّ النَّاظر إليها علىٰ قدرته ووحدانيَّته وبديع صنعه، فلا تعطّل عمَّا خلقت له.

وأمَّا السُّنَّة، فالحديث المشهور: «**النَّظَرُ إِلَىٰ الوَجْهِ المَلِيح عبَادَةٌ**»[١].

وفي الحديث الآخر: «**اطْلُبُوا الخَيرَ مِنْ حِسَانِ الوُجُوهِ**»[٢].

---

(١) أخرج الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد: (٣/ ٢٢٥ و٢٢٦)، وعلي القاري في الأسرار المرفوعة: (٤٣٦) و(٤٧١)، والفتني في التذكرة: (١٦٢)، وابن عراق في تنزيه الشريعة: (١/ ١٧٩ و٢٠١)، والسيوطي في اللآلىء المصنوعة: (١/ ٥٩)، وأورده الألباني في السلسلة الضعيفة: (١٣٢): «**النظر إلىٰ الوجه الحسن يجلو البصر**».

(٢) أخرجه أبو يعلى في المسند: (٤٧٥٩)، وأورده ابن عدي في الكامل في الموضوعات: (٣/ ١١٦٧). والسيوطي في الدرر المنتثرة ـ بتحقيقنا ـ طبعة دار الفكر ـ: (ص ٨٧) رقم: (٥٩).
وأخرج الهيثمي في مجمع الزوائد: (٨/ ١٩٤) وهو في مجمع الزوائد ـ طبعة دار الفكر ـ: (١٣٧٣٣)، =

وفي هٰذا إرشادٌ إِلىٰ تَصفُّح الوجوه وتأمُّلها.

وخطب رجلٌ امرأة فاستشار النَّبيَّ ﷺ في نكاحها، فقال:

«هَلْ نَظَرْتَ إِلَيها؟»

فقال: لا.

قال: «اذْهَبْ فَانْظُرْ إِلَيهَا»(١).

ولو كان النَّظر حراماً لما أَطلق له أَن ينظر فإِنَّه لا يأمن الفتنة.

وأَمَّا أَقوال الأَئمَّة، فحكىٰ السَّمعاني(٢) أَن الشَّافعيَّ رضي الله عنه كتب إِليه رجلٌ في رقعةٍ: [من الطويل]:

سَلِ المُفْتِيَ المَكِّيَّ هَلْ فِي تَزَاوُرٍ ... وَنَظْرَةِ مُشْتَاقِ الفُؤَادِ جُنَاحُ(٣)

= وأبو يعلى في المسند: (٤٧٥٩)، والذهبي في الميزان: (٣٤٢٧) و(٤٠٠٨) و(٥١٣٦) و(٧٨٧٩) و(٨٣٥٣) وابن حجر في اللسان: (٣/ ٥٨٧) و(٤/ ٤١٨) و(٥/ ٥٣٨)، والهندي في كنز العمال: (١٦٧٩٣). **«اطلبوا الخير عند (حسان) صباح الوجوه»**.

وقال الشاعر: [من الخفيف]:

أنتَ شرط النبيّ إذ قال يوماً ... اطلبوا الخير من حسان الوجوه

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه: [من الخفيف]:

قَدْ سَمِعْنَا نَبِيَّنَا قَالَ قَوْلاً ... هُوَ لِمَنْ يَطْلُبُ الحَوَائِجَ رَاحَةْ

اغْتَدُوا فَاطْلُبُوا الحَوَائِجَ مِمَّنْ ... زَيَّنَ اللهُ وَجْهَهُ بِصَبَاحَةْ

وقال الحسين بن عبد الرَّحمٰن [من الوافر]:

لَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ وَقَالَ حَقًّا ... وَخَيْرُ القَوْلِ مَا قَالَ الرَّسُولُ

إذا الحَاجَاتُ أَبْدَتْ فَاطْلُبُوهَا ... إِلَىٰ مَنْ وَجْهُهُ حَسَنٌ جَمِيلُ

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: (١٤٢٤)، والبيهقي في السنن الكبرى: (٧/ ٢٣٥ و٢٨٥)، وابن أبي شيبة في المصنف: (٤/ ٣٥٥)، والبيهقي في دلائل النبوة: (٦/ ١٥٤)، والتبريزي في المشكاة: (٣١٠٧)، والهيثمي في مجمع الزوائد: (٤/ ٢٨١)، وهو في مجمع الزوائد ـ طبعة دار الفكر ـ: (٧٤٨٦)، والبزار في المسند: (١٤٢٥).

(٢) **السمعاني**: هو عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السّمعاني المروزي، أبو سعد، مؤرّخ رحالة، من حفّاظ الحديث، ولد بمرو سنة ٥٠٦هـ الموافق ١١١٣هـ وتوفي فيها سنة ٥٦٢هـ الموافق ١١٦٧م.
انظر: طبقات السبكي: (٤/ ٢٥٩)، ومفتاح السعادة: (١/ ٢١١)، ووفيات الأعيان: (١/ ٣٠١)، والنجوم الزاهرة: (٥/ ٥٦٣)، وآداب اللغة: (٣/ ٢٨)، وتذكرة الحفاظ: (٤/ ١٠٧).

(٣) ورد البيت في ديوان الشافعي بتحقيقنا ـ من منشورات دار الفكر ـ صفحة (١٧٥) بهذا النص:

سل المفتي المكي هل في تزاور ... وضمةِ مشتاقِ الفؤاد جناح

فأجابه الشَّافعيُّ: [من الطويل]:

مَعَاذَ إلٰهِ العَرْشِ أنْ يُذْهِبَ التُّقَىٰ   تَلَاصُقُ أَكْبَادٍ بِهِنَّ جِرَاحُ[1]

وذكر الخرائطي[2] هٰذا السُّؤال والجواب عن عطاء بن أبي رباح[3]، وأوَّله سألت عطا المكّيّ. وذكر الحاكم في مناقب الشَّافعي رضي الله عنه من شعره:

يَقُولُونَ لاَ تَنْظُر وَتِلْكَ بَلِيَّةٌ   ألاَ كُلّ ذِي عَيْنَيْنِ لاَ بُدَّ نَاظِرُ

وَلَيْسَ اكْتِحَالُ العَيْنِ بالعَيْنِ رِيبَةٌ   إذا عَفَّ فِيمَا بَيْنَ ذَاكَ الضَّمَائِرُ

وذكر الأَسترابَاذي[4] في كتاب مناقب الشَّافعي أنّ رجلاً كتب إلىٰ سعيد بن المسيَّب:

يَا سَيِّدَ التَّابِعِينَ والبَرَرَهْ   نَسِيتُ فِي العِشْقِ سُورَةَ البَقَرَهْ

فَكُنْ بِفَتْوَاكَ مُشْفِقاً رَفِقاً   بَاهَىٰ بِكَ اللّٰهُ أَكْرَمَ البَرَرَهْ

---

(1) ورد البيت في المرجع السابق بهذا النص:
أَقولُ: معاذ الله أن يُذهبَ التقى   تلاصق أكبادٍ بهنَّ جراح
والأبيات مصدرها من كتاب: مناقب الشافعي للبيهقي: (٢/ ٩٤)، ومعجم الأدباء لياقوت: (١٧/ ٣٠٥)، وحلية الأولياء لأبي نعيم: (٩/ ١٥٠ ـ ١٥١).

(2) **الخرائطي**: هو محمد بن جعفر بن محمد بن سهل، أبو بكر الخرائطي السامري، فاضل، من حفاظ الحديث.
ولد الخرائطي في السامرة بفلسطين سنة ٢٤٠هـ الموافق ٨٥٤م، وتوفي في مدينة يافا سنة ٣٢٧هـ الموافق ٩٣٩م.
من كتبه: مكارم الأخلاق، ومساوىء الأخلاق، واعتلال القلوب في أخبار العشاق، وهواتف الجان وعجائب ما يحكى عن الكُهان، وفضيلة الشكر.
انظر: الرسالة المستطرفة: (٣٨)، وشذرات الذهب: (٢/ ٣٠٩).

(3) **عطاء بن أبي رباح**: هو عطاء بن أسلم بن صفوان، تابعي، من أجلاَّء الفقهاء، كان عبداً أسود.
ولد ابن أبي رباح في جند (باليمن) سنة ٢٧هـ الموافق ٦٤٧م، ونشأ بمكة فكان مفتي أهلها ومحدثهم، وتوفي فيها سنة ١١٤هـ الموافق ٧٣٢م.
انظر: تذكرة الحفاظ: (١/ ٩٢)، وصفة الصفوة: (٢/ ١١٩)، وميزان الاعتدال: (٢/ ١٩٧)، وحلية الأولياء: (٣/ ٣١٠)، وفوات الوفيات: (١/ ٣١٨)، وسير أعلام النبلاء ـ طبعة دار الفكر ـ: (٥/ ٥٥٢) الترجمة رقم: (٦٤٣)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ طبعة دار الفكر ـ: (١٣/ ٤٤) الترجمة رقم: (٤٥١٧).

(4) **الأسترابادي**: هو عبد اللّه بن محمد بن محمد بن عبد اللّه، أبو سعيد، حافظ للحديث، مؤرخ، أصله من أستراباذ (من أعمال طبرستان)، نزل بسمرقند، وتوفي فيها سنة ٤٠٥هـ الموافق ١٠١٤م.
انظر: الكامل لابن الأثير حوادث سنة ٤٠٥.

هَـلْ حَـرَّمَ الـلّـهُ لَـثْـمَ خَـدٍّ فَـتًـىٰ أَوْصَـافُـهُ بِـالـجَـمَـالِ مُـشْـتَـهِـرَهْ

فأجابه سعيد:

يَـا سَـائِـلـي عَـنْ خَـفـي لَـوَّعـتِـه عَـلَـيْـكَ بِـالـصَّـبْـرِ تـحـمـدن أَثَـرَهْ

وَلاَ تَـكُـنْ طَـالِـبـاً لِـفَـاحِـشَـةٍ أَوْ كَـالَّـذِي سَـاقَ سَـيْـلَـهُ مَـطَـرَهْ

وَرَاقِـبِ الـلّـهَ وَاخْـشَ سَـطْـوَتَـهُ وَخَـالِـفِ الـفَـاسِـقِـيـنَ والـفَـجَـرَهْ

وَقَـبِّـلِ الـخَـدَّ مَـنْ حَـبِـيـبِـكَ ذَا فِـي كُـلِّ يَـوْمٍ وَلَـيْـلَـةٍ عَـشَـرَهْ

وقال أبو العبّاس المبرّد[١] في الكامل: قال أعرابي أنشدنيه أبو العالية:

سَأَلْتُ الفَتَىٰ المَكِّيّ ذَا العِلْمِ الذي يـحـلُّ مِنَ الـتَّـقْـبِـيـلِ فـي رَمَـضَـانِ[٢]

فَـقَـالَ لِـيَ الـمَـكِّـيُّ أَمَّـا لِـزَوْجَـةٍ فَـسَـبْـعٍ وَأَمَّـا خِـلَّـة فَـثَـمَـانَ[٣]

وذكر أبو بكر الخطيب[٤] في كتاب رواه مالك عن بعضهم:

---

(١) أبو العباس المبرد: هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العبّاس، المعروف بالمبرِّد، إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار.
ولد المبرِّد بالبصرة سنة ٢١٠هـ الموافق ٨٢٦م وتوفي في بغداد سنة ٢٨٦هـ الموافق ٨٩٩.
من كتبه: الكامل، والمذكر والمؤنث، والمقتضب، والتعازي المراثي، وشرح لامية العرب، وإعراب القرآن، وطبقات النحاة البصريين، ونسب عدنان وقحطانْ، والمقرب.
انظر: بغية الوعاة: (١١٦)، ووفيات الأعيان: (١/ ٤٩٥)، وسمط اللآلي: (٣٤٠)، وتاريخ بغداد: (٣/ ٣٨٠)، ولسان الميزان: (٥/ ٤٣٠)، ونزهة الألباب: (٢٧٩)، وطبقات النحويين: (١٠٨ ـ ١٢٠).

(٢) أخرج أبو داود في سننه: (٢٣٨٤)، والربيع بن حبيب في المسند: (١/ ٢٦)، وابن عبد البر في التمهيد: (٥/ ١٢١ و١٢٢ و١٢٤): «عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يُقَبِّلني وهو صائمٌ وأنا صائمةٌ».

(٣) [خلة]: من الخليلة.

(٤) أبو بكر الخطيب: هو أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، أبو بكر، المعروف بالخطيب، أحد الحفاظ المؤرّخين المقدمين.
ولد أبو بكر الخطيب في غزية (منتصف الطريق بين الكوفة ومكة) سنة ٣٩٢هـ الموافق ١٠٠٢م، ونشأ في بغداد وتوفي فيها سنة ٤٦٣هـ الموافق ١٠٧٢م. ورحل إلى مكة، وسمع بالبصرة والدينور والكوفة وغيرها، وعاد إلى بغداد، فقرَّبه رئيس الرؤساء ابن مسلمة (وزير القائم العباسي) وعرف قدره، ثم حدثت شؤون خرج على أثرها مستتراً إلى الشام، فأقام مدةً في دمشق وصور وطرابلس وحلب، سنة ٤٦٢هـ، ولما مرض مرضه الأخير، وقف كتبه، وفرَّق جميع ماله في وجوه البر وعلى أهل العلم والحديث.
كان أبو بكر الخطيب فصيح اللهجة، عارفاً بالأدب، يقول الشّعر، ولوعاً بالمطالعة والتأليف، من كتبه: =

أَقُولُ لِمُفْتٍ بَيْنَ مَكَّةَ والصَّفَا ... لَكَ الخَيْرُ هَلْ فِي وَصْلِهِنَّ حَرَامُ

وَهَلْ في صُمُوتِ الحجلِ مَهْضُومَة الحَشَا ... عَذَاب الثَّنَايَا إن لَثَمْتُ أُثَامُ[١]

فَقَالَ لي المُفْتي وَسَالَتْ دُمُوعُهُ ... عَلَى الخَدِّ مِنْ عَيْنَيهِ فَهِيَ تؤامُ[٢]

ألاَ لَيْتَنِي قَبَّلْتُ تِلْكَ عَشِيَّةً ... بِبَطْنِ منَى والمُحْرِمونَ نِيَام[٣]

وقال الحاكم[٤] في كتاب مناقب الشّافعيّ:

حدَّثنا أبو العلاء بن كوشياد الحارثي[٥]: أنبانا عليّ بن سليمان الأخفش[٦]، عن

= تاريخ بغداد، والبخلاء، والكفاية في علم الرواية، والفوائد المنتخبة، والجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، وتقييد العلم، وشرف أصحاب الحديث، والتطفيل، والأسماء والألقاب، والأمالي، وتلخيص المتشابه في الرسم، والرحلة في طلب الحديث، والأسماء المبهمة، والفقيه والمتفقه، والسابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة الراوين عن شيخ واحد، وموضح أوهام الجمع والتفريق، واقتضاء العلم والعمل، والمتفق والمفترق.

انظر: معجم الأدباء: (١/ ٢٤٨)، وطبقات الشافعية: (٣/ ١٢)، والنجوم الزاهرة: (٥/ ٨٧)، ووفيات الأعيان: (١/ ٢٧)، وسير أعلام النبلاء ـ طبعة دار الفكر ـ: (١٣/ ٥٩٠) الترجمة رقم: (٤٢١٠).

(١) [صموت]: الصموت: الكثير الصمت: [الحجل]: الخلخال. [الحشا]: ما دون الحجاب مما في البطن كله من الكبد الطحال والكرش وغيرها، الجمع: أحشاء. [الثنايا]: من الأضراس: واحدة الأربع التي في مقدم الفم، ثنتان من فوق، وثنتان من أسفل.

(٢) [تؤام]: الأوام: حرارة العطش وشدته.

(٣) [منى]: بلدة قريبة من مكة وعرفات، فيها مرمى الجمار (الرجم) وقربها غار حراء.

(٤) **الحاكم**: هو محمد بن عبد الله بن حمدويه بن نعيم الضّبي الطّهماني النيسابوري، الشهير بالحاكم، ويُعرف بابن البيِّع، أبو عبد الله، من أكابر حفاظ الحديث والمصنفين فيه.

ولد الحاكم في نيسابور سنة ٣٢١هـ الموافق ٩٣٣م، وتوفي فيها سنة ٤٠٥هـ الموافق ١٠١٤م. ورحل إلى العراق سنة ٣٤١هـ، وحجّ، وجال في بلاد خراسان وما وراء النهر، وأخذ على نحو ألفي شيخ، وولي قضاء نيسابور سنة ٣٥٩هـ، ثم قلد قضاء جرجان، فامتنع، وكان ينفذ في الرسائل إلى ملوك بني بويه، فيحسن السفارة بينهم وبين السامانيين، وهو من أعلم الناس بصحيح الحديث وتمييزه عن سقيمه.

من كتبه: تاريخ نيسابور، والمستدرك على الصحيحين، والإكليل، والمدخل، وتراجم الشيوخ، والصحيح في الحديث، وفضائل الشافعي، وتسمية من أخرجهم البخاري ومسلم، ومعرفة أصول الحديث وعلومه وكتبه.

انظر: طبقات السبكي: (٣/ ٦٤)، وفوات الوفيات: (١/ ٤٨٤)، وتبيين كذب المفتري: (٢٢٧ ـ ٢٣١)، وميزان الاعتدال: (٣/ ٨٥)، ولسان الميزان: (٥/ ٢٣٢)، وتاريخ بغداد: (٥/ ٤٧٣).

(٥) **أبو العلاء بن كوشياد الحارثي**: روى عن علي بن سليمان الأخفش.

(٦) **علي بن سليمان الأخفش**: بن الفضل، أبو المحاسن، المعروف بالأخفش الأصغر، نحوي، من العلماء، =

محمَّد بن أَبي الجهم[١] قال: سمعت الرَّبيع[٢] يقول: حضرت الشَّافعي بمكَّة وقد دفع إليه رجلٌ رقعةً فيها:

أَقولُ لِمُفْتي خيف مَكَّةَ والصَّفَا ... لَكَ الخَيْرُ هَلْ فِي وَصْلِهِنَّ حَرَامُ
وَهَلْ في صموت الحَجل مَهْضومة الحَشَا ... عَذَاب الثَّنَايَا إن لَثَمْتُ أَثَامُ

قال فوقَّع الشَّافعي فيها:

فَقَالَ لِي المُفْتِي وَفَاضَتْ دُمُوعُهُ ... عَلَىٰ الخَدّ مِنْ عَين وهن تُؤام
أَلاَ لَيْتَنِي قَبَّلْتُ تِلْكَ عَشِيَّةً ... بِبَطْنِ مِنى والمُحْرِمُون قِيَامُ

وقال عمرو بن سفيان ابن ابنة جامع بن مرخية:

إِنَّا سَأَلْنَا مَالِكاً وَقَرِينَه ... لَيثُ بن سَعْدٍ عَن لِثَام الوَامِقِ[٣]
أَيَجُوزُ قَالاَ والَّذِي خَلَقَ الوَرَىٰ ... مَا حَرَّمَ الرَّحمنُ قُبْلَةَ عَاشِقِ

ذكر ذلك صاحب كتاب رستاق الاتّفاق وهو شاعر المريين[٤] وأنشد فيه لعمرو بن

= من أهل بغداد، أقام بمصر سنة ٢٨٧ ـ ٣٠٠هـ، وخرج إلى حلب، ثمّ عاد إلى بغداد، وتوفي بها، سنة ٣١٥هـ الموافق ٩٢٧م، وهو ابن ٨٠ سنة.

من تصانيفه: شرح سيبويه، والأنواء، والمهذب.

انظر: بغية الوعاة: (٣٣٨)، ووفيات الأعيان: (١/ ٣٣٢)، وإنباه الرواة: (٢/ ٢٧٦).

(١) **محمد بن أبي الجهم**: روى عن الربيع بن سليمان.

(٢) **الربيع**: هو الربيع بن سليمان بن عطاء الله، أبو سليمان القطّان، يرفع نسبه إلى قريش، زاهد، من الكتّاب، العلماء بالتفسير والحديث والوثائق، من أهل القيروان، كان له حانوت يبيع فيه القطن، ويأتي إليه الناس يسألونه في بعض العلوم، وحج سنة ٣٢٤هـ، فلما عاد انصرف إلى علم الباطن والنُسك والعبادة، فكانت له حَلقة في جامع القيروان يجتمع إليه فيها أهل طريقته.

ولد الربيع سنة ٢٨٨هـ الموافق ٩٠١م.

قال القاضي عياض: شعره كثير، وخطبه ورسائله كثيرةٌ معقّدة مشطحة على طرائق كلام الصوفيّة ورموزهم، ثم كان ممن خرج لنصرة مخلد بن كيداد على العبيديين فقتل شهيداً في حصار المهدية سنة ٣٣٣هـ الموافق ٩٤٥م.

انظر: الأعلام للزركلي: (٣/ ١٥).

(٣) **[الوامق]**: ومقه [يمقه] ومقاً ومِقَةً: أَحبّه، فهو وامقٌ، وذاك مومُوقٌ ووميقٌ، والمقة: المحبّة.

(٤) **المريون**: وبنو مرين: سلالة بربرية حكمت مراكش من سنة ١١٩٥ ـ ١٤٦٨، شادوا دولتهم على أنقاض دولة الموحّدين فاحتلوا مراكش، وغزوا الأندلس، ازدهر البلاط الفاسي في عهدهم ولمع ابن خلدون وابن الخطيب وابن بطوطة.

سفيان هٰذا وكتب بها إِلى ابن عيينة[(١)]:

قُـلْـنَـا لِـسُـفْـيَـان الـهِـلاَلِـي مَـرَّةً: أَيُـحْـرَمُ ضَـمُّ الـعَـاشِـقِ الـمُـشْـتَـاقُ
لِـحَـبِـيـبِـهِ مِـنْ بَـعْـدِ نَـأْيِ نَـالَـهُ فَـأَجَـابَ: لاَ وَالـوَاحِـدِ الـخَـلاَّقُ

وأَنشد فيه لحده جامع، وكتب بها إِلىٰ علي بن زيد بن جدعان[(٢)]:

سأَلْنَا ابنَ جَدْعَانَ بن عمر وأَخَا العُلا أَيحرمُ لَثْم الحبِّ فِي لَيْلَةِ القَدْرِ
فَقَالَ لَنَا المَكِّيُ وَنَاهِيكَ عِلْمُهُ: أَلاَ لاَ وَمَنْ قَدْ جَاءَ بِالشَّفْعِ والوَتْرِ

وأَنشد لإِبراهيم وكتب بها إِلىٰ أَبي بكر بن عيَّاش[(٣)] أَحد أَئمة القراء:

---

(١) **ابن عيينة**: هو سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي، أبو محمد، محدّث الحرم المكي، من الموالي.
ولد سفيان بن عيينة بالكوفة سنة ١٠٧هـ الموافق ٧٢٥م، وسكن مكة وتوفي بها سنة ١٩٨هـ الموافق ٨١٤م، وكان حافظاً ثقة، واسع العلم، كبير القدر.
قال الشافعي: لولا مالك وسفيان لذهب علم الحجاز.
كان سفيان بن عيينة أعور، وحجّ سبعين حجّة.
قال علي بن حرب: كنتُ أُحبُّ أَنَّ لي جاريةً في غنج ابن عيينة إذا حدّث.
ولسفيان بن عيينة كتاب الجامع في الحديث، وكتابٌ في التفسير.
انظر: سير أعلام النبلاء ـ طبعة دار الفكر ـ: (٧/٦٥٣) الترجمة رقم: (١٢٩٢)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ طبعة دار الفكر أيضاً ـ: (٧/٣٦٨) الترجمة رقم: (٢٣٩٥)، والجواهر المضية: (١/٢٥٠)، وطبقات ابن سعد: (٦/٢٥٧)، والمعارف: (٢١٧)، وحلية الأولياء: (٦/٣٥٦) و(٧/٣)، وذيل المذيل: (١٠٥)، وتاريخ بغداد: (٩/١٥١)، وصيد الخاطر: (١٧٥).

(٢) **علي بن زيد بن جدعان**: هو علي بن زيد بن أبي مليكة زهير بن عبد الله بن جدعان، أبو الحسن، القرشي التيمي، فقيهٌ ضريرٌ، من حفّاظ الحديث الأئمّة، وليس بالثقة القوي، من أهل البصرة.
قال الإمام الذهبي: أحد أوعية العلم في زمانه.
توفي ابن جدعان سنة ١٢٩هـ الموافق ٧٤٧م.
انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ طبعة دار الفكر ـ: (١٣/٢١٩) الترجمة رقم: (٤٦٥٤)، وسير أعلام النبلاء ـ طبعة دار الفكر أيضاً ـ: (٦/٤٢) الترجمة رقم: (٦٩٦)، وتاريخ الإسلام للذهبي: (٥/٢٨٣).

(٣) **أبو بكر بن عيّاش**: هو الحسين بن أحمد بن عيّاش، فقيه إمامي، من أهل حلب، له كتاب الأنواع والأسجاع، وكتاب الإمامة. توفي سنة ٥٠٨هـ الموافق ١١١٤م.
انظر: لسان الميزان: (٢/٢٦٦).

سَأَلْتُ ابنَ عَيَّاشٍ وَكَانَ مُعَلِّماً: لَكَ الخَيْرِ في ضَمَّةِ الحُبِّ مِنْ وِزْرِ[1]
فَقَالَ أَبو بَكْرٍ وَلاَ في لِثَامِهِ ألم يأتِنَا التَّنزِيلُ بالوَضْعِ للإِصْرِ[2]

وأَنشد لآخر: وكتب بها إِلىٰ الإِمام أحمد بن حنبل قال: وزعم بعضهم أنه إِسحاق بن معاذ بن زهير شاعر أهل مصر في وقته:

سَأَلْتُ إِمام النَّاسِ نَجلُ ابن حَنْبَلٍ عَن الضَّمِّ وَالتَّقْبِيلِ هَلْ فِيهِ مِنْ بَاسِ
فَقَالَ إِذا جَلَّ العَزَاءُ فَوَاجِبٌ لِأَنَّكَ قَد أَحْيَيْتَ عَبْداً من النَّاسِ

وأَنشد لابن مرخية، وكتب بها إِلىٰ أبي حنيفة[3]:

كَتَبْتُ إِلىٰ النُّعمَانِ يَوْماً رِسَالَةً نُسَائِلُهُ عَنْ لَثْمِ حبٍّ ممنعِ
فَقَالَ لَنَا لاَ إِثْم فِيهِ وَإِنَّهُ شَهِيٌّ إِذَا كَانَتْ لِعَشْرٍ وَأَربَعِ

---

(١) [وزر]: الإثم والذّنب، الجمع: أوزار.

(٢) [للإصر]: الإصر: العهد الثقيل المؤكد والثقل. قال تعالى في سورة البقرة، الآية: (٢٨٦): ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا﴾ أي: الذّنب.

(٣) أبو حنيفة: هو النعمان بن ثابت التيمي بالولاء الكوفي، أبو حنيفة، إمام الحنفية، الفقيه المجتهد المحقق، أحد الأئمة الأربعة عند أهل السُّنَّة. قيل: أصله من أبناء فارس.

ولد أبو حنيفة بالكوفة سنة ٨٠ هـ الموافق ٦٩٩م ونشأ فيها، وكان يبيع الخزّ، ويطلب العلم في صباه ثم انقطع للتدريس والإفتاء، وأراده عمر بن هبيرة (أمير العراقين) على القضاء فامتنع ورعاً، وأراده المنصور العباسي بعد ذلك على القضاء ببغداد فأبى، فحلف عليه ليفعلن، فحلف أبو حنيفة أنه لا يفعل، فحبسه إلى أن مات سنة ١٥٠هـ الموافق ٧٦٧م.

كان أبو حنيفة رضي الله عنه قويُّ الحجّة، من أحسن النّاس منطقاً.

قال الإمام مالك يصفه: رأيت رجلاً لو كلمته في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته.

وكان أبو حنيفة كريماً في أخلاقه، جواداً، حسن المنطق والصُّورة، جهوريّ الصّوت، إذا حدَّث انطلق في القول، وكان لكلامه دويّ.

وقال الإمام الشافعي: النّاس عيالٌ في الفقه على أبي حنيفة.

له: المسند في الحديث، والمخارج في الفقه، والفقه الأكبر.

انظر: سير أعلام النبلاء ـ طبعة دار الفكر ـ: (٦/ ٤٢٩)، الترجمة رقم: (٩٩٤)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ طبعة دار الفكر أيضاً ـ: (١٩/ ١٠٢) الترجمة رقم: (٧٠٣٣)، وتاريخ بغداد: (١٣/ ٣٢٣ ـ ٤٢٣)، والنجوم الزاهرة: (٢/ ١٢)، والجواهر المضية: (١/ ٢٦)، ونزهة الجليس: (٢/ ١٧٦)، وذيل المذيل: (١٠٢)، وتاريخ الخميس: (٢/ ٣٢٦)، والانتقاء: (١٢٢ ـ ١٧١)، ومفتاح السعادة: (٢/ ٦٣ ـ ٨٣)، ومطالع البدور: (١/ ١٥)، ومرآن الجنان: (١/ ٣٠٩ ـ ٣١٢).

وكتب رجلٌ إلىٰ أبي جعفر الطَّحاوي(١):

أَبَا جَعْفَر مَاذَا تَقُولُ فَإِنَّه إِذَا نَابَنَا خَطْبٌ عَلَيْكَ المعوَّلُ
فَلَا تُنكرن قَولي وَأَبْشِرْ بِرَحْمَةِ الـ إِلٰهِ عَنِ الأَمْرِ الَّذي عَنْه نُسأَلُ
أَبِالحُبِّ عَارٌ أَمْ مِنَ الحُبِّ مَهْرَبٌ وَهَلْ من لَحا أَهْلِ الصَّبَابَةِ يُجْهَل
وَهَلْ بِمُبَاحٍ فيهِ قَتلُ مُتَيَّمٍ يُهَاجِرُه أَحْبَابُهُ وَهُوَ يُوصَلُ
فَرَأْيُك فِي رَدِّ الجَوابِ فَإِنَّني بِمَا فِيه تَقْضِي أَيّها الشَّيْخُ أَفْعَلُ

فأجابه الطَّحاويُّ:

سَأَقْضِي قَضاءً في الَّذي عَنْهُ تَسْأَلُ وَأَحْكُمُ بَيْنَ العَاشِقِينَ فَأَعْدِلُ
فَديتُكَ مَا بالحُبِّ عَارٌ عَلِمْتُهُ وَلِلْعَارِ تَرْك الحُبِّ إِنْ كُنْتَ تَعقِلُ
وَمَهْمَا لَحَا فِي الحُبِّ لَاحٍ فإنَّهُ لعمْرِكَ عِنْدي منْ ذَوي الجَهْلِ أَجْهَلُ
وَلَيْسَ مُبَاحاً عِنْدَنَا قَتلُ مُسْلِم بَلا ترةٍ بَلْ قَاتِلُ النَّفْسِ يُقتَلُ
وَلٰكِنَّهُ إِنْ مَاتَ فِي الحُبِّ لَمْ يَكُنْ لَهُ قَوَدٌ فِيهِ وَلاَ عَنْهُ يعقَلُ
وِصَالُكَ مَنْ تَهْوَىٰ وَإِنْ صَدَّ وَاجِبٌ عَلَيْكَ كَذَا حُكْمُ المُتَيَّمِ يفعلُ
فَهٰذَا جَوَابٌ فِيهِ عِنْدِي قَنَاعَةٌ لِمَا جِئْتَ عَنْهُ أَيُّها الصَّبّ تَسأَلُ

ويكفي أنَّ المعتزلة(٢) من أشدِّ النَّاس تعظيماً للذُّنوب، وهم يخلِّدون أصحاب الكبائر

---

(١) أبو جعفر الطحاوي: هو أحمد بن محمد بن سلامة بن سلمة الأزدي الطحاوي، أبو جعفر، فقيهٌ انتهت إليه رياسة الحنفيّة بمصر.
ولد الإمام الطحاوي في طحا سنة ٢٣٩هـ الموافق ٨٥٣ م، ونشأ فيها، وتفقّه على مذهب الشافعي، ثمّ تحوَّل حنفيّاً، ورحل إلى الشام سنة ٢٦٨هـ، فاتّصل بأحمد بن طولون، فكان من خاصّته، وتوفي بالقاهرة سنة ٣٢١ هـ الموافق ٩٣٣م.
من تصانيفه: شرح معاني الآثار في الحديث، وبيان السُّنَّة، والشفعة، والمحاضر والسّجلاّت، ومشكل الآثار، وأحكام القرآن، والمختصر، والاختلاف بين الفقهاء.
انظر: خطط مبارك: (١٣/ ٣٠)، والجواهر المضية: (١/ ١٠٢)، ولسان الميزان: (١/ ٢٧٤)، واللباب: (٢/ ٨٢).

(٢) المعتزلة: فرقةٌ من المتكلّمين، تؤمن بالعقل، وتحاول التوفيق بينه وبين النّقل. وتلجأ إلى التأويل ما وسعها، وفي هذا ما باعد بينها وبين السَّلف، وأهل السُّنَّة، أسسها واصل بن عطاء الذي اعتزل بأصحابه حلقة الحسن البصري، ومن أكابر رجالها إبراهيم النَّظّام، وأبو هُذيل، الواحد: مُعتزليٌّ.

ولا يرون تحريم ذٰلك، كما ذكره الحافظ أبو القاسم ابن عساكر[١] في تاريخه المشهور[٢] لبعض المعتزلة:

سَأَلْنَا أَبَا عُثْمَان عمراً وَوَاصِلاً عَنِ الضَّمِّ وَالتَّقْبِيلِ لِلْخدِّ وَالجِيدِ
فَقَالاَ جَمِيعاً وَالذي هُوَ عَادِلٌ يَجُوزُ بِلاَ إِثْمٍ فَدَعْ قَوْلَ تَفْنِيدِ

وقال إسحاق بن شبيب:

سَأَلْنَا شُيوخَ الوَاسِطِينَ كُلَّهُم عَنِ الرَّشْفِ والتَّقْبِيل هَلْ فِيهمَا إِثْمُ
فَقَالوا جَمِيعاً لَيْسَ إِثْماً لِزَوْجَةٍ وَلاَ خِلَّةٍ وَالضَّمُّ مِنْ هٰذِهِ غنمُ

وأنشد أبو الحسن عليّ بن إبراهيم بن محمّد بن سعد الخير[٣] في كتابه شرح الكامل:

فَلَمّا أَنْ أُبِيحَ لَنَا التَّلاقي تَعَانَقْنَا كَمَا اعْتَنَقَ الصَّدِيقُ
وَهَلْ حَرَجاً تَرَاهُ أَو حَرَاماً مشوقٌ ضَمَّهُ صَبٌّ مُشَوَّقُ

---

(١) **أبو القاسم ابن عساكر:** هو علي بن الحسن بن هبة الله، أبو القاسم، ثقة الدين ابن عساكر الدمشقي، المؤرّخ الحافظ الرّحّالة، كان محدِّث الدِّيار الشامية، ورفيق السمعاني (صاحب الأنساب) في رحلاته. ولد ابن عساكر في مدينة دمشق سنة ٤٩٩هـ الموافق ١١٠٥م، وتوفي فيها سنة ٥٧١هـ الموافق ١١٧٦م. له: تاريخ دمشق الكبير، والأشراف على معرفة الأطراف في الحديث، وتبيين كذب المفتري في ما نسب إلى أبي الحسن الأشعري، وكشف المغطى في فضل الموطأ، وتبيين الامتنان في الأمر بالاختتان، وأربعون حديثاً من أربعين شيخاً من أربعين مدينة، وتاريخ المزة، ومعجم الصحابة، ومعجم النسوان، وتهذيب الملتمس من عوالي مالك بن أنس، ومعجم أسماء القرى والأمصار، ومعجم الشيوخ والنبلاء. انظر: طبقات الشافعية: (٤/ ٢٧٣)، ومرآة الزمان: (٨/ ٣٣٦)، ومفتاح السعادة: (١/ ٢١٦) و(٢/ ٢١١)، ووفيات الأعيان: (١/ ٣٣٥).

(٢) **تاريخه المشهور:** وهو تاريخ دمشق الكبير ويعرف بتاريخ ابن عساكر، وقد اختصره الشيخ عبد القادر بدران بحذف الأسانيد المكررة، وسمّىٰ المختصر (تهذيب تاريخ ابن عساكر) في سبعة أجزاء، ولا تزال بقية التهذيب مخطوطة، وباشر المجمع العلمي العربي بدمشق بنشر الأصل فطبع منه المجلد الأول ونصف الثاني. وقامت مؤخراً دار الفكر في بيروت آخذة على عاتقها إحياء هذا العمل، فكلفت لجنة من المحققين لتحقيقه، وتمّ طبعه في سبعين مجلد، طباعة أنيقة وبتجليد فاخر، وهو الآن في المكتبات.

(٣) **أبو الحسن علي بن إبراهيم بن محمد بن سعد الخير:** هو علي بن إبراهيم بن محمد بن عيسى بن سعد الخير الأنصاري، أبو الحسن، أديب، له شعرٌ حسنٌ، من أهل بلنسية. ولد أبو الحسن في بلنسية سنة ٥١٠هـ الموافق ١١١٦م وأصله من قشتيلة، وتوفي بإشبيلية سنة ٥٧١هـ الموافق ١١٧٥م، قادماً في سفارة. قال ابن الأبار: كانت فيه غفلة. ولأبي الحسن رسائل وتآليف منها: جذوة البيان وجريدة العقيان، والقرط على الكامل، والحلل في شرح الجمل، ومختصر العقد، ومشاهير الموشحين بالأندلس. انظر: زاد المسافر: (١٠٣)، وفوات الوفيات: (٢/ ٣٨).

وقال الخطيب في تاريخ بغداد: حدّثنا أبو الحسن عليّ بن أيوب بن الحسن إملاءً: حدَّثنا أَبو عبيد اللّه[١] المرزباني[٢] وابن حيويه[٣] وابن شاذان[٤] قالوا: حدّثنا أَبو عبد اللّه إِبراهيم بن محمّد بن عرفة نفطويه[٥] بقرطبة[٦] قال:

---

(١) في الأصل (عبد اللّه): والتصحيح من سير أعلام النبلاء ـ طبعة الدار ـ: (١٢/ ٤٨٢).

(٢) **أبو عبيد اللّه المرزباني**: هو محمد بن عمران بن موسى، أبو عبيد اللّه المرزباني، إخباري مؤرّخ، أديب، أصله من خراسان. ولد المرزباني في بغداد سنة ٢٩٧هـ الموافق ٩١٠م، وتوفي فيها سنة ٣٨٤هـ الموافق ٩٩٤م. كان مذهب المرزباني الاعتزال، وله كتبٌ عجيبة، أتى على وصفها ابن النديم منها: المفيد في الشعر والشعراء ومذاهبهم، والأزمنة في الفصول الأربعة والغيوم والبروق وأيام العرب والعجم، والموفق في تاريخ الشعراء، ومعجم الشعراء، والموشح، وأخبار البرامكة، وشعر حاتم الطائي، وأخبار السّيد الحميري، وأخبار المعتزلة، والمستنير، والرياض في أخبار العشاق، والرائق في الغناء والمغنين، وأخبار أبي مسلم الخراساني، وأخبار شعبة بن الحجاج، وأخبار ملوك كندة، وأخبار أبي تمام، والمراثي، وتلقيح العقول، والشعر، وأشعار الخلفاء، وديوان يزيد بن معاوية الأموي، وأشعار النساء. قالوا: كان المرزباني جاحظ زمانه. وقال الأزهري: كان المرزباني يضع المحبرة وقنينة النبيذ. يكتب ويشرب، وكان عضد الدولة يتغالى فيه ويمرُّ بداره فيقف حتى يخرج إليه، وأعطاه مرة ألف دينار. انظر: سير أعلام النبلاء ـ طبعة دار الفكر ـ: (١٢/ ٤٨٢) الترجمة رقم: (٣٥٢٩)، والفهرست لابن النديم: (١/ ١٣٢)، وفوات الوفيات: (١/ ٥٠٧)، وميزان الاعتدال: (٣/ ١١٤)، ولسان الميزان: (٥/ ٣٢٦)، وتاريخ بغداد: (٣/ ١٣٥)، والعبر للذهبي: (٣/ ٢٧).

(٣) **ابن حيوية**: هو محمد بن عبد اللّه بن زكريا بن حيوية، أبو الحسن النيسابوري ثم المصري، قاض، من رجال الحديث الثقات، له رسالة في من وافقت كنيته كنية زوجه من الصحابة، عاش نحو تسعين عاماً، وتوفي سنة ٣٦٦هـ الموافق ٩٧٧م. انظر: شذرات الذهب: (٣/ ٥٧).

(٤) **ابن شاذان**: هو أحمد بن إبراهيم بن الحسن بن شاذان، أبو بكر البزاز، محدّث بغداد في عصره. ولد ابن شاذان في بغداد سنة ٢٩٨هـ الموافق ٩١٠م، وتوفي فيها سنة ٢٨٣هـ الموافق ٩٩٣م. وأصله من دورق (من أعمال الأهواز)، وكان يتجر بالبزّ إلى مصر وغيرها وله مسلسلات في الحديث. انظر: شذرات الذهب: (٣/ ١٠٤)، وتاريخ بغداد: (٤/ ١٨).

(٥) **أبو عبد اللّه إبراهيم بن محمد بن عرفة نفطويه**: الأزدي العتكي، من أحفاد المهلب بن أبي صفرة، إمامٌ في النحو، وكان فقيهاً، رأساً في مذهب داود، مسنداً في الحديث ثقة. قال ابن حجر: جالس الملوك والوزراء، وأتقن حفظ السيرة ووفيات العلماء، مع المروءة والفتوّة والظرف. ولد نفطويه في واسط (بين البصرة والكوفة) سنة ٢٤٤هـ الموافق ٨٥٨م، وتوفي ببغداد سنة ٣٢٣هـ الموافق ٩٣٥م، وكان على جلالة قدره تغلب عليه سذاجة الملبس، فلا يعنى بإصلاح نفسه، وكان دميم الخلقة، يؤيد مذهب (سيبويه) في النحو، فلقّبوه (نفطويه)، ونظم الشعر ولم يكن بشاعر، وإنما كان من تمام أدب الأديب في عصره أن يقول الشعر. سمّى له ابن النديم وياقوت عدة كتب منها: كتاب التاريخ، وغريب القرآن، وكتاب الوزراء، وأمثال القرآن. انظر: سير أعلام النبلاء ـ طبعة دار الفكر: (١١/ ٥٣٤) الترجمة رقم: (٢٨٨٩)، ووفيات الأعيان: (١/ ١١)، ونزهة الألباب: (٣٢٦)، وتاريخ بغداد: (٦/ ١٥٩)، وإنباه الرواة: (١/ ١٧٦).

(٦) **قرطبة**: مدينة في أسبانيا (الأندلس) على الوادي الكبير، أسسها الفينيقيون ثم احتلها الرومان، وفتحها العرب وأصبحت عاصمة الدولة الأموية في الأندلس.

دخلتُ علىٰ محمّد بن داود الأصبهاني[١] في مرضه الذي مات فيه فقلت له:
كيف تجدك؟.

قال: حبُّ من تعلم أورثني ما ترىٰ.

فقلت له: ما منعك عن الاستمتاع به مع القدرة عليه؟.

قال: الاستمتاع علىٰ وجهين:

أَحدهما: النَّظر المباح. والثَّاني: اللَّذَّة المحظورة.

فأَما النَّظر المباح فأَورثني ما ترىٰ، وذكر القصَّة، وسيأْتي في باب عفاف العشَّاق. والمقصود أَنَّه لم ير النَّظر إِلىٰ معشوقه ولا عشيقه حراماً.

وجرى علىٰ هٰذا المذهب أَبو محمد بن حزم[٢] في كتاب طوق الحمامة له.

قالوا: ونحن نحاكمكم إِلى واحدٍ يعدُّ بآلاف مؤلفة، وهو شيخ الإِسلام ابن تيمية[٣] فإِنّه سُئل:

---

(١) محمد بن داود الأصبهاني: الأندلسي، روى عنه نفطويه.

(٢) أبو محمد بن حزم: هو علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري، أبو محمد، عالم الأندلس في عصره، وأحد أئمة الإسلام، كان في الأندلس خلقٌ كثيرٌ ينتسبون إلى مذهبه يقال لهم (الحزميّة). ولد ابن حزم في قرطبة سنة ٣٨٤هـ الموافق ٩٩٤م، وكانت له ولأبيه من قبله رياسة الوزارة وتدبير المملكة، فزهد بها وانصرف إلى العلم والتأليف، فكان من صدور الباحثين فقيهاً حافظاً يستنبط الأحكام من الكتاب والسُّنَّة بعيداً عن المصانعة، وانتقد كثيراً من العلماء والأدباء والفقهاء، فتمالاؤا على بغضه، وأجمعوا على تضليله، وحذَّروا سلاطينهم من فتنته، ونهوا عوامهم عن الدنو منه، فأقصته الملوك وطاردته، فرحل إلى بادية لَبْلة (من بلاد الأندلس) فتوفي فيها سنة ٤٥٦هـ الموافق ١٠٦٤م. رووا عن ابنه الفضل أنه اجتمع عنده بخط أبيه من تآليفه نحو ٤٠٠ مجلد تشتمل على قريب من ثمانين ألف ورقة. وكان يقال: لسان ابن حزم وسيف الحجّاج شقيقان. أشهر مصنفاته: الفصل في الملل والنحل والأهواء، والمحل، وجمهرة الأنساب، والناسخ والمنسوخ، وحجة الوداع، وديوان شعر، وجوامع السيرة، والتقريب لحدّ المنطق والمدخل إليه، ومراتب العلوم، والإعراب، وملخّص إبطال النياس، وفضائل الأندلس، وطوق الحمامة، وأمهات الخلفاء، ورسائل ابن حزم، والإحكام لأصول الأحكام، والمفاضلة بين الصحابة، وإبطال القياس والرأي، ومداواة النفوس. انظر: سير أعلام النبلاء ـ طبعة دار الفكر ـ: (١٣/ ٥٤٠) الترجمة رقم: (٤١٧٢)، ونفح الطيب: (١/ ٣٦٤)، وآداب اللغة: (٣/ ٩٦)، وأخبار الحكماء: (١٥٦)، وإرشاد الأديب: (٥/ ٨٦ ـ ٩٧)، ولسان الميزان: (٤/ ١٩٨)، وبغية الملتمس: (٤٠٣)، واللباب: (١/ ٢٩٧)، وجذوة المقتبس: (٢٩٠).

(٣) رحم الله الإمام الشّيخ ابن تيمية، فقد كان حجَّة عصره والمرجع الأساس للعلماء قاطبة. انظر ترجمته في أول الكتاب.

ما تقول السَّادة الفقهاء رضي الله عنهم في رجلٍ عاشقٍ في صورةٍ وهي مصرَّةٌ علىٰ هجره منذ زمنٍ طويلٍ لا تزيده إلا بُعداً، ولا يزداد لها إلاَّ حُبّاً، وعشقه لهٰذه الصّورة من غير فسقٍ ولا خنى[1]، ولا هو ممَّن يُدَنِّس عشقه بزنىٰ، وقد أفضى به الحال إلىٰ الهلاك لا محالة، إن بقي مع محبوبه علىٰ هذه الحالة، فهل يحلُّ لمن هٰذه حاله أن يهجر؟ وهل يجب وصاله علىٰ المحبوب المذكور؟ وهل يأثم ببقائه علىٰ هجره؟ وما يجب من تفاصيل أمرهما؟ وما لكلِّ واحدٍ منهما علىٰ الآخر من الحقوق ممَّا يوافق الشَّرع الشَّريف؟.

فأَجاب بخطه بجواب طويل قال في أثنائه: فالعاشق له ثلاث مقامات: ابتداءٌ، وتوسُّط، ونهايةٌ.

أَمَّا ابتداؤه فواجبٌ عليه فيه كتمان ذٰلك وعدم إفشائه للخلق، مراعياً في ذٰلك شرائط الفتوَّة من العفَّة مع القدرة، فإن زاد به الحال إلىٰ المقام الأَوسط فلا بأْس بإعلام محبوبه بمحبَّته إياه، فيخف بإعلامه وشكواه إليه ما يجد منه، ويحذر من اطلاع النَّاس علىٰ ذٰلك، فإن زاد به الأَمر حتَّىٰ خرج عن الحدود والضَّوابط التحق بالمجانين والموسوسين[2].

فانقسم العشاق قسمين:

قسمٌ: قنعوا بالنَّظرة بعد النَّظرة، فمنهم من يموت وهو كذٰلك ولا يظهر سرَّه لأَحد، حتىٰ محبوبه لا يدري به، وقد روي عن النَّبيّ ﷺ: «**مَنْ عَشِقَ فَعَفَّ فَكَتَمَ فَمَاتَ فَهُوَ شَهِيدٌ**»[3].

والقسم الثاني: أَباحوا لمن وصل إلىٰ حدٍّ يخاف علىٰ نفسه منه القبلة في الحين، قالوا لأَنَّ تركها قد يُؤدِّي إلىٰ هلاك النَّفس، والقبلة صغيرة وهلاك النَّفس كبيرة. وإذا وقع الإنسان في مرضين داوىٰ الأَخطر ولا خطر أَعظم من قتل النَّفس حتَّىٰ أَوجبوا علىٰ المحبوب مطاوعته علىٰ ذٰلك إذا علم أَنَّ ترك ذٰلك يُؤدِّي إلىٰ هلاكه، واحتجُّوا بقول الله تعالىٰ: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١].

وبقوله تعالىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ [النجم: ٣٢].

---

(١) الخنى: الفسق في الكلام.

(٢) الموسوسون: وسوس الرجل: تكلّم بكلام خفيٍّ مختلط لم يبينه.

(٣) أخرجه الزبيدي في إتحاف السادة المتقين: (٧/ ٤٤٠)، والهندي في كنز العمال: (١١٢٠٣)، والعجلوني في كشف الخفاء: (٢/ ٣٦٣ و٣٦٤)، والعراقي في المغني عن حمل الأسفار: (٣/ ١٠١)، وابن حجر في تلخيص الحبير: (٢/ ١٤٢). وورد الحديث بألفاظ مختلفة طفيفاً.

وبحديث الذي قال: يا رسول الله إنِّي لقيتُ امرأةً أجنبيَّةً فأصبتُ منها كلَّ شيءٍ إلاَّ النِّكاح.

قال: «أَصَلَّيتَ مَعَنا»؟.

قال: نعم.

قال: «إنَّ اللّه قَدْ غَفَرَ لَكَ»[(١)].

فأنزل الله تعالىٰ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤].

ثمَّ قال: فإن كان هٰذا السَّائل كما زعم ممَّن لا يدنِّس عشقه بزنىٰ، ولا يصحبه بخنى فينظر في حاله، فإن كان من الطَّبقة الأولىٰ فالنَّظر كافٍ لهم إن صدقت دعواهم، وإن كان من الطَّبقة الثَّانية فلا بأس بشكواه إلىٰ محبوبه كي يرق عليه ويرحمه، وإن غلب عليه الحال فالتحق بالثَّالثة أُبيح له ما ذكرنا بشرط ألاَ يكون إنموذجاً لفعل القبيح المحرَّم، فيلتحق بالكبائر ويستحقُّ القتل عند ذٰلك ويزول عنه العذر ويحقُّ عليه كلمة العذاب. انتهىٰ ما ذكرناه من جوابه.

قالوا: وقد جوَّزت طائفةٌ من فقهاء السَّلف والخلف والعلماء استمناء الإنسان بيدِه إذا خاف الزنىٰ[(٢)]، وقد جوَّزت طائفةٌ من الفقهاء لمن خاف علىٰ نفسه في الصَّوم الواجب من شدَّة الشَّبق[(٣)] أن تتشقق أُنثياه[(٤)] أَن يجامع امرأته، وبنوا علىٰ ذٰلك فرعاً وهو إذا كان له امرأتان حائضٌ وصائمةٌ فهل يطأ هٰذه أو هٰذه علىٰ وجهين ولا ريب أَنَّ النَّظر والقبلة والضَّمّ إذا تضمَّن شفاءه من دائه كان أَسهل من الاستمناء باليد والوطء في نهار رمضان. ولا ريب أَنَّ الشَّريعة جاءت بالتزام الدُّخول في أَدنى المفسدتين دفعاً لأَعلاهما، وتفويت أَدنى المصلحتين تحصيلاً لأَعلاهما، فأَين مفسدة النَّظر والقبلة والضَّمّ من مفسدة المرض والجنون أَو الهلاك جملة؟.

فهٰذا ما احتجَّت به هٰذه الفرقة ونحن نذكر ما لها وما عليها في ذٰلك بحول الله وقوَّته وعونه.

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك: (٤/ ٢٥٣)، والطبراني في المعجم الكبير: (١٢/ ٣١٣).

(٢) أخرج العجلوني في كشف الخفاء: (١/ ٤٤٩): «**ناكحُ اليد ملعون**».

(٣) **الشبق**: شدّة الشهوة.

(٤) **أنثياه**: الأنثيان: الخصيتان.

الباب الثالث

في الجواب عمَّا احتجّت به هـذه الطّائفة
وما لها وما عليها في هـذا الاحتجاج

في الجواب عمّا احتجت به الطائفة وما لها وما عليها

وشبَهُهم التي ذكروها دائرة بين ثلاثة أَقسام:

أَحدها: نقول صحيحة لا حجَّة لهم فيها.

الثاني: نقول: كاذبة عمَّن نسبت إليه من وضع الفسَّاق(١) والفجّار(٢) كما سنبيِّنه.

الثالث: نقول مجمله محتملة لخلاف ما ذهبوا إليه.

فأَمَّا احتجاجهم بقوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الأعراف: ١٨٥] فهو نظير احتجاجهم بعينه علىٰ إباحة السماع الشَّيطاني الفسقي بقوله تعالىٰ: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ﴾ [الزمر: ١٧ و١٨].

قالوا: والقول عامٌّ فحملوا لفظه ومعناه ما هو بريءٌ منه. وإنَّما القول ها هنا ما أَمرهم الله باستماعه، وهو وحيه الذي أَنزله علىٰ رسوله وهو الذي قال فيه: ﴿أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا۟ ٱلْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

وقال تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ ٱلْقَوْلَ﴾ [القصص: ٥١] فهٰذا هو القول الذي أُمروا باتِّباع أَحسنه كما قال: ﴿وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: ٥٥].

والنَّظر الذي أَمرنا سبحانه به المؤدِّي إلىٰ معرفته والإيمان به ومحبَّته والاستدلال علىٰ صدق رسله فيما أَخبروا به عنه من أَسمائه، وصفاته، وأَفعاله، وعقابه، وثوابه، لا النَّظر الذي يوجب تعلُّق النَّاظر بالصُّورة التي يحرّم عليه الاستَمتاع بها نظراً ومباشرةً، فهٰذا النَّظر الذي أَمر الله سبحانه وتعالىٰ صاحبه بغضّ بصره، هٰذا مع أَنَّ القوم لم يبتلوا بالمردان، وهم

(١) الفسّاق: العاصون، وتاركو أمر الله تعالىٰ، ومتجاوزو حدود الشرع، والخارجون عن طاعته.
(٢) الفجّار: الماضون في المعاصي غير مكترثين.

كانوا أَشرف نفوساً وأَطهر قلوباً من ذٰلك، فإِذا أَمرهم بغضّ أَبصارهم عن الصُّورة التي تباح لهم في بعض الأَحوال خشية الافتتان، فكيف النَّظر إِلىٰ صورةٍ لا تباح بحال؟.

ثمَّ يقال لهٰذه الطَّائفة: النَّظر الذي ندب الله إِليه نظرٌ يُثاب عليه النَّاظر، وهو نظرٌ موافقٌ لأَمره، يقصد به معرفة ربِّه ومحبَّته، لا النَّظر الشَّيطاني. ويشبه هٰذا الاستدلال استدلال بعض الزنادقة[1] المنتسبين إلى الفقه على حل الفاحشة بمملوك الرجل بقوله تعالىٰ: ﴿إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ﴾ [المؤمنون: ٦ والمعارج: ٣٠] ومعتقد ذٰلك كافر حلال الدَّم بعد قيام الحجَّة عليه، وإِنَّما تستَّرت هٰذه الطَّائفة لهواها وشهواتها وأَوهمت أَنَّها تنظر عبرةً واستدلالاً، حتَّىٰ آل ببعضهم الأَمر إِلىٰ أَن ظنُّوا أَنَّ نظرهم عبادةٌ، لأَنَّهم ينظرون إِلىٰ مظاهر الجمال الإِلٰهي، ويزعمون أَنَّ الله سبحانه وتعالىٰ عن قول إِخوان النَّصارىٰ يظهر في تلك الصُّورة الجميلة، ويجعلون هٰذا طريقاً إِلىٰ الله، كما وقع فيه طوائف كثيرة ممن يدَّعي المعرفة والسُّلوك.

قال شيخنا رحمه الله تعالىٰ[2]: وكُفْرُ هٰؤلاء شرٌّ من كُفْرِ قوم لوط، وشرٌّ من كفر عُبَّاد الأَصنام، فإِنَّ أُولئك لم يقولوا: إِنَّ الله سبحانه يتجلَّى في تلك الصُّورة، وعبَّاد الأَصنام غاية ما قالوه: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

وهٰؤلاء قالوا: نعبدهم لأَنَّ الله ظهر في صورهم.

وحكىٰ لي شيخي: أَنَّ رجلاً من هٰؤلاء مَرَّ به شابٌّ جميلٌ فجعل يتبعه بصره، فأَنكر عليه جليسٌ له.

وقال: لا يصلح هٰذا لمثلك.

فقال: إِنِّي أَرىٰ فيه صفات معبودي وهو مظهرٌ من مظاهر جماله.

فقال: لقد فعلتَ به وصنعت.

فقال: وإِن.

---

(١) الزنادقة: المفرد: الزنديق.

(٢) أي: قال الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية رضي الله عنه.

قال شيخنا: فلعن الله أُمَّةً معبودها موطوؤها.

قال: وسُئل أَفضل متأَخّريهم العفيف التَّلمساني[١]، فقيل له:

إذا كان الوجود واحداً فما الفرق بين الأُخت والبنت والأَجنبيَّة حتَّى تحلّ هٰذه وتحرم هٰذه؟.

فقال: الجميع عندنا سواءٌ ولكن هٰؤلاء المحجوبون.

قالوا: حرام.

فقلنا: حرامٌ عليكم.

ومن هٰؤلاء الزَّنادقة من يخصُّ ذٰلك ببعض الصُّور، فهٰؤلاء من جنس النَّصارى بل هم إخوانهم، فالنَّظر عند هٰؤلاء إِلىٰ الصُّور المحرَّمة عبادة، ويشبه أَن يكون هٰذا الحديث من وضع بعض هٰؤلاء الزَّنادقة أَو مجان الفساق، وإِلا فرسول الله ﷺ بريءٌ منه.

وسئل شيخنا عمَّن يقول: «النَّظَرُ إِلَىٰ الوَجْهِ الحَسَنِ عبَادَةٌ»[٢] ويُروىٰ ذٰلك عن النَّبيِّ ﷺ فهل ذٰلك صحيح أَو لا؟.

فأَجاب بأَن قال: هٰذا كذبٌ باطلٌ، ومن روىٰ ذٰلك عن النَّبيِّ ﷺ أَو ما يشبه فقد كذب عليه ﷺ، فإِنَّ هٰذا لم يروه أَحدٌ من أَهل الحديث لا بإِسنادٍ صحيح ولا ضعيفٍ بل هو من الموضوعات، وهو مخالفٌ لإِجماع المسلمين. فإِنه لم يقل أَحدٌ إِنَّ النَّظر إِلىٰ المرأة

---

(١) العفيف التلمساني: هو سليمان بن علي بن عبد الله بن علي الكومي التلمساني، عفيف الدين، شاعر، كوميّ الأصل (من قبيلة كومة). ولد العفيف التلمساني سنة ٦١٠هـ الموافق ١٢١٣م، وتنقّل في بلاد الروم وسكن دمشق، فباشر فيها بعض الأعمال، وكان يتصوَّف ويتكلّم على اصطلاح القوم، يتبع طريقة ابن العربي في أقواله وأفعاله، واتهمه فريقٌ برقّه الدِّين والميلِ إلى مذهب النّصيرية، وصنف كتباً منها: شرح مواقف النغزي، وشرح القصوص، لابن عربي، وكتاب في العروض، وشرح منازل السائرين للهروي. مات العفيف التلمساني في دمشق سنة ٦٩٠هـ الموافق ١٢٩١م. انظر: النجوم الزاهرة: (٨/ ٢٩)، والبداية والنهاية: (٣/٣٢٦)، وشذرات الذهب: (٥/ ٤١٢)، وفوات الوفيات: (١/ ١٧٨)، وآداب اللغة: (٣/ ١١٩).

(٢) لم أجد في المراجع الكثيرة التي بمكتبتي نصاً بهذا الحديث.

الأَجنبيَّة والصَّبيّ الأَمرد عبادة. ومن زعم ذٰلك فإِنَّه يستتاب فإِنْ تاب وإِلاَّ قُتل. فإِنَّ النَّظر منه ما هو حرامٌ، ومنه ما هو مكروهٌ، ومنه ما هو مباح والله أعلم.

وأَمَّا الحديث الآخر، وهو: «**اطْلُبُوا الخَيرَ عِندَ حِسَانَ الوُجُوهِ**»(١).

فهٰذا وإِن كان قد روي بإِسنادٍ إِلاَّ أَنَّه باطلٌ لم يصحّ عن رسول الله ﷺ، ولو صحَّ لم يكن فيه حجَّة لهٰذه الطَّائفة، فإِنَّه إِنَّما أَمر بطلب الخير منهم لا بطلب وصالهم ونيل المحرم منهم، فإِنَّ الوجه الجميل مظنَّة الفعل الجميل، فإِنَّ الأَخلاق في الغالب مناسبة للخلقة بينهما نسب قريب.

وأَمَّا أَمرَ النَّبيُّ ﷺ للخاطب بأَن ينظر إِلىٰ المخطوبة فذٰلك نظرٌ للحاجة، وهو مأْمورٌ به أَمر استحباب عند الجمهور، وأَمر إِيجاب عند بعض أَهل الظَّاهر، وهو من النَّظر المأْذون فيه لمصلحة راجحة، وهو دخول الزَّوج علىٰ بصيرةٍ وأَبعد من ندمه ونفرته عن المرأَة، فالنَّظر المباح أَنواع هٰذا أَحدها بخلاف النَّظر إِلىٰ الصُّورة المحرَّمة.



(١) سبق تخريج الحديث.

تحريف النّاقل لرأي الشّافعيّ

وما ذكره السّمعاني عن الشّافعيّ رحمه الله تعالىٰ فمن تحريف النّاقل. والسّائل لم يذكر لفظ الشّافعي، والبيتان هكذا هما:

سَأَلْتُ الفَتَىٰ المَكِّيَّ هَلْ فِي تَزَاوُرٍ وَنَظْرَة مُشْتَاق الفُؤَادِ جُنَاحُ

فَقَالَ مَعَاذَ الله أَنْ يُذْهِبَ التُّقِي تَلاصق أكبادِ بِهِنَّ جُراحُ[1]

فهٰذا السّائل هو الذي ذكر السُّؤال والجواب، وهو مجهولٌ لا يعرف هل هو ثقة أَو لا. ثمَّ إِنَّ الجواب لا يدلُّ علىٰ مقصود هٰذه الفرقة بوجهٍ ما، بل هو حجةٌ عليها فإِنَّه نهىٰ أَن يذهب التُّقى تلاصق هٰذه الأَكباد، فكأَنَّه قال: لا تتلاصق هٰذه الأكباد لئلاً يذهب تلاصقها التُّقىٰ، فالتّلاصق المذكور فاعلٌ، والتُّقىٰ مفعولٌ، فكأَنَّه قال: لا يفعل لئلاً يذهب التّلاصق التُّقىٰ. وجوابٌ آخر وهو أَنَّ هٰذا التّلاصق إِنما يكون غير مذهب للتُّقىٰ إِذا كان في عشقٍ مباحٍ بل مستحبّ كعشق الزّوجة والأَمة.

وأَمّا ما ذكروا عن سعيد بن المسيَّب رحمه الله تعالىٰ فقد أَجاب عنه سعيد نفسه، فإِنَّه لما مرَّ به هٰذا السّائل ـ وكان من بني كِلاب[2].

قال سعيد: هٰذا من أكذب العرب.

قيل: كيف يا أَبا محمد؟.

---

(١) سبق التعليق على هٰذين البيتين.

(٢) بنو كلاب: قبيلة عربية يرجع نسبها إلى جدّها الجاهلي كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة من قيس عيلان، من عدنان، كانت منازل بنيه قرب المدينة، وانتقل بعضهم إلى الشام، فكان لهم في الجزيرة الفراتية شأنٌ، وملكوا حلب ونواحيها وكثيراً من مدن الشام. انظر: العبر: (٤/ ٢٥٤)، والنقائض: (١٠٢٧)، ومعجم قبائل العرب: (٩٨٩).

قال: أَليس الذي يقول:

سَأَلْتُ سَعيدَ بن المُسَيَّبِ مُفْتِي الـ ـمَدِينة هَلْ فِي حُبّ دَهْمَاء مِنْ وِزْرِ؟
فَقَالَ سَعيدُ بنُ المُسَيَّبِ إِنَّمَا تُلامُ عَلَىٰ مَا تَسْتَطِيعُ مِنَ الأَمْرِ

كَذَبَ والله ما سألني عن شيءٍ من هٰذا قطّ. ولا أفتيته.

وإذا كان هٰذا جواب سعيد في مثل هٰذا فما جوابه لمن سأله أَن يُقَبِّل حبيباً أَجنبياً كلَّ يوم وليلةٍ عشرة؟ فقبَّح الله الفَسَقَة الكذَّابين علىٰ العلماء لا سيَّما علىٰ مثل سعيد، فهٰؤلاء كلُّهم فسقةٌ كاذبون أَرادوا تلفيق فُسْقِهم بالكذب علىٰ علماء وقتهم، كما نفق الفاسق أَبو نواس[1] كذبه على إِسحاق بن يوسف الأزرق[2].

---

(١) أبو نواس: هو الحسن هانىء بن عبد الأول بن صباح الحكمي بالولاء، شاعر العراق في عصره. ولد أبو النواس في الأهواز (من بلاد خوزستان) سنة ١٤٦هـ الموافق ٧٦٣م، ونشأ بالبصرة، ورحل إلى بغداد، فاتصل فيها بالخلفاء من بني العباس، ومدح بعضهم، وخرج إلى دمشق، ومنها إلى مصر، فمدح أميرها الخصيب، وعاد إلى بغداد، فأقام إلى أن توفي فيها سنة ١٩٨هـ الموافق ٨١٤م. كان جد أبي النواس من موالي الجراح بن عبد اللّه الحكمي أمير خراسان، فنسب إليه، قال ابن عساكر: إنَّ أباه من أهل دمشق، من الجند، من رجال مروان بن محمد، انتقل إلى الأهواز، فتزوَّج امرأة من أهلها اسمها جلبان فولدت له ولدين أحدهما أبو نواس. قال الجاحظ: ما رأيت أعلم باللُّغة ولا أفصح لهجة من أبي نواس. وقال أبو عبيدة: كان أبو نواس للمحدثين كامرىء القيس للمتقدّمين. وأنشد له النظام شعراً ثم قال: هذا الذي جمع له الكلام فاختار أحسنه. وقال كلثوم العتابي: لو أدرك أبو نواس الجاهلية ما فضل عليه أحد. وقال الإمام الشافعي: لولا مجون أبي نواس لأخذت عنه العلم. وحكى أبو نواس عن نفسه قال: ما قلت الشّعر حتى رويت لستين امرأة من العرب، فما ظنُّك بالرّجال. وأبو نواس هو أول من نهج للشعر طريقته الحضرية وأخرجه من اللّهجة البدوية. وقد نظم في جميع أنواع الشعر، وأجود شعره: خمرياته، وله ديوان شعر، وديوان آخر سُمّي الفكاهة والائتناس في مجون أبي نواس. انظر: سير أعلام النبلاء ـ طبعة دار الفكر ـ: (٨/ ١٧٨) الترجمة رقم: (١٣٩١)، ومعاهد التنصيص: (١/ ٨٣)، ونزهة الجليس: (١/ ٣٠٢)، ووفيات الأعيان: (١/ ١٣٥)، وتاريخ بغداد: (٧/ ٤٣٦) والشعر والشعراء: (٣١٣)، ودائرة المعارف الإسلامية: (١/ ٤١٣).

(٢) إسحاق بن يوسف الأزرق: هو إسحاق بن يوسف بن مرداس القرشي الواسطي الأزرق، أبو محمد، الإمام الحافظ الحجّة. كان من جلّة المقرئين، تلا على حمزة الزيات، وأخذ الحروف عن أبي بكر بن عيّاش وغيره، وكان من أئمة الحديث، روى عنه أحمد بن حنبل، ويحيى بن معين، وأحمد بن منيع، ومحمد بن المثنى، وسعدان بن نصر، وغيرهم. وكان حجّة وفاقاً، له قدمٌ راسخٌ في التقوى. توفي ابن الأزرق سنة ١٩٥هـ الموافق ٨١٠ م. انظر: سير أعلام النبلاء ـ طبعة دار الفكر ـ: (٨/ ١٠٧)، والكاشف: (١/ ٦٦)، وتذكرة الحفّاظ: (١/ ٣٢٠)، والعبر: (١/ ٣١٨)، ودول الإسلام: (١٢٣).

قال عبيد اللّه بن محمد بن عائشة[١]: أَتيت إِسحاق بن يوسف الأَزرق يوماً، فلمّا رآني بكىٰ.

قلت: ما يبكيك؟.

قال: هٰذا أَبو نواس.

قلت: ما له؟.

قال: يا جارية ائتيني بالقرطاس[٢] فإذا فيه مكتوب:

يَا سَاحِرَ المُقْلَتَيْنِ والجِيدِ وَقَاتِلي مِنْهُ بِالمَوَاعِيدِ[٣]
تَوَعَّدَني الوَصْلُ ثُمَّ تَخَلَّفَني وَيْلاهُ مِنْ مخلفٍ لِمَوْعُودِي[٤]
حَدَّثَني الأَزْرَقُ المُحَدِّثُ عَنْ شَمِرٍ وَعَوْفٍ عن ابنِ مَسْعُودِ[٥]

---

(١) **عبيد اللّه بن محمد بن عائشة**: هو عبيد اللّه بن محمد بن حفص بن معمر التيمي، أبو عبد الرحمن المعروف بابن عائشة، عالم بالحديث والسِّير، أديب، من أهل البصرة، زار بغداد، وحدَّث بها سنة ٢١٩هـ، وكان كريماً متلافاً، أَنفق على إخوانه ثروةً كبيرةً، وافتقر، وعرف بابن عائشة لأنه من ولد عائشة بنت طلحة بن عبيد اللّه التيمي، ويقال له العيشي، توفي سنة ٢٢٨هـ الموافق ٨٤٢ م. انظر: تاريخ بغداد: (١٠/ ٣١٤).

(٢) **القرطاس**: الصحيفة التي يكتب فيها.

(٣) **[المقلتين]**: المقلة: العين كلّها، أو سوادها وبياضها، الجمع: مقل. **[الجيد]**: العُنق، أو مقدمه، أو موضع القلادة، الجمع: أجياد، وجيود.

(٤) **[الوصل]**: ضد الهجران.

(٥) **[شمر]**: هو شمر بن عطية. **[عوف]**: هو عوف بن مالك الأشجعي الغطفاني، صحابي من الشجعان الرؤساء، أول مشاهده خيبر، وكانت معه راية (أشجع) يوم الفتح، نزل حمص وسكن دمشق، وتوفي سنة ٧٣هـ الموافق ٦٩٢م. روى عوف بن مالك رضي الله عنه ٦٧ حديثاً عن رسول الله ﷺ. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ طبعة دار الفكر ـ: (١٤/ ٤٥١) الترجمة رقم: (٥١٣٣)، والإصابة في تمييز الصحابة الترجمة رقم: (٦١٠٣). **[ابن مسعود]**: هو عبد اللّه بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرّحمن، صحابي، من أكابرهم، فضلاً وعقلاً، وقرباً من رسول الله ﷺ وهو من أهل مكة ومن السابقين إلى الإسلام، وأول من جهر بقراءة القرآن بمكة، وكان خادم رسول الله ﷺ الأمين، وصاحب سرّه، ورفيقه في حلّه وترحاله وغزواته، يدخل عليه كل وقت ويمشي معه، نظر إليه عمر يوماً وقال: وعاء ملىء علماً. ولي عبد اللّه بن مسعود بعد وفاة رسول الله ﷺ بيت مال الكوفة، ثم قدم المدينة في خلافة عثمان رضي الله عنه فتوفي فيها عن نحو ستين عاماً سنة ٣٢هـ الموافق ٦٥٣م. كان عبد اللّه بن مسعود قصيراً جداً، يكاد الجلوس يوارونه، وكان يحبُّ الإكثار من التَّطيُّب. فإذا خرج من بيته عرف جيران الطريق أنه مرّ، من طيب رائحته. روى ابن مسعود رضي الله عنه ٨٤٨ حديثاً عن رسول الله ﷺ. =

لاَ يــخــلــفُ الــوَعْــدُ غَــيْــرَ كَــافِــرةٍ أَوْ كَــافِــرٍ فِــي الــجَــحِــيــمِ مَــصْــفُــودِ[١]

كَذَبَ والله عَليَّ وعلىٰ التَّابعين وعلىٰ الصَّحابة.

ولو صحَّ عن سعيد لم يكن لكم فيه حجَّة فإن سعيداً أمره بالصَّبر أوَّلاً، ومراقبة الله، وخوف سطوته، ومخالفة الفسقة، ثمَّ أمره بتقبيل خدّ من يحبّه كلَّ يوم عشر مرَّات، وهٰذا قطعاً إنما أَراد به من يحلّ له تقبيله من زوجةٍ أو سريّةٍ، فأمره أن يعتاض بقبلتها عن قبلة من لا يحلّ له، ولا يظُنُّ بعلماء الإسلام غير هٰذا إلاَّ مفرطٌ في الجهل أو متهمٌ علىٰ الدِّين.

وأمَّا ما ذكره المبرَّد[٢] عن الأعرابيِّ الذي سأل المفتيَ المكيّ عن القُبلة في رمضان فقال: للزَّوج سبعٌ وللخلَّة[٣] ثمان.

فهٰذا المستفتي والمفتي لا يُعْرَفُ واحدٌ منهما حتّى يُقبل خبره. ولو صحَّ ذٰلك وعرف المستفتي والمفتي لكانت الخلَّة هي أمته الجميلة، وهي التي يحلُّ تقبيلها ثمانية فأكثر.

وأمَّا أن يفتي أحدٌ من أهل الإسلام بأنَّه يحلُّ تقبيل المرأة الأجنبيَّة المحرمة عليه ثمانية في رمضان [أو غيره][٤] فمعاذ الله من ذلك، وهكذا حكم الأثر الذي ذكره الخطيب في كتابٍ رواه مالك ولا يظنّ بعالم أنَّه تمنَّىٰ أن يُقبِّل امرأةً أجنبيّة وهو محرم ببطن منىٰ، فإنَّ القبلة المذكورة تعرض الحجَّ للفساد وتبطله عند طائفةٍ، فإن صحَّ هٰذا فإنَّما أراد امرأته أو أمته.

وأمَّا الأثر، الذي ذكره الحاكم في مناقب الشَّافعي رحمه الله تعالىٰ فليس بين

= انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ طبعة دار الفكر ـ: (١٠/ ٥٣٦) الترجمة رقم: (٣٥٤٧)، وسير أعلام النبلاء ـ طبعة دار الفكر أيضاً ـ: (٣/ ٢٩٠) الترجمة رقم: (٩٢)، والإصابة في تمييز الصحابة: الترجمة رقم: (٤٩٥٥)، وغاية النهاية: (١/ ٤٥٨)، والبدء والتاريخ: (٥/ ٩٧)، وصفة الصفوة: (١/ ١٥٤)، وحلية الأولياء: (١/ ١٢٤)، وتاريخ الخميس: (٢/ ٢٥٧).

(١) إشارة إلى الحديث الذي أخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد: (١/ ١٠٨)، وهو في مجمع الزوائد ـ طبعة دار الفكر ـ: (٤١٧) عن ابن مسعود قال: «اعتبروا المنافقين بثلاثٍ: إذا حدَّث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا عاهد غدر».

(٢) المبرّد: هو محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبرد، إمام العربية ببغداد في زمنه، وأحد أئمة الأدب والأخبار، وقد سبقت بقية ترجمته.

(٣) الخلة: الخليلة والصديقة.

(٤) إضافة من المحقق.

الحاكم. . . . . . . وبين الربيع[١] من يحتجُّ به. ويدلُّ علىٰ أَنَّ القصَّة كذبٌ ظاهرٌ أَنَّ المستفتي زعم أَنَّ الشَّافعيَّ أَجاب بقوله:

فقال لي المفتي وفاضت دموعه.

وهٰذا إِنَّما هو حكاية المستفتي قول المفتي، فمن هو الحاكي عن الشافعي؟

فدعوا هٰذه الأكاذيب والتّرهات[٢].

وأَمَّا ما ذكرتم عن عمرو بن سفيان ابن بنت جامع، فمن ذكر هٰذا عن عمرو بن سفيان؟ ومن هو عمرو بن سفيان ابن بنت جامع بن مرخية هٰذا؟ وهٰذا موضع البيتين المشهورين:

سَأَلْنَا عَنْ ثُمَالَةَ كُلَّ حَيٍّ فَقَالَ القَائِلُونَ وَمَنْ ثُمَالَهْ

فَقُلْتُ: مُحَمد بن يزيد مِنْهُمْ فَقَالُوا: زِدْتَنَا بِهِمْ جَهَالَهْ

وهل يحلُّ لأَحدٍ أَن يصدِّق عن مالك والليث بن سعد[٣] أَنَّهما أَجازا تقبيل خدِّ المرأة الأَجنبيّة المعشوقة أَو خدِّ الأَمرد الجميل الصُّورة؟

هٰذا وقصَّة مالك مع الذي ضمَّ صبياً إِليه فأَفتىٰ بضربه ستمائة سوط فمات.

---

(١) الربيع: هو الربيع بن سليمان بن عبد الجبار بن كامل المرادي بالولاء، المصري، أبو محمد، صاحب الإمام الشافعي وراوي كتبه، وأول من أملى الحديث بجامع ابن طولون. ولد الربيع بمصر سنة ١٧٤هـ الموافق ٧٩٠م، وتوفي سنة ٢٧٠هـ الموافق ٨٨٤ م. انظر: وفيات الأعيان: (١/ ١٨٣)، والانتقاء: (١١٢)، وتهذيب التهذيب: (٣/ ٢٤٥).

(٢) الترهات: المفرد: التُّرَهَة؛ أي: الباطل، والقول الخالي من النفع، والتّافه والمزخرف.

(٣) الليث بن سعد: بن عبد الرحمن الفهمي، بالولاء، أبو الحارث، إمام أهل مصر في عصره، حديثاً وفقهاً. ولد الليث بن سعد في قلقشندة سنة ٩٤هـ الموافق ٧١٣م، وتوفي في القاهرة سنة ١٧٥هـ الموافق ٧٩١م. قال ابن تغري بردي: كان كبير الديار المصرية ورئيسها وأمير من بها في عصره، بحيث أن القاضي والنائب من تحت أمره ومشورته. وكان من الأجوادَ الكرماء. قال الإمام الشافعي: الليث أفقه من مالك، إلاَّ أن أصحابه لم يقوموا به. انظر: سير أعلام النبلاء ـ طبعة دار الفكر ـ: (٧/ ٤٣٨) الترجمة رقم: (١١٨٢)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال طبعة الدار أيضاً ـ: (١٥/ ٤٣٦) الترجمة رقم: (٥٦٠٢)، ووفيات الأعيان: (١/ ٤٣٨)، وتذكرة الحفاظ: (١/ ٢٠٧)، وصبح الأعشى: (٣/ ٣٩٩)، والنجوم الزاهرة: (٢/ ٨٢)، والجواهر المضية: (١/ ٤١٦)، وميزان الاعتدال: (٢/ ٣٦١)، وحلية الأولياء: (٧/ ٣١٨)، وتاريخ بغداد: (١٣/ ٣)، وتهذيب التهذيب: (٨/ ٤٥٩).

فقال له أَبو الفتى: قتلت ابني.

فقال: قتله الله.

فمن هٰذا تشديده وفتواه. هل يُفتىٰ بجواز تقبيل خدود المرد الحسان؟. نعم.. ما حرَّم الرَّحمٰن قبلة عاشق يحل لمعشوقه مواصلته، ولا قبلة الرَّجل خد ولده كما قبل الصِّدّيق[1] رضي الله عنه خد ابنته عائشة[2] رضي الله عنها.

---

(1) الصِّدّيق: هو أبو بكر الصِّدّيق عبد اللّه بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشي، أول الخلفاء الراشدين، وأول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال، وأحد أعاظم العرب. ولد أبو بكر في مكة سنة ٥١ ق.هـ الموافق ٥٧٣م، ونشأ سيداً من سادات قريش، وغنياً من كبار موسريهم، وعالماً بأنساب القبائل وأخبارها وسياستها، وكانت العرب تلقبه بعالم قريش وحرَّم على نفسه الخمر في الجاهلية، فلم يشربها، ثم كانت له في عصر النبوة مواقف كبيرة، فشهد الحروب، واحتمل الشدائد، وبذل الأموال، وبويع بالخلافة يوم وفاة رسول الله ﷺ سنة ١١هـ فحارب المرتدين والممتنعين من دفع الزكاة، وافتتحت في أيامه بلاد الشام وقسمٌ كبيرٌ من العراق، واتفق له قواد أمناء كخالد بن الوليد، وعمرو بن العاص، وأبي عبيدة بن الجراح، والعلاء بن الحضرمي، ويزيد بن أبي سفيان، والمثنى بن حارثة، وكان أبو بكر موصوفاً بالحلم والرأفة بالعامة، خطيباً لسناً، وشجاعاً بطلاً، ومدة خلافته سنتان وثلاثة أشهر ونصف شهر، وتوفي في المدينة المنورة سنة ١٣هـ الموافق ٦٣٤م. روى أبو بكر الصديق رضي الله عنه ١٤٢ حديثاً عن رسول الله ﷺ. انظر: سير أعلام النبلاء ـ طبعة الدار ـ: (٢/ ٤٢٧) الترجمة رقم: (٢)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ طبعة الدار أيضاً ـ: (١٠/ ٣٢٥) الترجمة رقم: (٣٤٠٠)، والإصابة في تمييز الصحابة الترجمة رقم: (٤٨٠٨)، والكامل لابن الأثير: (٢/ ١٦٠)، وصفة الصفوة: (١/ ٨٨)، وحلية الأولياء: (٤/ ٩٣). وتاريخ الخميس: (٥/ ١٩٩)، والبدء والتاريخ: (٥/ ٧٦)، والرياض النضرة: (٤٤ ـ ١٨٧). ومنهاج السنة: (٣/ ١١٨).

(2) عائشة: بنت أبي بكر الصديق عبد اللّه بن عثمان، من قريش، أفقه نساء المسلمين وأعلمهنّ بالدّين والأدب، كانت تُكنى بأم عبد اللّه. ولدت السيدة عائشة رضي الله عنها في مكة سنة ٩ق.هـ الموافق ٦١٣م، وتزوجها رسول الله ﷺ في السنة الثانية بعد الهجرة، فكانت أحب نسائه إليه، وأكثرهنّ رواية للحديث عنه، ولها خطبٌ ومواقف، وما كان يحدث لها أمر إلا أنشدت فيه شعراً، وكان أكبر الصحابة يسألونها عن الفرائض فتجيبهم، وكان مسروق إذا روى عنها يقول: حدثتني الصِّدِّيقة بنت الصِّدِّيق، وكانت ممن نقم على عثمان بن عفان عمله في حياته، ثم غضبت له بعد مقتله، فكان لها في هودجها بوقعة الجمل موقفها المعروف. توفيت السيدة عائشة رضي الله عنها في المدينة سنة ٥٨هـ الموافق ٦٧٨م. روت السيدة عائشة رضي الله عنها ٢٢١٠ أحاديث عن الحبيب المصطفى ﷺ. انظر: سير أعلام النبلاء ـ طبعة الدار ـ: (٣/ ٤٣٤) الترجمة رقم: (١٥٥)، وتهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ طبعة دار الفكر ـ: (٢٢/ ٣٧٢) الترجمة رقم: (٨٤٧٤)، والإصابة في تمييز الصحابة ـ كتاب النساء ـ الترجمة رقم: (٧٠١)، والسمط الثمين: (٢٩)، وطبقات ابن سعد: (٨/ ٣٩)، وأعلام النساء: (٢/ ٧٦٠)، وحلية الأولياء: (٢/ ٤٣)، وتاريخ الخميس: (١/ ٤٧٥)، والدر المنثور: (٢٨٠)، وصبح الأعشى: (٥/ ٤٣٥)، ومنهاج السنة: (٢/ ١٨٢ ـ ١٨٦) و(١٩٢ ـ ١٩٨).

ورأىٰ أَعرابيٌّ النَّبيَّ ﷺ يُقبِّل أَحد ابني ابنته[١] فقال: وإنكم لتقبلون الصِّبيان؟ إنَّ لي عشرة من الولد ما قبلتهم. فقال: «**أَوَ أَمْلُكُ لَكَ إِنْ نَزَعَ الله الرَّحْمَةَ مِنْ قَلْبِكَ؟**»[٢].

وأَمَّا صاحب كتاب (رستاق الاتفاق) وهو شاعر المصريين فلعمر الله لقد أَفسدتُ إذا أَسندتُ، فإِنَّه الفاسق الماجن المسمى أَبو الرقعمق[٣]، ولكن لا ينكر هٰذا المتن بهٰذا الإسناد، فإِنَّه لا يليق إِلاَّ به.

وأَمَّا قصَّة إِبراهيم بن المدين عن أَبي بكر بن عيَّاش فنقلٌ غير مصدَّقٌ عن قائلٍ غير معصومٍ.

وأَمَّا ما ذكروا عن الإِمام أَحمد رحمه الله تعالىٰ فوالذي لا إِلٰه غيره إِنَّه من أَقبح الكذب عليه، ولو أَنَّ هٰذا الكاذب الفاسق نفق هٰذه الكذبة بغيره لراج أَمرها بعض الرَّواج، ولكن من شدَّة جهله تفقهاً بأَحمد بن حنبل وهو كمن نسب إِليه القول بأَن القرآن مخلوقٌ، أَو تقديم عليّ علىٰ أَبي بكر، أَو تقديم الرّأي علىٰ السُّنَّة، وأَمثال ذٰلك، وكذٰلك ما ذكر عن أَبي حنيفة رحمه الله تعالىٰ، ولو صحَّ لم يكن فيه حجَّة لهٰذه الطَّائفة، فإِنه قال: لا إِثم فيه إِذا كانت لعشر وأَربع، ولم يقل إِذا كانت أَجنبيَّة، ونحن نقول بما قال أَبو حنيفة رحمه الله تعالىٰ إِذا كان المعشوق حلالاً.

وأَمَّا ما ذُكر عن الطَّحاوي فلا نعلم صحَّته عنه، وإِن صحَّ فإِنَّما أَراد به التَّقبيل المباح، فإِنَّ الرَّجل قد يبتلىٰ بهجر زوجته أَو أَمته له فيسأَل أَطباء الدِّين وأَطباء الجسم وأَطباء الحبِّ عن دوائه، فيجيبه كلٌّ منهم بمقتضىٰ علمه وما عنده.

---

(١) أحد ابني ابنته: إما الحسن أو الحسين رضي الله عنهما.

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى: (٧/ ١٠٠)، والمنذري في الترغيب والترهيب: (٣/ ٣٠٤)، وابن حجر في فتح الباري: (١/ ٤٢٦)، والتبريزي في المشكاة: (٤٩٤٨).

(٣) **أبو الرقعمق**: هو أحمد بن محمد الأنطاكي، شاعرٌ فكه، تصرَّف بالشِّعر جداً هزلاً ومجوناً، وهو أحد شعراء اليتيمة، ومن المداح المجيدين، أصله من أنطاكية، وأقام بمصر طويلاً يمدح ملوكها ووزراءها، وتوفي فيها سنة ٣٩٩هـ الموافق ١٠٠٩م له كتاب رستاق الاتفاق. انظر: يتيمة الدهر: (١/ ٢٣٨ ـ ٢٦١)، وحسن المحاضرة: (١/ ٣٢٣).

وقد شكى مغيث[١] زوج بريرة[٢] حبّه لها فشفع عندها النّبيّ ﷺ أن تراجعه فلم تفعل.

وشكىٰ إليه رجلٌ أَنَّ امرأته لا تردّ يد لامسٍ فقال: «**طَلِّقْهَا**».

فقال: إِنِّي أَخاف أَن تتبعها نفسي.

فقال: «**اسْتَمْتِعْ بِهَا**» ذكره الإمام أحمد والنَّسائي.

قال بعض أَهل العلم: راعىٰ النَّبيُّ ﷺ دفع أَعلىٰ المفسدتين بأَدناهما، فإِنَّه لما شكىٰ إِليه أَنَّها لا تردُّ يد لامسٍ، أَمره بطلاقها، فلمَّا أَخبره عن حبّها وأَنّه يخاف أَلاَّ يصبر عنها، ولعلَّ حبّه لها يدعوه إِلى معصية، أَمَرَه أَن يُمسكها مداواةً لقلبه ودفعاً للمفسدة التي يخافها باحتمال المفسدة التي شكىٰ منها.

وأَجاب أَبو عبيدة عنه بأَنها كانت لا ترد يد لامسٍ يطلب منها العطاء، فكانت لا تردُّ يد من سأَلها شيئاً من مال الزَّوج، وردَّ عليه هٰذا التَّأْويل بأَنَّه لا يُقال لطالب العطاء لامس، وإِنَّما يقال له ملتمس.

وأَجابت طائفةٌ أُخرىٰ عنه بأَن طرآن المعصية علىٰ النِّكاح لا توجب فساده.

وقال النَّسائي[٣]: هٰذا الحديث منكرٌ. وعندي أَنَّ له وجهاً غير هٰذا كله، فإِن الرَّجل

---

(١) مغيث: زوج بريرة، وهو مولى أبي أحمد بن جحش الأسدي، قال ابن حجر في الإصابة: (٦/ ١٣٠) الترجمة رقم: (٨١٦٨): عن عكرمة: أن زوج بريرة كان عبداً يقال له مغيث كأني أنظر إليه يطوف خلفها يبكي ودموعه تسيل على لحيته، فقال النبي ﷺ: «**ألا تعجب من حبّ مغيث بريرة ومن بغض بريرة مغيثاً**».

(٢) بريرة: مولاة عائشة، قيل: كانت مولاة لقوم من الأنصار، وقيل: لآل عتبة بن أبي لهب، وقيل: لبني هلال، اشترتها السيدة عائشة رضي الله عنها وأعتقتها. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ـ كتاب النساء: (٨/ ٢٩) الترجمة رقم: (١٧٧).

(٣) النَّسائي: هو أحمد بن علي بن شعيب بن علي بن سنان بن بحر بن دينار، أبو عبد الرحمن النَّسائي، صاحب السُّنن، القاضي الحافظ، شيخ الإسلام. ولد الإمام النسائي في نسا (بخراسان) سنة ٢١٥هـ الموافق ٨٣٠ م، وجال في البلاد، واستوطن مصر، فحسده مشايخها، فخرج إلى الرملة (بفلسطين)، فسئل عن فضائل معاوية، فأمسك عنه، فضربوه في الجامع، وأُخرج عليلاً فمات سنة ٣٠٣هـ الموافق ٩١٥م، ودفن في بيت المقدس، وقيل: خرج حاجّاً فمات بمكة. له السنن الكبرى، والمجتبى، ـ وهو السنن الصغرى ـ والضعفاء والمتروكون، وخصائص علي، ومسند علي، ومسند مالك وغيرها. انظر: الرسالة المستطرفة: (١٠)، وطبقات الشافعية: (٢/ ٨٣)، وتذكرة الحفاظ: (٢/ ٢٤١)، وشذرات الذهب: (٢/ ٢٣٩).

لم يشك من المرأة أَنَّها تزني بكلِّ من أراد ذٰلك منها، ولو سأَل عن ذٰلك لما أَقرَّه رسول الله ﷺ علىٰ أن يقيم مع بغيٍّ، ويكون زوج بغي ديوثاً[١]، وإنّما شكىٰ إليه أَنَّها لا تجذب نفسها ممن لاعبها ووضع يده عليها، أَو جَذَبَ ثوبها ونحو ذٰلك، فإنَّ من النِّساء من تلين عند الحديث واللَّعب ونحوه. وهي حصَانٌ[٢] عفيفةٌ إذا أُريد منها الزِّنىٰ، وهٰذا كان عادة كثيرٍ من نساء العرب ولا يعدُّون ذٰلك عيباً، بل كانوا في الجاهليَّة يرون للزَّوج النِّصف الأسفل وللعشيق النِّصف الأعلىٰ.

فَلِلْحُبِّ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ نِقَابُهَا وَلِلْبَعْلِ مَا ضَمَّتْ عَلَيهِ المَآزِرُ[٣]

والمقصود أَنَّ القوم كانوا مع العاشق علىٰ معشوقه إذا كان يباح له وصاله، وسنذكر ذٰلك في باب مساعدة العشَّاق بالمباح من التَّلاقِ إن شاء الله تعالىٰ.

وأَمَّا ما ذكروا عن شيوخ المعتزلة وشيوخ الواسطيين[٤]، فأَمَّا أَبو عثمان المذكور وهو عمرو بن عبيد[٥] وواصل وهو واصل بن عطاء[٦] وهما شيخا القوم ولو أَفتيا بذٰلك لكانت

---

(١) الدَّيوث: الذي لا يغار على أهله ولا يخجل.

(٢) حصَان: من النساء: العفيفة. والمحصنة: الحرّة، أو العفيفة، أو المتزوّجة.

(٣) [المآزر]: المفرد: الإزار: وهو كساءٌ يُغَطّي النصف الأسفل من البدن، ويقابله الرداء، وهو ما يستر النصف الأعلى.

(٤) شيوخ الواسطيين: نسبة إلى مدينة واسط في العراق.

(٥) عمرو بن عبيد: بن باب التيمي بالولاء، أبو عثمان البصري، شيخ المعتزلة في عصره ومفتيها، وأحد الزُّهاد المشهورين، كان جدّه من سبي فارس، وأبوه نسّاجاً، ثم شرطيّاً للحجّاج بن يوسف في البصرة، واشتهر عمرو بعلمه وزهده وأخباره مع المنصور وغيره. وفيه قال المنصور: كلُّكم طالب صيد، غير عمرو بن عبيد. ولعمرو رسائل وخطب وكتب منها: التفسير، والرد على القدرية، وتوفي بمران (قرب مكة) سنة ١٤٤هـ الموافق ٧٦١م، ورثاه المنصور، ولم يُسمع بخليفةٍ رثى من دونه سواه، وفي العلماء من يراه مبتدعاً. قال يحيى بن معين: كان من الدهرية الذين يقولون إنّما الناس مثل الزرع. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ طبعة الدار ـ: (١٤/ ٢٧٦) الترجمة رقم: (٤٩٩٠)، وسير أعلام النبلاء ـ طبعة الدار ـ: (٦/ ٣٣٠) الترجمة رقم: (٨٥٨)، ووفيات الأعيان: (١/ ٣٨٤)، وأخبار أصبهان: (٢/ ٣٣)، وميزان الاعتدال: (٢/ ٢٩٤)، والحور العين: (١١٠)، وَأمالي المرتضى: (١/ ١١٧)، وتاريخ بغداد: (١٢/ ١٦٦ ـ ١٨٨)، وطبقات المعتزلة: (٣٥ ـ ٤١)، ومفتاح السعادة: (٢/ ٣٥).

(٦) واصل بن عطاء: الغزّال، أبو حذيفة، من موالي بني ضبة أو بني مخزوم، رأس المعتزلة، ومن أئمة البلغاء والمتكلمين، سُمِّي أصحابه بالمعتزلة لاعتزاله حلقة درس الحسن البصري، ومنهم طائفةٌ تُسمّى (الواصلية)، وهو الذي نشر مذهب الاعتزال في الآفاق، بعث من أصحابه عبد الله بن الحارث إلى المغرب، وحفص بن سالم إلى خراسان، والقاسم إلى اليمن، وأيوب إلى الجزيرة، والحسن بن ذكوان =

فتيا من مبتدعين مذمومين عند السَّلف والخلف، فكيف والمخبر بذٰلك رجلٌ مجهولٌ من المعتزلة كذب علىٰ من يعظِّمهما المعتزلة لينفق فسقه.

وأمَّا قصّة محمّد بن داود الأَصبهاني فغايتها أن تكون من سعيه المغفور، لا من عمله المشكور، وسلَّط النَّاس بذٰلك علىٰ عرضه، والله يغفر لنا وله، فإنَّه تعرّض بالنَّظر إلىٰ السُّقم الذي صار به صاحب فِراش، وهٰذا لو كان ممَّن يُباح له لكان نقصاً وعيباً، فكيف من صبيٍّ أجنبيٍّ؟ وأرضاه الشَّيطان بحبِّه والنَّظر إليه عن مواصلته، إذ لم يطمع في ذٰلك منه، فنال منه ما عرف أَنَّ كيده لا يتجاوزه وجعله قدوةً لمن يأتم به بعده كأَبي محمد ابن حزم الظَّاهري وغيره، وكيد الشَّيطان أَدقُّ من هٰذا.

وأمَّا أَبو محمَّد فإنَّه علىٰ قدر يبسه وقسوته في التَّمسُّك بالظَّاهر وإلغائه للمعاني والمناسبات والحكم والعلل الشَّرعيَّة إنَّما في باب العشق والنَّظر وسماع الملاهي المحرَّمة، فوسَّع هٰذا الباب جدًّاً وضيَّق باب المناسبات والمعاني والحكم الشَّرعيّة جداً. وهو من الخرافة[1] في الطَّرفين حين ردَّ الحديث الذي رواه البخاريُّ في صحيحه في تحريم آلات اللَّهو بأنَّه معلّقٌ غير مسندٍ، وخفي عليه أَنَّ البخاريَّ لقي من علَّقه عنه وسمع منه، وهو

= إلى الكوفة، وعثمان الطويل إلى أرمينية. ولد واصل بن عطاء في المدينة سنة ٨٠هـ الموافق ٧٠٠م، ونشأ بالبصرة، وكان يلثغ بالراء فيجعلها غيناً، فتجنّب الراء في خطابه، وضرب به المثل في ذلك، وكانت تأتيه الرسائل وفيها الراءات، فإذا قرأها أبدل كلمات الراء منها بغيرها حتى في آيات من القرآن.

ومن أقوال الشعراء في ذلك لأحدهم:

أجعلت وصلي الراء لم تنطق به ... وقطعتني حتى كأنك واصل

ولأبي محمد الخازن في مدح الصّاحب بن عبّاد:

نعم تجنَّب لا يوم العطاء كما ... تجنب ابن عطاء لفظة الراء

وكان ممن بايع لمحمد بن عبد اللّه بن الحسن في قيامه على أهل الجور، ولم يكن غزّالاً، وإنما لُقِّب به لتردّده على سوق الغزالين بالبصرة. له تصانيف منها: أصناف المرجئة، والمنزلة بين المنزلتين، ومعاني القرآن، وطبقات أهل العلم والجهل، والسبيل إلى معرفة الحق، والتوبة. توفي واصل بن عطاء سنة ١٣١هـ الموافق ٧٤٨م. انظر: سير أعلام النبلاء ـ طبعة الدار ـ: (٦/ ٢٤٢) الترجمة رقم: (٨٢٥)، ووفيات الأعيان: (٢/ ١٧٠)، ومروج الذهب: (٢/ ٢٩٨)، وأمالي المرتضى: (١/ ١١٣)، وفوات الوفيات: (٢/ ٣١٧)، والنجوم الزاهرة: (١/ ٣١٣ ـ ٣١٤)، ولسان الميزان: (٦/ ٢١٤)، وشذرات الذهب: (١/ ١٨٢)، ومقاتل الطالبيين: (٢٩٣)، ورغبة الآمل: (٧/ ٧٨ و١١٤ و١١٦).

(١) الخرافة: الحديث المستملح الكاذب، الجمع: خرافات.

هشام بن عمّار[1] وخفي عليه أَن الحديث قد أَسنده غير واحدٍ من أَئمّة الحديث غير هشام بن عمّار، فأَبطل سُنَّةً صحيحةً ثابتةً عن رسول الله ﷺ لا مطعن فيها بوجه.

وأَمّا من حاكمتمونا إِليه وهو شيخ الإِسلام ابن تيمية فنحن راضون بحكمه، فأَين أَباح لكم النَّظر المحرَّم، وعشق المردان، والنِّساء الأَجانب؟ وهل هٰذا إِلاَّ كذبٌ ظاهرٌ عليه؟ وهٰذه تصانيفه وفتاواه كلُّها ناطقةٌ بخلاف ما حكيتموه عنه، وأَمّا الفتيا التي حكيتموها فكذب عليه لا تناسب كلامه بوجهٍ، ولولا الإِطالة لذكرناها جميعها حتَّىٰ يعلم الواقف عليها أَنَّها لا تصدر عمَّن دونه فضلاً عنه.

وقلت لمن أَوقفني عليها: هٰذه كذبٌ عليه لا يشبه كلامه، وكان بعض الأُمراء قد أَوقفني عليها قديماً وهي بخطِّ رجلٍ متَّهم بالكذب، وقال لي:

ما كنتُ أَظنُّ الشَّيخ برقَّة هٰذه الحاشية.

ثمَّ تأَملتها فإِذا هي كذبٌ عليه، ولولا الإِطالة لذكرنا من فتاويه ما يبيِّن أَنَّ هٰذه كذبٌ.

وأَمّا ما ذكرتم من مسأَلة التزام أَدنى المفسدتين لدفع أَعلاهما فنحن لا ننكر هٰذه القاعدة، بل هي من أَصحِّ قواعد الشَّريعة، ولكن الشَّأن في إِدخال هٰذه الصُّورة فيها. بل نحاكمكم إِلىٰ هٰذه القاعدة نفسها فإِنَّ احتمال مفسدة أَلم الحبِّ مع غضِّ البصر، وعدم تقبيل المحبوب وضمِّه، ونحو ذٰلك أَقلّ من مفسدة النَّظر والتَّقبيل، فإِنَّ هٰذه المفسدة تجرُّ إِلىٰ هلاك القلب وفساد الدِّين، وغاية ما يقدر من مفسدة الإِمساك عن ذٰلك سقم الجسد أَو الموت تفادياً عن التَّعرُّض للحرام، فأَين إِحدى المفسدتين من الأُخرىٰ؟. علىٰ أَنَّ النَّظر والقبلة والضَّمَّ لا يمنع السَّقم والموت الحاصل بسبب الحبِّ، فإِنَّ العشق يزيد بذٰلك ولا يزول.

فَـمَـا صَـبَـابَـةُ مُـشْـتَـاقٍ عَـلَـىٰ أَمَـلٍ ... مِـنَ الـوِصَـالِ كَـمُـشْـتَـاقٍ بِـلاَ أَمَـلِ

ولا ريب في أَنَّ محبَّة من له طمع أَقوىٰ من محبَّة من يئس من محبوبه، ولهٰذا قال الشَّاعر:

---

(١) هشام بن عمار: بن نصير، ابن ميسرة السُلمي، أبو الوليد، قاض، من القرّاء المشهورين، من أهل دمشق. ولد هشام بن عمار في دمشق سنة ١٥٣هـ الموافق ٧٧٠م، وتوفي فيها سنة ٢٤٥هـ الموافق ٨٥٩ م. وكان فصيحاً بليغاً، له كتاب: فضائل القرآن. انظر: غاية النهاية: (٢/ ٣٥٤) وميزان الاعتدال: (٣/ ٢٥٥).

وَأَبْـرَحُ مَـا يَـكُـونُ الـحُـبُّ يَـوْمـاً إِذَا دَنَـتِ الـدِّيَـارُ مِـنَ الـدِّيَـارِ

فإن قيل: فقد أَباح الله سبحانه للمضطر الميتة والدَّم ولحم الخنزير، وتناوُلُها في هٰذه الحال واجبٌ عليه.

قال مسروق[1] والإمام أحمدَ رحمهما الله تعالىٰ: من اضطرَّ إلىٰ أكل الميتة فلم يأكل فمات دخل النَّار، فغاية النَّظرة والقبلة والضَّمَّة أَن تكون محرَّمةٍ، فإذا اضطرَّ العاشق إليها فإن لم تكن واجبةً فلا أَقلّ من أَن تكون مباحةً، فهٰذا قياسٌ واعتبارٌ صحيحٌ، وأين مفسدة موت العاشق إلىٰ مفسدة ضمِّه ولثمه؟.

فالجواب أَنَّ هٰذا يتبيَّن بذكر قاعدةٍ، وهي أَنَّ الله سبحانه وتعالىٰ لم يجعل في العبد اضطراراً إلىٰ الجماع بحيث إن لم يفعله مات، بخلاف اضطراره إلى الأَكل والشُّرب واللِّباس، فإنَّه من قوام البدن الذي إن لم يباشره هلك، ولهٰذا لم يبح من الوطء الحرام ما أَباح من تناول الغذاء والشَّراب المحرَّم، فإنَّ هٰذا من قبيل الشَّهوة واللَّذَّة التي هي تتمة وفضلة، ولهٰذا يمكن الإنسان أَن يعيش طول عمره بغير تزوُّج وغير تسرٍّ، ولا يمكنه أن يعيش بغير طعامٍ ولا شرابٍ، ولهٰذا أَمر النَّبيُّ ﷺ الشَّباب أَن يداووا هٰذه الشَّهوة بالصَّوم[2].

وقال تعالىٰ عن عُشَّاق المردان: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِ﴾ [الأعراف: ٧].

---

(١) مسروق: بن الأجدع بن مالك الهمداني الوادعي، أبو عائشة، تابعي ثقة، من أهل اليمن، قدم المدينة أيام أبي بكر، وسكن الكوفة، وشهد حروب عليّ، وكان أعلم بالفتيا من شريح، وشريح أبصر منه بالقضاء. توفي مسروق سنة ٦٣هـ الموافق ٦٨٣م. انظر: تهذيب الكمال في أسماء الرجال ـ طبعة الدار ـ: (١٨/ ٤٥) الترجمة رقم: (٦٤٩٣)، وسير أعلام النبلاء ـ طبعة الدار ـ: (٥/ ١٠٢) الترجمة رقم: (٣٨٤)، والإصابة في تمييز الصحابة: (٨٤٠٨)، والإكليل: (١٠/ ٧٧).

(٢) أخرج البخاري في صحيحه: (١٩٠٥)، ومسلم في صحيحه: (١٤٠٠)، وأبو داود في سننه: (٢٠٤٦)، والترمذي في سننه: (١٠٨١)، وابن ماجه في سننه: (١٨٤٥)، والنسائي في سننه: (٢٢٣٩) و(٢٢٤٠)، وأحمد في المسند: (١/ ٤٣٢ و٤٤١)، وهو في مسند أحمد ـ طبعة الدار ـ: (٤٠٢٣)، وعبد الرزاق في المصنف: (١٠٣٨٠)، والزبيدي في إتحاف السادة المتقين: (٥/ ٢٨٦ و٣٠٠)، والطبراني في المعجم الكبير: (١٠/ ١٥٠)، والسيوطي في الدر المنثور: (٢/ ٣١٠)، والألباني في الإرواء: (٦/ ١٩٢)، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«يا مَعْشَر الشباب... مَن استطاعَ منكم الباءة فليتزوَّج، فإنَّه أَغضُّ للبصرِ، وأَحصَنُ للفرجِ، ومن لم يستطع فعليه بالصَّومِ، فإنَّهُ له وجاءٌ»**.

فأخبر أَنَّ الحامل علىٰ ذٰلك مجردً الشّهوة لا الحاجة فضلاً عن الضَّرورة، والشَّهوة المجرَّدة لا تلتحق بالضَّرورات ولا بالحاجات، والحمية عنها خشية إفضائها إلىٰ مرضٍ أَصعب منها جارٍ مجرىٰ الحمية عن تناول ما يضرُّ من الأَطعمة والأَشربة، وذٰلك لا تدعو الضَّرورة إلى تناوله وإن كانت النَّفس قد تشتهيه، فالقُبلة والنَّظر والضَّمُّ ونحوها جارٍ مجرىٰ تناول الفاكهة المضرَّة والزَّفر[1] المضرّ للمحموم[2] ومن به مرضٌ يضرهُ معه تناول ذٰلك.

فإذا قال المريض: أنا إن لم أتناول ذٰلك وإلاَّ خشيت الموت لم يكن صادقاً في قوله، وإنّما الحامل له علىٰ ذٰلك مجرَّد الشَّهوة، وربَّما زاد تناول ذٰلك في مرضه، فالطَّبيب النَّاصح لا يفسح له فيه، فكيف يفسح الشَّارع الحكيم الذي شريعته غاية طبّ القلوب والأَديان وبها تحفظ صحّتها، وتدفع موادها الفاسدة في تناول ما يزيد الدَّاء ويقويه ويمدّه؟ هٰذا من المحال، بل الشَّريعة تأمر بالحمية عن أَسباب هٰذا الدَّاء خوفاً من استحكامه وتولد داء آخر أَصعب منه.

وأَمَّا مسأَلة من خاف تشقّق أُنثييه وأَنَّه يُباح له الوطء في رمضان فهٰذا ليس علىٰ إطلاقه، بل إن أَمكنه إخراج مائه بغير الوطء لم يجز له الوطء بلا نزاع، وإن لم يمكنه ذٰلك إلا بالوطء المباح فإنَّه يجري مجرىٰ الإفطار لعذر المرض ثمَّ يقضي ذٰلك اليوم، والإفطار بالمرض لا يتوقَّف علىٰ خوف الهلاك، فكيف إذا خاف تلف عضو من أَعضائه القاتلة، بل هٰذا نظير من اشتدَّ عطشه وخاف إن لم يشرب أَن يحدث له داءٌ من الأَدواء، أَو يتلف عضوٌ من أَعضائه، فإنَّه يجوز له الشُّرب ثمَّ يقضي يوماً مكانه.

فإن قيل: فلو اتَّفق له ذٰلك ولم يكن عنده إلاَّ أَجنبيَّة هل يُباح له وطؤها لئلاَّ تتلف أُنثياه؟

قيل: لا يباح له ذلك، ولكن له أَن يخرج ماءه باستمنائه والله أَعلم.

وقد سُئل أَبو الخطَّاب محفوظ بن أَحمد الكلوذاني[3] في رقعةٍ:

قُـلْ لأَبـي الـخَـطَّـابِ نَـجْـم الـهُـدَىٰ   وَقُـدْوَة الـعَـالَـمِ فِـي عَـصْـرِه

---

(١) الزَّفر: هنا بمعنى الدَّسم.

(٢) المحموم: الذي أصابته الحمى.

(٣) أبو الخطاب محفوظ بن أَحمد الكلوذاني: بن الحسن، إمام الحنفيّة في عصره، أصله من كلواذي (من ضواحي بغداد). ولد الكلوذاني في بغداد سنة ٤٣٢هـ الموافق ١٠٤١م وتوفي فيها سنة ٥١٠هـ الموافق ١١١٦م. من كتبه: التمهيد في أصول الفقه، والانتصار في المسائل الكبار، ورؤوس المسائل، والهداية، =

لاَ زِلْتَ فِي فَتْوَاكَ مُسْتَأْمِناً ... مِنْ خِدَعِ الشَّيْطَانِ أَوْ مُكْرِه
مَاذَا تَرَىٰ فِي رَشَأٍ أَغْيَدٍ ... حَازَ اللُّمَىٰ والدُّرَّ في ثَغْرِه[1]
لَمْ يَحْكِ بَدْرَ التَّمِّ فِي حُسْنِهِ ... حَتَّىٰ حَكَىٰ الزُّنْبُورَ فِي خُصْرِه[2]
فَهَلْ يُجِيزُ الشَّرْعُ تَقْبِيلَهُ ... لِمُسْتَهَامٍ خَافَ مِنْ وزرِه[3]
أَمْ هَلْ عَلَىٰ الْمُشْتَاقِ فِي ضَمِّهِ ... مِنْ غَيْرِ إِدْنَاءٍ إِلَىٰ صَدْره
إِثْم إِذَا مَا لَمْ يَكُنْ مضمراً ... غَيرِ الَّذِي قَدم مِنْ ذِكْرِه

فأجاب:

يَا أَيُّهَا الشَّيْخُ الأَدِيبُ الَّذِي ... قَدْ فَاقَ أَهْلَ الْعَصْرِ فِي شِعْرِه
تَسْأَلُ عَنْ تَقْبِيلِ بَدْرِ الدُّجَىٰ ... وَعَطْفِ زِنْدَيْكَ عَلَىٰ نَحْرِه[4]
هَلْ وَرَدَ الشَّرْعُ بِتَحْلِيلِهِ ... لِمُسْتَهَامٍ خَافَ مِنْ وِزْرِه
مَنْ قَارَفَ الْفِتْنَةَ ثُمَّ ادَّعَىٰ الْـ ... ـعِصْمَةَ قَدْ نَافَقَ فِي أَمْرِه
هَلْ فِتْنَةُ الْمَرْءِ سِوَىٰ الضَّمِّ والْـ ... ـتَّقْبِيلِ لِلْحُبِّ عَلَىٰ ثَغْرِه
وَهَلْ دَوَاعِي ذٰلِكَ الْمُشْتَهَىٰ ... إِلاَّ عِنَاق الْبَدْرِ فِي خِدْرِه[5]
وَبَذْلُهُ ذَاكَ لِمُشْتَاقِهِ ... يَزْرِي عَلَىٰ هَارُوت فِي سِحْرِه[6]

= والتهذيب، وعقيدة أهل الأثر ـ منظومة صغيرة، وله اشتغال بالأدب ونظم. انظر: سير أعلام النبلاء ـ طبعة الدار ـ: (١٤/ ٣٣٥) الترجمة رقم: (٤٦٠٧)، واللباب: (٢/ ٤٩)، والنجوم الزاهرة: (٥/ ٢١٢)، وطبقات الحنابلة: (٤٠٩)، ومرآة الزمان: (٨/ ٦٦)

(١) [رشأ]: ولد الظبية إذا قوي ومشى مع أمّه، الجمع: أرشاء. [أغيد]: المنثني في نعومة. [اللمى]: سمرة في باطن الشفة تستحسن. [ثغره]: فمه.

(٢) [بدر التم]: القمر ليلة تمامه، يقال: ولدته لتمٍّ؛ أي: تام الخلق.

(٣) [لمستهام]: استهيم فؤاده: هام، فهو مستهام الفؤاد، وقلب مستهام: هائم.

(٤) [الدجى]: دجا الليل: أظلم، فهو داج، والليلة: داجية.

(٥) [خدره]: ستره. والخدر: سترٌ يُمَدُّ للمرأة في ناحية البيت، الجمع: خدور وأخدار.

(٦) [هاروت في سحره]: سحر هاروت: يُضرب به المثل ويُنسب إليه السّحر دون صاحبه ماروت، لأن الله تعالىٰ بدأ به فقال: في سورة البقرة، الآية: (١٠٢): ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَـٰرُوتَ وَمَـٰرُوتَ﴾. وقال بشار بن برد: (الأغاني: ٣/ ١٥٥):

وكَأنَّ رَجْعَ حَدِيثِهَا ... قِطَعُ الرِّيَاضِ كُسِيفَ زَهْرا
وكَأَنَّ تَحْتَ لِسَانِهَا ... هَارُوت يَنْفثُ مِنْهُ سِحْرا

=

وَلاَ يُجِيزُ الشَّرْعُ أَسْبَابَ مَا يُورط المُسْلِمَ فِي حَظْرِه[(١)]
فَانْجُ وَدَعْ عَنْكَ صُدَاعَ الهَوَىٰ عَسَاكَ أَنْ تَسْلَمَ مِن شَرِّه
هٰذا جَوَابُ الكُلُوذانِي قَدْ جَاءَكَ يَرْجُو اللّٰهَ فِي أَجْرِه

فهٰذا جواب أَهل العلم وهو مطابقٌ لما ذكرناه والله تعالىٰ أعلم.

وسُئل الإمام أبو الفرج ابن الجوزي[(٢)] رحمه الله بأبياتٍ:

يَا أَيُّهَا العَالِمُ مَاذَا تَرَىٰ فِي عَاشِقٍ ذَابَ مِنَ الوَجْدِ

= وقال ابن المعتزّ:

أسْتَرْزِقُ الله عَطْفَ الحِب من رشأٍ يَشُوب تذكِيرَ عَيْنَيْهِ بتأنيثِ
كأنَّ في طَرفِهِ هاروت يَقْصدني منه بِسحرٍ إلى الأحشَاءِ منفوثِ

وقال الصّاحب:

لقد ظنّ بدر التّمّ نقص جماله فبعداً لوجه البدر مع سوء ظنّهِ
ولو أنَّ هاروتاً رأى سحرَ عينه تَعَلَّمَ كيفَ السِّحْر من حَدّ جفنه

(١) [يجيز]: ينفذ. [الشرع]: البيان والإظهار والطريق، وشرع الله: ما شرعه لخلقه. [حظره]: منعه.

(٢) أبو الفرج ابن الجوزي: هو عبد الرحمٰن بن عليّ بن محمد الجوزي القرشي البغدادي، أبو الفرج، علاّمة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف. ولد ابن الجوزي في بغداد سنة ٥٠٨هـ الموافق ١١١٤م، وتوفي فيها سنة ٥٩٧هـ الموافق ١٢٠١م. ونسبته إلى (مشرعة الجوز) من محالها، له نحو ثلاثمائة مصنف، منها: تلقيح فهوم أهل الآثار، والأذكياء وأخبارهم، ومناقب عمر بن عبد العزيز، وروح الأرواح، وشذور العقود في تاريخ العهود، والمدهش، والمقيم والمقعد، وصولة العقل على الهوى، والناسخ والمنسوخ، وتلبيس إبليس، وفنون الأفنان في عيون علوم القرآن، ولقط المنافع، والمنتظم في تاريخ الملوك والأمم، والذهب المسبوك في سير الملوك، وعجائب البدائع، والحمقى والمغفلين، والعرف في فضائل المصطفى، ومناقب عمر بن الخطاب، ومناقب أحمد بن حنبل، وصيد الخاطر، والياقوتة، والمختار من أخيار المختار، ومثير عزم الساكن إلى أشرف الأماكن، وتاريخ مكة والمدينة، والمجتبى من المجتبى، ومناقب بغداد، والضعفاء والمتروكين، والمنظوم والمنثور في مجالس الصدور، والمنهل العذب، وغريب الحديث وتبصرة المبتدي وتذكرة المنتهي، وري الظماء فيمن قال شعراً من الإماء، وبحر الدموع، والمنعش، والمصفى بأكف أهل الرسوخ في الناسخ والمنسوخ، ونزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، والحدائق لأهل الحقائق، والمنتخب في النوب، والمقامات، وأسماء الضعفاء والواضعين، وفضائل القدس، وتبصرة الأخيار، وتقويم اللسان، وجامع المسانيد والألقاب، والموضوعات في الأحاديث والمرفوعات، وزاد المسير في علم التفسير، ونتيجة الإحياء، وشرح مشكل الصحيحين، ودفع شبهة التشبيه والرد على المجسمة، والتحقيق. انظر: سير أعلام النبلاء ـ طبعة الدار ـ: (١٥/ ٤٨٣) الترجمة رقم: (٥٣٤٢)، ووفيات الأعيان: (١/ ٢٧٩)، ومفتاح السعادة: (١/ ٢٠٧)، وذيل الروضتين: (٢١)، وآداب اللغة: (٣/ ٩١)، ومرآة الزمان: (٨/ ٤٨١).

مِنْ حبِّ ظَبْيٍ أَغْيدٍ أَهْيَفٍ ... سَهْلِ المُحَيَّا حَسَنِ القَدِّ[1]
فَهَلْ تَرَىٰ تَقْبِيلَهُ جائِزاً ... فِي الفَمِ والعَيْنَيْنِ وَالخَدِّ
مِنْ غَيْرِ مَا فُحْشٍ وَلاَ رِيبَةٍ ... بَلْ بِعِنَاقٍ جائِزِ الحَدِّ
إِن كُنْتَ مَا تُفْتِي فَإِنِّي إِذاً ... أَصِيحُ مِنْ وَجْدِي وَأَسْتَغْدِي

فَكَتب رحمه الله تعالىٰ الجواب:

يَا ذَا الَّذي ذَابَ مِنَ الوَجْدِ ... وَظَلَّ فِي ضُرٍّ وَفِي جُهْدِ
اسْمَعْ فَدَتْكَ النَّفْسُ مِنْ نَاصِحٍ ... بِنُصْحِهِ يَهْدِي إِلَىٰ الرُّشْدِ
لَوْ صحَّ مِنْكَ العِشْق مَا جِئْتَنِي ... تَسْأَلُنِي عَنْهُ وَتَسْتَغْدِي
فَالعَاشِقُ الصَّادِقُ فِي حُبِّهِ ... مَا بَالُهُ يَسْأَلُ مَا عِنْدِي
غَيْبهُ العِشْقُ فَمَا إِنْ يَرَىٰ ... يُعِيدُ فِي العِشْقِ وَلاَ يُبْدِي
وَكُلَّ مَا تَذْكُرُ مُسْتَفْتِياً ... حَرَّمَهُ اللّهُ عَلَىٰ العَبْدِ
إِلاَّ لِمَا حَلَّلَهُ رَبُّنَا ... فِي الشَّرعِ بِالإِبْرَامِ والعَقْدِ
فَعُدْ عَنْ طرقِ الهَوَىٰ مُعرضاً ... وَقِفْ بِبَابِ الوَاحِدِ الفَرْدِ
وَسَلْهُ يُشْفِيكَ وَلاَ يَبْتَلِي ... قَلْبَكَ بِالتَّعْذِيبِ والصَّدِّ
وَعِفْ فِي العِشْقِ وَلاَ تُبْدِهِ ... وَاصْبِرْ وَكَاتِمْ غَايَةَ الجُهْدِ
فَإِنْ تَمُتْ مُحْتَسِباً صَابِراً ... تَفُزْ غَداً فِي جَنَّةِ الخُلْدِ

* * *

تمَّ الكتاب والحمد لله ربِّ العالمين

(١) [أغيد]: غيد غيداً: تمايل وتثنّىٰ في لينٍ ونعومةٍ. فهو أَغيد، وهي غيداء، الجمع: غيدٌ. والغَيَدُ: النُّعومة، والغادة: الفتاة النّاعمة اللّينة. [أهيف]: هافت الفتاة: دق خصرها وضمر بطنها، والهيق: دقة الخصر وضمور البطن.

الفهارس العامة

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

فهرس الأحاديث والآثار النَّبويَّة

فهرس الأعلام المترجم لهم

حرف الباء (ب)

حرف التاء (ت)

حرف الجيم (ج)

حرف الحاء (ح)

فهرس القوافي

فهرس الكتاب



ISBN 995335037-X
9 953350 370129

دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان
Dar El Fikr - Printers- Publishers- Distributors- Beirut- Lebanon